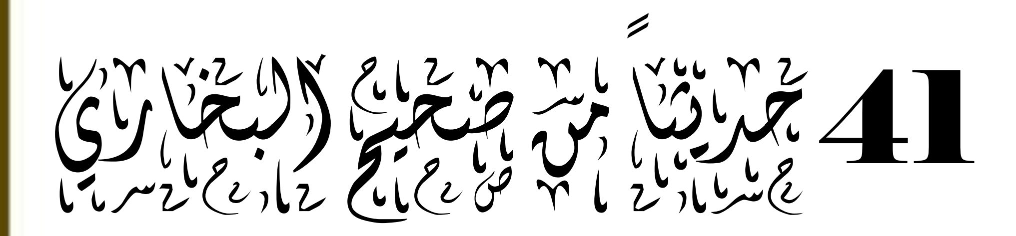




لفضيلة الشيخ

عمر بن محمود

خرج أحاديثه وضبط آيته

أبو سالم صلاح بن سالم

باجبع





بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أهل التوحيد

علماء ومجاهدين ودعاة وعباد الرحمن

﴿ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

الأحزاب.

عمر بن محمود أبو عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

عملي في هذه الرسالة

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له ، وأشهدُ أن محمد عبدهُ ورسوله ، معلم الناس الخير ، وما أرسلهُ ربه إلا رحمة للعالمين .

أما بعد

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ آل عمران.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ النساء .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ لقمان .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ الأحزاب .

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور حدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة ، وكل ضلالةٍ في النار .

لا أعلم من أين أبداء ولكن نقول كما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما انَّهُ قَدِمَ رَجُلاَنِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا ، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : << إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا - اَوْ - اِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ >> أخرجهُ البخاري في كتاب الطب باب (51) مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا (ح 5826) ، وأبو داود في كتاب الأدب باب (94) مَا جَاءَ فِي الْمُتَشَدِّقِ فِي الْكَلاَمِ (ح 5009) .

فهذا كتاب كتبهُ صاحبهُ بما هو أرهف من الحرير وأعذب من أصواتُ العصافير ، وأقرب إلى القلوب من أوتار القلب الحزين المتغني على أنغام الماضي الجميل ، كتاب أبدع صاحبهُ فيه حتى إذا قلت بأنهُ طبيب قلوب هذا الزمان ما أظنني كنتُ من الكاذبين .

أنتقى فيه أربعون حديثاً من كتاب الإمام الجليل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري المسمى بصحيح البخاري ، وهو أصح كتاب بعد كتاب الله عند المسلمين باتفاق العلماء أجمعين .

إخوتي إنا نستطيع أن تتخيل الكلام يخرج من بين العقول ومن بين السطور ولكن أنَّ يكون كلاماً يخرج من قلب رجلٍ ليكتب على سطور ، يبحث بينها على خير الدينا والآخرة لمن أحبهم حب لبد منه أن يكون لمن والاهم من المؤمنين ، وحب الخير للبشرية وإعطائها منهج الخير الإلهي بصورة كلمات تتغنى بما فيها من معاني وكلمات رسول ربي العالمين المرسل رحمة للعالمين فهذا هو الذي سحر قلبي وعلقي حتى ثملت من غير أن أكون من الشاربين خمر العنب الذميم في الدنيا . . .

من قرأ أوأطلع على بعض ما في هذه السطور من كلمات علم أن هذا الدين متين وما أنزل الله هذا الكتاب وأرسل هذا الرسول إلا كما قال ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ الأنبياء .

إن الناظر إلى أقول المحبة المتناثرة في كُتُب شعر المجون وما يسطره أصحاب الشهوة من جنون ، لا تجدها في مثل هذه السطور التي هي عبارة عن رحلة بن عبدٍ يرجو رحمة ربهِ ويعلوا بها على هذا الوجود وهي كما ووصفاها صاحبها في قوله :

<< هذه الرحلة رحلة طاعة لله ، رحلة تسجل فيها مقادير الذر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾الزلزلة ، رحلة فيها الكلمة ترفع صاحبها إلى أعلى الجنان أو تحطه إلى قرار الجحيم ، رحلة فيها حركة يد على رأس يتيم بعطف تكفر السيئات ، وبسمة في وجه الصديق تُكتب في الميزان ، وجرعة ماء في فم كلب تدخل الجنة ، ورفع حجر عن طريق المسلمين حسنة ، وأمنية في القلب أن يصيب مسلم خيراً تحط سيئات ، إنها رحلة لا تترك الشر حتى يعظم ولا تحتقر الخير مهما صغر ، بل هي رحلة فيها رقة تشف حتى لا يخفى منها شيء ، ولا يستبعد منها شيء >> انتهى .

فالقول كأنهُ شعرٌ يتتبعهُ القارىء بين هذه السطور ، وحديث القلب للقلب الذي يستوعب كلام الخواطر والمشاعر حين تكون في هيجانِ الحضور ، كيف لا وهو كلام يشرح مشاعر ومعاملات خير البشر الذي تنتهي عنده كل الكلمات والتعابير ، كيف لا وهو الذي أوتي جوامع الكلم ، وما الشيخ إلا سابحاً في بحره وهو يحاول أن يعبر عن تلك المعاني التي يجدها في تلك الأحاديث الجياد من أحاديث الجهاد بِأنواعهِ التي تأخذ قارئها إلى أبعد ما يمكن من حدود الحقيقة والبحث عن وجود الإنسان الحقيقي الذي لا تقوم به الحياة إلا بوصايا هذا النبي الكريم ، الذي قال : <<مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا>> أخرجهُ ابن ماجة في المقدمة (1) اِتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (ح 1) .

أحاديث إذا عرفة الأمة معانيها وأقامت حقها لعادة دولة الإسلام فتيه ، كيف لا وهي تأسس النفس البشرية وتعدها للقيام بخير رسالة عرفها بن البشر من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة وهي قولهُ تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾الذاريات ، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ،

كيف لا وهي تحرر النفس البشرية من أدرانها التي تسجن الخير الذي إذا ظهر قامت دولة الخير على أساسها ، وكرم فيها كل صاحب خير ، وذل فيها كل صاحب شر ، ويرفع فيها قدر العزيز الذي ذل في زمن ذل فيها العزيز ووقر فيه الذليل ، ورفعة فيه خسيسسقُ .

فالكتاب بكل ما فيه من معاني الخير التي حاول مصنفه إظهارها بصيغة فريدة لا تجدها في كثيرٍ من المصنفات الحديثة ، من شفافية ووضوح في الألفاظ والمعاني الجميلة التي تراعي مشاعر الآخرين وتخرج من نفوسهم مكامن الخير الدفين .

فنسأل الله أن يجعل لهذا الكتاب القبول في الأرض كما جعل لكتاب الإمام النووي رحمه الله الأربعين النووية في قلوب العباد مكانة وأن يرفع منزلة كاتبه في أعلى الجنان إنه القادر على ذلك وهو أرحم الراحمين .

وقد مدني بهذه المسودة مجموعة من الأخوة الكرام على أساس إعادة نسخها وتخريج أحاديثها بشكل يعين على إظهارها بالشكل الذي تستحقه هذه المسودة ، لما فيها من خير ، وقد دعوة الله و استخرته قبل بداء العمل بهذه المسودة فوجدت في نفسي راحة لهذا العمل بحمد لله ومنه .

أما عملنا في هذا الكتاب فهو كالتالي :

1 ـ قمنا بضبط الآيات وذكر أسماء السور وترقيم الآيات حتى يسهل على كثير من القراء الرجوع للآيات ، ووضعها بالون الأحمر .

2 ـ قمنا بوضع اللون الأحمر للأحاديث حتى تكون مميزة عن باقي الأقوال في الشرح ، وقمنا بضبط الأحاديث الفرعية ونصوصها وتخريجها قدر المستطاع من الكتب الستة أو إذا لم تخرج عندهم ذكرنا من خرجها من أصحاب المصنفات أو غيرهم من أهل السير ، ووضعنا لها أرقام في الحاشية ، فإذا كان الحديث صحيح فلا نعقب بعده بذكر ، وإن كان ضعيفاً ذكرنا سبب ضعفه بشكل مختصراً مفيد .

3 ـ تغيير الخط السابق خلافاً لما هو في المسودة وجعلِه بصورة بإذن الله تريح القارىء والناظر إليها ، بحيث تكون النصوص بخط كبير وأضح .

ونسأله أن نكون قد وفقنا إلى إظهار هذا العمل القيم الجليل بشكل يرضي الله ويرضي كل من ينظر فيه وبذات صاحبه وأن يجعله في ميزان حسناتهِ وأهله ، وكل من شارك في إخرج هذا الكتاب وأعان على نشره اللهم آمين .

وإن كان هناك خطأٌ فمن نفسي العاصية والشيطان ، وإن أصبنا فيما قمنا به فهو منةً من الرحيم الرحمان تصدق بها علينا ، فنسألهُ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وفي ميزان حسناتنا وأبوينا أجمعين اللهم آمين .

كتبهُ

البعد الفقير الراجي رحمة ربه العلي القدير

أبو سالم صلاح بن سالم باجبع

يوم السبت 29 ربيع الأول 1429 والموافق من العام الميلادي 5 أبريل 2008

السيرة الذاتية للشيخ عمر محمود أبو عمر

المشهور بـ (أبو قتادة)

الاسم :- عمر بن محمود أبو عمر المشهور بـ أبو قتادة الفلسطيني .

الجنسية: أردني من أصل فلسطيني.

المؤهلات: حاصل على ماجستير في أصول الفقه.

من يطلع على كتابات الشيخ يرى ما حباهُ الله به من فهم عميق لمنهج السلف يعبر عنه، وهو كدأب المجددين في كل زمان يولي عناية بأصول الفقه وقضايا الإيمان والاعتقاد سائرا على طريقة السلف لا طريقة المتكلمين التي أفسدت علوم الدين، مع علمه بتفاصيل منهج المتكلمين والأسلوب الأمثل للرد عليهم، وله رؤية لقضايا الكون والحياة تشعر معها بدقة وشمولية نظرته، ويرجع ذلك لاهتمامه بقضية الأمر الشرعي والأمر القدري، ومع أن قضية "القدر والشرع" لا يغفل عنها عالم إلا أنَّ من يضعها نصب عينيه وتكون شغله الشاغل تفتح له أبواب من العلم والفهم ويكون له شأن أخر .

ولما كان اهتمامه بأصول الفقه – وهو علم تنظيري تأصيلي معياري – فقد أكسبه ذلك ملكة تنظيرية لا تخطئها العين عند قراءة ردوده ومناظراته، واكسبه نظرة دقيقة في تحديد الخطأ والصواب لاعتقادات الأفراد والطوائف، والسبب الحقيقي والداء لما وصلوا إليه، والحكم التفصيلي عليهم أفرادا وجماعات بحسب الأحوال والأوضاع المختلفة على قدر ما يظهر له من أحوالهم، ورؤيته الشمولية تجعله يكاد لا يترك فرقة من الضلال موجودة الآن إلا ولها نصيب من بحثه بربطها بأمثالها في السابق والحاضر .

وهو مع كل هذا ؛ كمثله من البشر له أخطاء وليس فوق النقد ، والحركة الإسلامية لو قدمت قادة وعلماء ووضعتهم فوق النقد وفوق أن يرد عليهم أحد فلن تصل إلى أهدافها ، ولن تنشئ أو تربي من هم أهل للمسئولية، بل تكون تربيتها تربية العبيد أتباع كل ناعق، الذين يغالون في تعظيم القائد فيعطونه ما ليس له، مما يقتل في الأفراد روح الثقة بالنفس والاضطلاع بحمل المسئولية، والواقع خير برهان.

بعض من إنتاج الشيخ العلمي :

أول كتاب كتبه كان تحت عنوان: "الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد" – طبع مرتين –

طريق الهجرتين لابن القيم، قام بتحقيقه وطبعته دار ابن القيم بالرياض – مرتين –

معارج القبول في شرح سلم الوصول للشيخ حافظ حكمي – ثلاث مجلدات – قام بتحقيقه وتخريج أحاديثه، طبع خمس مرات، طبعته دار ابن القيم ثم دار ابن حزم.

"تجريد أسماء الرواة الذين تكلم فيهم ابن حزم جرحاً وتعديلاً"، من تأليفه مع مشاركة آخرين، طبعته دار المنار بالأردن.

الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة، قام بتحقيقه، طبعته دار الراية.

الغربة لابن القيم، قام بتحقيقه، طبعته دار الكتب الأثرية.

الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج، من تأليفه، واصله سلسلة مقالات للشيخ نشرتها نشرة الأنصار، تحت عنوان "بين منهجين"، طبعته دار البيارق بالأردن.

كسر الصنم للإمام البرقعي، من تحقيوق، طبعته دار البيارق بالأردن .

معالم الطائفة المنصورة، من تأليفه، طبع مرتين، طبعته دار النور الإسلامي بالدنمارك.

"حكم الخطباء والمشايخ الذين دخلوا في نصرة الطاغوت"، وفيه فتوى أئمة المالكية في من ناصر العبيديين من مشايخ السوء، قام بتحقيقها والتعليق عليها، طبعته دار النور الإسلامي بالدنمارك.

"نظرة جديدة في الجرح والتعديل".

"جؤنة المطيبين".

وللشيخ حفظه الله أبحاث نفيسة أخرى من قرأها عرف قدر هذا الشيخ المجدد.

كما برع الشيخ حفظه الله في فن المقال، وله مقالات تناول فيها أحداث الساعة، مع جعل المقال على قصره يتناول باختصار الموقف الشرعي الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم من الواقع، فللشيخ حوالي **200** مقالة نشرت بعدة مجلات ونشرات إسلامية، كنشرة الأنصار ومجلة نداء الإسلام ومجلة المنهاج ومجلة الفجر وغيرها.

وفي مقالاته يظهر كذلك نبوغه في الأدب واللغة العربية، وللشيخ بعض القصائد الشعرية أيضاً.

كما ان الشيخ حفظه الله لم يغفل دور التعليم المباشر، فأقام عددا من الدورات العلمية المهمة، والتي شهد كل من سمعها بغزارة علمه، وهي مسجلة بحمد الله على أشرطة يتداولها الكثير من طلبة العلم.

ومن تلك الدورات:

دورة: في شرح الموقظة للإمام الذهبي.

دورة: الإيمان، شرح فيها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة ورد على أهل البدع.

دورة : في شرح العقيدة الطحاوية.

دورة : في شرح الدراري المضية للشوكاني.

دورة : في شرح كتاب ابن رجب الحنبلي "تقرير القواعد وتحرير الفوائد" .

دورة : شرح فيها مقدمة في أصول الفقه على طريقة المتقدمين.

دورة : شرح جماع العلم للإمام الشافعي.

كان هذا جزء من ترجمة الشيخ حفظه الله، وهي وان كانت لا تفي بحق الشيخ الأسير، لكنها رسمت بعض المعالم الرئيسية لحياته، نسأل الله ان يجزيه عن المسلمين خير الجزاء وان يمد في عمره، ويبارك في علمه وعمله.

وأخيراً.

مطلوب أمنياً في كثير من دول العالم بسبب نشاطه الدعوي، وهو الآن أسير في أحد السجون البريطانية.

تتهمه الإدارة الأمريكية بأنه مفتي تنظيم القاعدة، وقيل أنه تم العثور على بعض دروسه في شقة بألمانيا كان يسكنها الشهيد محمد عطا ورفاقه رحمهم الله – المجموعة الرئيسية التي نفذت غزوة نيويورك وواشنطن المباركة – وقد عقب الشيخ على ذلك؛ بأن صلته بالمجاهدين هي الصلة بين أي موحد وأهل الإيمان وأن لحمة الإيمان والولاء بين المسلمين بمفهومه الصحيح أقوى من أي تنظيم.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أنَّ يفرج عن الشيخ وعن سائر أخواننا وان يعيده إلينا سالما غانم أن ربي جواد كريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة – خطبة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، أما بعد:

في أيام ربانية عشتها بفضله ورحمته، ومنذ اللحظة الأولى فيها وأنا خائف أن تهرب مني، فكنت أجاهد نفسي وأنا أحاول أن ألتقط وأجمع وأنظر وأراجع، منذ تلك اللحظة التي أغلق فيها السجان باب الغرفة الصغيرة الثقيلَ عليّ وحيداً وأنا في هم رجح على كل الهموم: كيف أقتنص لحظات هذا الز من؟ إذ همّي ألا يسير الزمن مسرعاً، فالربح كثير وفير، وكان من نعم الله تعالى على هذا (الإنسان) أن حبّب إليه صحيح الإمام البخاري، حباً صنعه علم المحققين والدارسين أنه أعظم كتاب في الأرض بعد كتاب ربنا سبحانه، وحباً تكامل تباعاً مع كثرة الرد والمراجعة، ومع وجود غيره من الكتب الستة بين يدي إلا أنني طوال عامين وزيادة لم أستطع قط ولم أنجح في أي محاولة أن أتحول إلى غيره من كتب السنة، أذهب إليه مرة من أجل حكم شرعي، ومرات من أجل التقاط الحِكَم والعظات، وفي أكثر المرات يكون الذهاب من أجل أن أقرأ قصة (الإنسان)، نعم فإني أعترف أن أكثر ذهابي لهذا الكتاب في تلك الفترة من أجل قراءة الرواية الحقيقية للبشرية، وللحقيقة أن أكثر ما يبهرني ويبهجني في كتاب الله تعالى، أني مذكور فيه ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾الأنبياء . فأنا أعيش اليوم في زمن الصور والخيالات، فالبهارج تعترض طريقي في كل مرحلة وزاوية، والأصباغ منثورة بمكر حرفي على كل الصور،

والمعروض كله خادع، ولكل صورة سيرة كتبها دهاقنتها وعبّادها ورجالها، هذا صراع زمانِي الذي أدعي أنه خِدَاع لم يكن بهذه القدرة على مر التاريخ، كتاب الله يسميها فتناً، لكن قضيتي قضية الوعي الحقيقي لهذا العقل المتنازع عليه، وقضية الدين الذي قد سُرِق وتنازعه اللصوص وقاطِعو الطريق.

قراءة (الإنسان) وروايته وتاريخه وحقيقته في كتاب الله والسنة النبوية هي التي تحقق العبرة، أو أزعم أنها حققت العبرة لي، فقد عانيت مشكلة القراءة الغيبية للكتاب والسنة، وحين أردت إنزال هذه الحوادث على الأرض اكتشفت حقيقتها وأنها سننية فيها أشخاص أرضيون وبشر حقيقيون، فهل جرّبتَ أخي مرة وأنت تتهيأ لفتح صحيح البخاري أن ترتب عقلك ووعيك أنك ستقرأ كتاب حكمة، أو أن تقرأ رواية أو سيرة، أو أن تقلبه كما تقلب ديوان شعر تبحث فيه عن جمال التصوير وروعة البيان؟ ! إن فعلت ذلك ستعرف ما أعني وهو أن صحيح البخاري – مثلاً– هو كتاب (الإنسان)؛ (الإنسان) بسيرته الأرضية، وسننها الواقعية، حينها سترى نفسَك وأشواقك وحبك وبغضك وقوتك وضعفك وفرحك وألمك ونجاحك وإخفاقك، وحينها ستَعبُر بكل قيم الحق إليك فتحقق العبرة والعظة.

أصدقك أخي –شهد الله– أني كنت ألغي من عقلي ونفسي حين أفتح صحيح البخاري أني سأقرأ كلام نبي يعلم ويحكم ويعظ، أو أني سأقرأ سيرة نبي يوحى إليه، بل كنت أهيّئ نفسي كثيراً لأعرف هذا الإنسان وعقله وقلبه، فأنا أريد أن أكتشف من هو من كلامه، لأن البيان هو إبانة اللسان عن الإنسان، فأنا أريد أن أعرف من هو، ومع كل قول وكل حدث كنت أرتعش ارتعاشة الإعجاب والتقدير والتعظيم، وأردد: ياله من قائد إمام، فالسعيد من سار وراءه وضل من عصاه.

من حقي أن أقول هنا -لا لأمدح نفساً يكون المدح سبباً لذمها، ولكن لن أذمها لأستبطن المدح مكراً- أقول: لقد قرأت شعراً كثيرا، من قديمه وحديثه، وقرأت كلاماً كثيراً، وقرأت سيراً كثيرة، وقرأت كتباً كثيرة، حتى صارت القراءة صفتي، وكانت رحلة القراءة ابتداء من أجل المتعة، فقد جبلت على حب هذه المتعة، ثم تحوّلت القراءة إلى محاولة معرفة الإنسان الذي أقرأه لأعرف في النهاية من أكون وقبل ذلك من يكون، وقد كنت أرى حجباً كثيرة غطت كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكتب أسلافنا، ليس حجاب جهلنا فقط، لكن تلك الحجب النفسية الكثيفة، ذلك أننا لا نقرأ هذه الكتب بحثاً عن أنفسنا، أي بحثاً عن (الإنسان)، بل نقرؤها وكأنها لواقع غير الواقع الأرضي الذي نعيش فيه، لقد رأيت الكثير في زماني مما قرأته هناك؛ في الكتاب والسنة، رأيت أحداثاً ورجالاً لا تختلف قط إلا في الأسماء، وكنت أعجب لمن عظّم هذين المصدرين كيف لا يمدح من مدحه الكتاب ولا يذم من ذمه الكتاب، مع أنه لا فر ق بينهما، وراعتني هذه المفارقة المؤلمة كثيراً، والحقيقة أن السبب - وأقول ذلك مطمئناً- أن الأسماء هي الحواجز، وأن (العناوين) قد ألهت الناس عن الحقائق، فقلت : لأقرأنّ بلا حواجز ولا عناوين، سأقرأ (الإنسان) بواقعه وسننه الأرضية في الكتاب والسنة لعلّي أبلغ إلى قر اءات الأوائل التي صنعت الهداية، فهم جاؤوا إليها ليسمعوا ما يقول ويعرفوه من قوله هو، فانتهت قراءتهم إلى أعظم إيمان وأجل تسبيح ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾آل عمران . وكانت معضلة أخرى هي معضلة العبرة والعظة، فأهل الإسلام كلهم يرددون: أن لا سعادة إلا بالعودة إلى الكتاب والسنة، أي أنهما مصدر صلاح (الإنسان) وسيرته ووجوده في زماننا هذا، فكيف يتم العبور إذا كان (الإنسان) في زماننا

ليس هو (الإنسان) المذكور في كتاب ربنا وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؟ !، وأما معضلتي الكبرى فهي اكتشاف خداع الزخارف والصور الزائفة الملونة بكل الأصباغ، فهل ستسقط هذه العناوين في زمن صار دور الكتاب والسنة عناوين فقط لكل المتعارضات، وشعارات تُتّخذ على وقائع مدعاة؟ ! نحن في زمن لم يبقى لنا من كل هذا الإرث الإلهي إلا (البيان) وجئنا إليه من غير رجاله وهو معلق في الصحف فقط، بياناً مجرداً، ويا لفتنة عصرنا هذا، حتى البيان صار غريباً علينا فنحن معه مجرد عجم. في هذا (البيان) بقيت الرواية، القصص، الأحداث، بقيت الصور الحقيقية لسيرة (الإنسان)، صورة الإنسان وسيرته حين يهتدي: ماذا يفعل وماذا يقول وماذا يحس وماذا يشعر، وسيرة الإنسَان حين يضل: ماذا يفعل وماذا يقول وكيف يحكم؟

لا أريد أن أقول صائحاً: **"وجدتها"**، لكن يكفي أني وجدت نفسي ووجدت راحتي وابتعدت عن (القطيع)، فلم تعد الصور الخادعة تفتنني، وسقطت قيمة العناوين عندي وكذا الشعارات، فلقد صرت أقرأ كل خبر بعيداً عن الأسماء ومن غير عناوين وشعارات، أي أنني بحق أزعم أنني حققت الخطوة الأولى لتحقيق العبرة. في هذه الرحلة (الإنسان) في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ازددت إيماناً أن القرآن حق، ولقد ازددت إيماناً أن ما في صحيح البخاري _ وهو ما يعنيني هنا _ لن يجهله إلا إنسان كامل وليس هو على الغيب بضنين، ولقد عرفت حق المعرفة معنى كون الكتاب والسنة فيهما صلاح الإنسان وسعادته وه دا يته، وحين بحثت عن صورة (الإنسان) المهتدي كما وجدتها في الكتاب والسنة في واقعي فإني أقسم أني وجدتها في (أهل التوحيد والجهاد)، فلقد مررت ع لى منازل كثيرة، وترددت على موائد فكرية عدة، وطفت على المنابر أفتش وأبحث وأراقب، فأنغمس غير هيّاب

بما سألاقي، وغير متعصب لما أحمل، ولكن ها أنا أقول – وأنا ذاكر لقول ربي ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾ الزخرف ـ أن أهل التوحيد والجهاد هم الذين يعبرون بحوادث وفعال وأقوال الإنسان المهتدي في كتاب ربنا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا، وإنه من نعمة الله عليّ أني أعيش في زمن الصور الكثيرة الخادعة ومع ذلك فإن عيني لم يملأها إلا هؤلاء (الفتيان) في المشرق والمغرب، ومن حقي أن أقول: إن هذا الِامتلاء ليس حماساً عاطفياً مع شاب يجود بنفسه لله تعالى، لكن بوقوف حذر وتأمل جديّ، ومراجعة ودراسة لكل التهم التي تقال فيهم، ويُقذفون بها من جميع الأطراف سواء كان من مؤمن يخالفهم أو عدوّ يقاتلهم.

نعم – والله يشهد على ما أقول– أني حين تجردت من حجب الأسماء وتخليت عن هيبة الشعارات وحررت نفسي من سطوة العناوين رأيت في زماني من يفعل فعل إبراهيم عليه السلام وهو يكسر الأصنام، ورأيت من يفعل فعل البراء بن مالك وهو ينغمس في حديقة مسيلمة الكذاب المرتد، ورأيت من يبيع ملكه طمعاً في رضا الرحمن، ورأيت المهاجر في ذات الله والمأسور في سبيل كلمة الحق، ولكهم في هذا الزمن لا يجمعهم إلا اسم جامع لأوصافهم: أهل التوحيد والجهاد.

من أجل هؤلاء الفتيان أردت أن أجمل هذه الكلمات لعلي أعبُر بها إليهم فيرحمني الله –إذ القوم لا يشقى بهم جليسهم– وذلك لأنهم يرحلون هم بالفعال، ولكنهم يقبلون – لسعة رحمة الله وسعة قلوبهم– أن يسير معهم من لا يحمل إلا الحب والكلمات من أمثالي.

فاللهم لا تعذب قلباً أحب كتابك وأحب كلام رسولك وأحب الفارين إليك المهاجرين في سبيلك – آمين.

فكانت هذه الباقة العطرة، الممتعة الجميلة، هذه الدرر النبوية الشريفة، جمعتها كلها من سمط اللآلئ الموسوم من قِبَل الإمام محمد بن إسماعيل البخاري : "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" عشت معها أجمل الأوقات، وكانت لها بركات المشاعر التي تغزو القلب فتثير الدمع في العين والقشعريرة في الجلد، وقد عرضت لي كما عرض الكثير غيرها لكن لئن لا بد من الاختيار –وما أصعب الاختيار بين الأماثل– فكانت على قيد السلف في بعض تصانيفهم أربعون حديثاً لأمر معروف ومشهور، وإن شئت قلت : أربعون جوهرة، ثم جئت إليها وبطيش رجل مغرور حاولت أن أفك من كل –جامعة– كلمة واحدة لأقول للناس انظروا، فلم يزد هذا (الإنسان) إلا أنه ادعى، ولكن يكفيه أن يعترف أنه حاول أن يفك كلمة من (جوامع الكلم)، وأن يصف ذرة من كل جوهرة، وأن يشير إلى وجه واحد من هذه الدرة التي لا ينتهي تقلب وجوهها العظيمة، ثم إن في القلب عذر: هذا جهد المقل، والقلة مع الحب ثقيلة، ومع العذر رجاء أن أحشر مع أهل الحديث علماً ومع أهل التوحيد والجهاد فعالاً، وإني لا أملك مع هذا الطمع إلا أني أحب:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ البقرة .

وكتبهُ

عمر محمود أبو عمر (أبو قتادة)

(سجن بلمارش البريطاني مساء يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر الله المحرم لسنة 1426 لهجرة المصطفى ﷺ، الموافق 7/ آذار، مارس/2005) .

الحديث الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: << أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، فَقَدْ عَصَمَ مِنّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ ، إِلاَّ بِحَقّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ <<(1) .

هذا الحديث أصل عظيم لهذا الباب –التوحيد والجهاد– فإنه يبين غاية قتال الناس ولِمَ تُشرع السيوف، وهو كما سيأتي حجة في أبواب من العلم اختلف الناس فيها قديماً وأحدث بعضها في زماننا هذا مو اطأ ه لمذ اهب وأديان باطلة، ومما يطمئّن نفوس المسلمين المتمسكين بغرز الهداة الأولين أنّ الحديث النبويّ الشريف بتفصيلاته وبيانه الشافي يقطع البدع الحادثة في كل زمان، وإن زماننا ليعج بالبدع التصويرية الفكرية ذلك لأن تربتها الزمانية خصبة للتوليد، ألا وهي بيئة الهزيمة التي تعيشها الأمة المتناثرة بلا راعٍ ولا سياج وبيضة، وانتشار الرويبضات وتصدرهم المنابر التعليمية والإرشادية.

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الزكاة : باب وجوب الزكاة (ح 1399) ، وفي كتاب الزكاة : باب أخذ العناق في الصدقة مختصراً (ح 1457) ، وفي كتاب الجهاد : باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله (ح 2946) وفي كتاب استتابة المعاندين : باب قتل من أبى قبول الفرائض ، وما نسبوا إلى الردة (ح 6924) ، وفي كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة : باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح 7284) ، ومسلم في كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدُ رسول الله . . . (المنهاج ح 124 ـ 125 ـ 126) ، وأبو داود في كتاب الزكاة (ح 1556 ـ 1557) ، والترمذي في كتاب الإيمان : باب ما جاء أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (ح 2607) ، والنسائي في كتاب الزكاة : باب مانع الزكاة (ح 2442) ، وفي كتاب الجهاد : باب وجوب الجهاد (ح 3091 ـ 3092 ـ 3093) ، وفي كتاب تحريم الدم (ح 3976 ـ 3977 ـ 3978 ـ 3979 ـ 3980 ـ 3981 ـ 3982) ، وفي تحفة الأشراف (ح 10666) .

قوله : << أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ >> فيه:

أن هذا القتال ليس قتالا فطرياً، فإن الأمور الفطرية لا يؤمر بها ابتداء كما هو مقرر في علم الأصول، لأن النفوس تنزع إليها، كالأكل والشرب والنوم، وما ورد من الآيات والأحاديث الآمرة بهذه الأمور وأمثالها من أعمال السجية الإنسانية لم تكن ابتداء في بعضها إنما لبيان إتيانها على وجهها الصحيح، كقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ البقرة ، وكقوله :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ البقرة ، وكقوله : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ الأعراف . فهذه الأوامر لبيان أحكام شرعية تتعلق بالطعام والشراب وليست أمراً بها، إذ أن الإنسان ومنه المؤمنون يعلمونها بفطرة وسجية خالصة، وأما النوع الثاني كقوله سبحانه : ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ ﴿١٨٩﴾﴾ البقرة . فإن فطرة الإنسان إتيان البيوت من أبوابها، أي حضورها من غير تكلف أن يلف حولها ليدخلها من الخلف، ولما كان الأنصار في حج الجاهلية يتكلفون دخول المدينة من ظهرها وليس من وجهها فنبههم القرآن إلى أن هذا ليس من التقوى التي يحبها الله تعالى، بل هي من التكلف المذموم، وهذا بخلاف رجوعه صلى الله عليه وسلم من مصلى العيد من غير الطريق الذي ذهب فيه إلى المصلى، ومثل قوله صلى الله عليه وسلم في رده على من أراد التعبد بترك الأكل والشرب والنكاح، فإن صدور هذه الأوامر منه لم تكن ابتداء إنما كانت رداً على من تكلف تركها تعبداً لله تعالى، أو كأمره بالإفطار في رمضان عند مواجهة العدو لأنه أقوى لهم، فهذا أمر على غير الأصل الذي يوجبه الوقت وهو الصيام، فالمقصود أن الأمور الفطرية لا يؤمر بها الإنسان إلا لما تقدم وأشباهه كالتنبيه على أجرها وترك أضدادها من المعاصي كبيانه ﷺ أجر من أتى أهله وقال : <<أرأيت إن وضعها في الحرام أكان عليه

وزر ؟>>[1] ومن الأمور التي يعرفها الناس بفطرهم لأنها من سجية الأثرة والتملك هي الدفاع عن أنفسهم وأموالهم وديارهم وأعراضهم، وهي غريزة لا ينفك الإنسان عنها إلا بمرض أو دين باطل يدين به، فدفاع الناس عن أموالهم وأعراضهم وما يملكون من الفطرة التي توجبها غريزة الأثرة وحب التملك، ومن ذلك دفع المعتدي لرد إيذائه وظلمه، فهذه أمور لا تأتي بها الشريعة إلا على ما تقدم من الوجوه وذلك كقوله ﷺ: << من مات دون ماله فهو شهيد>>[2] لما سيأتي شرح هذا الحديث إن شاء الله، فما أمر المؤمنون من القتال في كتاب الله تعالى وفي الحديث –وهي كثيرة– إنما هي على غير المعنى الذي تعرفه النفوس بفطرتها وغريزتها، بل ما تعرفه الدواب في سلوكها وغريزتها، وهذا المعنى لا تنشط له هذه النفوس إلا بتحريض إلهي طلباً للأجر والمثوبة ولذلك قال تعالى عن هذا النوع من القتال : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ البقرة . وقد حذر النبي

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (المنهاج 2326) ولفظ الحديث عن مسلم بن الحجاج حدثنا عبد الله بن أسماء الضبعي ، حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا واصل مولى أبي عُيينة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، عن أبي الأسود الديلي ، عن أبي ذر : أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ! ذهب أهل الدثور بالأجور . يصلون كما نصلي . ويصومون كما نصوم . ويتصدقون بفضول أموالهم . قال : << أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة . وكل تكبيرة صدقة . وكل تحميدة صدقة . وكل تهليلة صدقة . وأمر بالمعروف صدقة . ونهي عن منكر صدقة . وفي بضع أحدكم صدقة >> . قالوا : يا رسول الله ! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : << أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا >> . (2) أخرجهُ مسلم في كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه ... (المنهاج 359) . انتهى .

ﷺ من تركه وقال: <<من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق >>[1] فهذه لا يمكن فهمها إن أنصف المرء إلا على قتال واحد وهو القتال الذي يشرع فيه الإنسان ولا يكون رداً على قتال، إذ كيف يحدث المرء نفسه أن يغزو في رد العدوان إلا بتمنيه أن يغزوه الأعداء، وهذا لعمر الحق فساد لا يقوله عاقل، ولو تدبر الناس هذا لوجدوه من أعظم الردود على من زعم أن القتال لا يكون إلا لهذه المعاني الإنسانية الجامعة التي توجبها غريزة الأثرة الإنسانية إذ هذا النوع من القتال تترع له النفوس دون التحريض الشديد الوارد في الكتاب والسنة، وهذا ما هو مشاهد في حياة البشرية وتاريخ الأمم، ولما ك ان القتال في الإسلام على معنىً آخر وهو نشر الإسلام ومبادئه وتشريعاته فإن الأمر جاء به ابتداء في الكتاب والسنة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : <<أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . . .>> فقوله : (أمرت) يدل على وجوبه وهو المتفق عليه عند أهل الإسلام ا لأولين وهو أن الجهاد واجب على الإمام ومن استنفره لهذا النوع من القتال، وهذه اللفظة (أمرت) تدل على أن هذا النوع من القتال هو حق لله وحده ليس للعبد منه نصيب، وردّ العدوان نصيب العبد فيه أظهر من حق الله تعالى، ومعلوم أن أمر الله تعالى لنبيه ﷺ هو أمر لعموم الأمة إلا بدليل يخصه، وهذا أمر يعم خلفاء الرسول ﷺ ولا شك . وقوله: (أن أقاتل) فيه بيان أن هذا قتال ابتدائي يشرع فيه أهل الإسلام ولا يحتاجون إلى ظلم غيرهم أو عدوانهم ليفعلوه، وفيه: أن لفظ (القتال) ليس هو (القتل) إذ أن (القتل) هو قصد شخص بعينه للقتل لسبب مخصوص كا لقتل صبراً أو غيلة كقتل المرتد أو الزاني المحصن أو الأسير أو المحارب في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ المائدة.

---

(1) أخرجهُ أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي هريرة رضي الله عنه (169/8) . انتهى .

وكما قتل محمدُ بن مسلمة رضي الله عنه مع سرية كعبَ بن الأشرف اليهودي لما كان من سوء مقالته وشعره في أمهات المؤمنين(1)، والحديث هنا يتكلم عن (القتال)، وهو الذي يبدأ بالدعوة وإقامة البلاغ العام على أمة من الأمم ثم يقصدهم بجمع حتى يزيل شوكتهم ويخضعوا لحكم الإسلام، أو يقبلوا قبل ذلك دفع الجزية. واللفظ (أقاتل) يدل على الابتداء في الفعل، وهو يؤيد ما تقدم من الكلام ويشهد لذلك ما قال <<حتى يقولوا >> فإن (حتى) تدل على انتهاء الغاية كما هو معلوم من حروف المعاني، و قوله:<<حتى يقولوا لا إله إلا الله >> يدل على علة هذا القتال الواجب، وهو الإسلام، والإسلام يعرف بالكلمة أي بـ(لا إله إلا الله) كما يعرف بالدلالة والتبعية، فالدلالة كالصلاة وأكل ذبيحة المسلم كما ورد في الحديث، والتبعية للوالدين وللدار، وهذه قد تتعارض (أي الكلمة والدلالة والتبعية) وحينئذ

---

(1) وحديث قتل ابن الأشرف فقد جاء عَنْ عَمْرٍو، سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : << مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ أَذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ >> . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ قَالَ : << نَعَمْ >> . قَالَ : ائْذَنْ لِي فَلأَقُلْ قَالَ : << قُلْ >> . فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً وَقَدْ عَنَّانَا . فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ . قَالَ : إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الآنَ وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ - قَالَ - وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا !. قَالَ : فَمَا تَرْهَنُنِي ؟ قَالَ : مَا تُرِيدُ . قَالَ : تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ قَالَ أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا . قَالَ : لَهُ تَرْهَنُونِي أَوْلاَدَكُمْ . قَالَ : يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا فَيُقَالُ رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ . وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللأْمَةَ - يَعْنِي السِّلاَحَ - قَالَ : فَنَعَمْ . وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ قَالَ : فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلاً فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ قَالَ سُفْيَانُ قَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ : لَهُ امْرَأَتُهُ إِنِّي لأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ قَالَ : إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعُهُ وَأَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلاً لأَجَابَ . قَالَ مُحَمَّدٌ : إِنِّي إِذَا جَاءَ فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ قَالَ : فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ فَقَالُوا : نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ قَالَ نَعَمْ تَحْتِي فُلاَنَةُ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ . قَالَ فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ قَالَ نَعَمْ فَشُمَّ . فَتَنَاوَلَ فَشَمَّ ثُمَّ قَالَ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ ؟ قَالَ : فَاسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ : دُونَكُمْ . قَالَ : فَقَتَلُوهُ . أخرجهُ البخاري في كتاب الرهن باب رهن السلاح (ح 2510) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب 42 – باب قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ طَاغُوتِ الْيَهُودِ (المنهاج ح 4630) ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب في العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم (ح 2768) . انتهى .

يعمل بالأقوى والقرائن، وتبقى الكلمة هي الأقوى إلا أن يأتي ناقض لها يدفعها، كمن قال لا إله إلا الله وسجد لصنم أو أحل أمراً مجمع عليه ليس لمثله جهلُه، أو سبّ الله أو الرسول، فحينئذ لا تنفع الكلمة، والإسلام ليس هو الكلمة، لكن الكلمة شرط الإسلام، فإن المرء يسلم بالكلمة وشروطها الظاهرة والباطنة، كالانقياد لله ولرسوله، لقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿٦٥﴾ ﴾النساء ، وإقامة الصلاة من شروط الكلمة كما هو الصحيح، ومن شروطها ترك النواقض وأبوابها كثيرة جداً أعلاها الشرك بالله تعالى كإثبات المثل والأ بن والندّ، والحديث يدل على أعلى الدلالات في إثبات الإسلام وهو الإتيان بالكلم ة وقد يتعذر التحقق من إثباتها في الطوائف فيصار إلى حقوقها التى تدل عليها كالأذان وهو دليل الصلاة كما ورد في الصحيح <<أن النبي ﷺ كان ينظر قبل غزوة القرى أذان الفجر فإن سمعه تركهم وإلا غزاهم>>(1)، وهذا الحديث (أي حديث أبي هريرة رضي الله عنه) جاء مجملاً في بيان علة هذا القتال وقد فُصّل في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين قال: أن رسول الله ﷺ قال: << أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ >>(2) وقد آثرت حديث أبي هريرة رضي الله عنه لهذا الباب لما فيه من بيان مقصد الجهاد والقتال وطريقة الدعوة للتوحيد، إذ أن ميل النبي ﷺ ونوّابه وخلفاؤه

---

(1)ولفظ الحديث عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يُغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذاناً أمسك، وإلا أغار .فسمع رجلاً يقول: اللهُ أكبر اللهُ أكبر. فقال رسول الله ﷺ: <<على الفطرة>> ثم قال : أشهدُ أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: <<خرجت من النار>>فنظروا فإذا هو راعي معزىً. أخرجهُ مسلم في كتاب الصلاة باب الإمساك عن الإغارة على القوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان (المنهاج ح845) ، وأبو داودباب في دعاء المشركين، (ح 2634) مختصراً، ولفظه عنده عن أنس <<أن النبي ﷺ كان يُغيرُ عند صلاة الصبح ، وكان يستمع ، فإذا سمع أذاناً أمسك، وإلا أغار>> . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب اللإيمان باب<<فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم >>(ح25) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس (يتبع في الحاشية التالية) .

كانوا يعرضون الإسلام والدخول فيه عن طريق الكلمة ثم يبينوا لهم حق هذه الكلمة ومن حقها الصلاة والزكاة، والصحيح أن المباني الأربعة هي من أركانها، لا يصح إسلام المرء بدونها، ومن تركها فقد نقض الكلمة، وهذا مذهب كبار الصحابة رضي الله عنهم، وكلمة التوحيد معناها إخلاص عبودية المرء لله وحده ونفيها عمن سواه، إذ لا يستحق العبادة أحد سواه، والتأله هو التعبد، ومبنى التعبد على القبول والانقياد أصلاً ونفي الحرج وجوباً والتسليم إحساناً وهو معنى موجود في قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾النساء . فهذه مراتب العبادة كما قال أهل العلم، ومبعث العبادة هو الحب والخوف، والحب ينشأ من أمرين كمال المحبوب في ذاته وإحسانه إلى غيره وهذا يوجب الحمد كما قال النبي ﷺ: <<لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك>>(1) وقوله : <<أحبوا الله لما يغذركم من نعمه>>(2) . والحب لكمال المحبوب أعظم من الحب للإحسان، فيكون الحمد لذلك أعظم من الحمد على النعمة، وإن كان كلاهما من موجبات الحمد لله تعالى، وأما الخوف فيكون لأمرين العظمة وخوف العقاب، ومعرفة العظيم توجب الحياء المانع من السوء الذي يغضب العظيم بلا نظر إلى العقاب، كما كان بعض السلف يقول: (هب أنه غفر لي فأين حيائي منه؟)، والخوف من عقابه توجب ترك المنهي عنه بالنظر لعاقبة الغضب وهو عقاب القادر العظيم العادل، والخوف الأول –بسبب الحياء– أعظم وأجل من الثاني وإن كان كلاهما من الإيمان بالله تعالى، والعباد يتفاوتون في الإيمان تفاوتهم في هذه الأبواب، وقد تنازع السلف أيهما أعظم وأجل قدراً في ألفاظ الذكر

== حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله. . . (المنهاج ح 128) . انتهى .

(1) أخرجهُ ابن ماجة في كتاب الأدب باب فضل الحامدين(ح3801) قال البوصيري في سندي هذا الحديث: هذا سندٌ فيه مقا ل، قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في الثقات، وصدقة بن بشير لم أر من جرحهُ ولا من وثقه، باقي رجال الإسناد ثقات، ورواه الإمام أحمد في مسنده من هذا الوجه، وأخرجهُ كذلك ابن المنذر في الترغيب والترهيب، وقد ذكرهم الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف ابن ماجة وضعيف الترغيب والترهيب، ولفظ الحديث حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا صَدَقَةُ بْنُ (يتبع في الحاشية التالية) .

هل الحمد أم كلمة التوحيد، مع قول الأكثرين إن لم يكن اتفاقاً أن كلمة التوحيد أعظم من التسبيح، لأن التسبيح نفي النقائص والحمد إثبات الكمال، والإثبات أجل من النفي وأعظم قدراً، وفي الحديث : <<التسبيح نصف الميزان، والحمد تملؤه>>(1) وفي الأذكار النبوية يكون التسبيح مقروناً بما يدل على الكمال كقوله ﷺ: <<سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم >>(2) ، والذين فضلوا الحمد على كلمة التوحيد لأنهم قالوا إن الحمد يتض من التوحيد، والصواب أن كلمة التوحيد أفضل في إثبات الأصل وكلمة الحمد أفضل في إثبات الكمال، والله تعالى أعلم .

== بَشِيرٍ، مَوْلَى الْعُمَرِيِّينَ قَالَ : سَمِعْتُ قُدَامَةَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيَّ، يُحَدِّثُ أَنَّهُ كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ غُلاَمٌ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُعَصْفَرَانِ قَالَ فَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُمْ : << أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَلِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالاَ يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لاَ نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ! . قَالاَ : يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَلِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا : اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا >> وذكرهُ الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير وقال هذا إسنادٌ جيد (62/1) . قال المزى فى "تهذيب الكمال" : صدقة بن بشير المدنى ، أبو محمد ، مولى العمريين . و يقال : مولى عبد الله بن عمر . اهـ . (2) أخرجهُ الترمذي في كتاب المناقب باب أهل بيت النبي(ح3814) وانفرد به، ولفظهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : <<أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي >> . انتهى .

(1) أخرجهُ ابن المنذر في الترغيب والترهيب وحسنه (352/2) ، وقد ضعفهُ الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ح 944) .

(2) أخرجهُ البخاري في كتاب الدعوات باب فضل التسبيح (ح 6406) وايضاً في كتاب التوحيد باب إذا قال والله لا اتكلم أو اقرأ ، أو أسبح (ح 6682) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعوات باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (المنهاج ح 6786) ، والترمذي في كتاب الدعوات باب 60 (ح 3467) ، وابن ماجة في كتاب الأدب باب فضل التسبيح (ح 3806) ، وتحفة الأشراف (ح 14900) . انتهى .

قوله: <<فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها وحسابه على الله >> دل على أن النفوس والأموال مباحة في الأصل دون التوحيد، وأن أموالهم –أي المعاندين المشركين– كما هي أنفسهم غير معصومة، وليس أحد الأمرين مرتبط بالآخر (أي القتال وإباحة الأموال والأنفس)، فالمقدور عليه لا يتخلف بسبب الممتنع، والمفهوم هنا ممتنع، والمفهوم هنا أن الإباحة لا تكون إلا بالقتال، لأن سببها هو ترك الكلمة أو الإتيان بنواقضها، فالقتال ليس سبباً لغيره، بل هو لسبب وهو الكفر، فتخلف القتال لا يسقط إباحة الأنفس والأموال مع بقاء السبب الموجب للقتال وهو الكفر، فمن علق حكم الإباحة على علة القتال للمفهوم فقد قال أمراً عجباً غريباً.

والحديث يبين الأصل وهو قتال المشركين عموماً بلا تفريق مع وجود موانع أخرى للقتل كالذمة والعهد، وقد جاءت بذلك الشريعة، فالذي مع كفره وكذا المعاهد لا يقتل، كما أن قوله : <<بحقه>> أي أن الكلمة لا تعصمُه من القتل على الدوام إنما تعصمه في الابتداء، والهاء في حقه تعود على الله سبحانه، فإن لله حقوقاً أخرى على العباد غير الكلمة بعضها يوجب القتل أو يجيزه مفصلة في الشريعة لطول ذكرها، و في أحاديث أخرى قوله : <<بحقها>>[1] أي الكلمة، وقد تقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه: (بحق الإسلام) وكلها على معنى واحد، ولا اختلاف.

قوله: <<وحسابه على الله>> إيكال أمر الباطن إلى الله تعالى، لأن الشريعة وأحكامها في الدنيا على الظاهر بلا خلاف، فلا ينقب على قلوب الناس وأستارهم ما لم تبدُ منهم القرائن، فإن جاء الظاهر الصريح فهو المقدم على غيره من الدعاوى، كالزنديق وغيره في دعواه الإسلام مع ظاهره المخالف لذلك، ولا يقوم مقام الظاهر المعتبر شيء، ومسألة إذا تعارض الظاهر مع الأصل لا اختلاف فيها إذا كان الظاهر بين صريح خلا من المعارض الموافق

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله . . . (المنهاج ح 126) بنحوه، والترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء أمرتُ أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (ح 2615) ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون (ح 2640 ـ 2641 ـ 2642) ، النسائي في كتاب المحاربة باب تحريم الدم (ح 3972 ـ 3973) .انتهى

للأصل. وقوله: <<وحسابهم على الله>> يدل على أن القضاء بالظاهر لا يغير حكم الباطن على الصحيح في أقوال أه ل العلم، فإن قضاء القاضي لا يثبت الحقوق ديانة، وهذا بيّن في قوله صلى الله عليه وسلم : <<فمن قضيت له من غير حقه فإنما أقطع له قطعة من النار>>(1) وأدلة اخرى. وهذا الحديث ورد في ألفاظ

متعددة كما تقدم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وورد عن أنس رضي الله عنه في البخاري: <<أمرت أن أقاتل الناس: يعني المشركين، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينادماؤهم وأموالهم إلا بحقها>>(2)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا قوله:

---

(1)أخرجهُ البخاري في كتاب المظالم باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه (ح 2458) بنحوه، وفي كتاب الشهادات باب من أقام البينة بعد اليمين (ح 2680) وفي كتاب الحيل باب 10 (ح 6967) وفي كتاب الأحكام باب موعظة الإمام للخصوم (ح 7169)، ومسلم في كتاب الأقضية باب القضاء بالظاهر واللحن بالحجة (المنهاج 4448 ـ 4449)، وأبو داود في كتاب الأقضية باب في قضاء القاضي إذا أخطأ (ح 3583)، والترمذي في كتاب الأحكام باب ما جاء في التشديد على من يقصي له بشيء ليس له أن يأخذه (ح 1339)، والنسائي في كتاب آداب القضاء باب الحكم بالظاهر (ح 5416) وباب ما يقطع القضاء (ح 5437) وابن ماجة في كتاب الأحكام باب قضية الحاكم لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً (ح 2317)، وفي تحفة الأشراف (ح 18261) ونص الحديث هو عن أم سلمة هند بنت أبي أمية قالت: قال رسول الله ﷺ: << إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار >> وهذا لفظ البخاري. (2) أخرجهُا البخاري في كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة (ح 1399)، وفي كتاب الزكاة: باب أخذ العناق في الصدقة مختصراً (ح 1457)، وفي كتاب الجهاد: باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله (ح 2946) وفي كتاب استتابة المعاندين: (يتبع في الحاشية التالية).

<<حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به>> .

== باب قتل من أبى قبول الفرائض ، وما نسبوا إلى الردة (ح 6924) ، وفي كتاب الِاعتصام بالكتاب والسنة : باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح 7284) ، ومسلم في كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدُ رسول الله . . . (المنهاج ح 124 ـ 125 ـ 126) ، أبو داود في كتاب الزكاة (ح 1556 ـ 1557) ، والترمذي في كتاب الإيمان : باب ما جاء أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (ح 2607) ، والنسائي في كتاب الزكاة : باب مانع الزكاة (ح 2442)، وفي كتاب الجهاد : باب وجوب الجهاد(ح 3091 ـ 3092 ـ 3093) ، وفي كتاب تحريم الدم (ح 3976 ـ 3977 ـ 3978 ـ 3979 ـ 3980 ـ 3981 ـ 3982) ، وفي تحفة الأشراف (ح 10666) ولم أجد الزيادة التي في قول الشيخ (يعني المشركين) في أي م ن أروايات التي وجدتها مع اِختلاف بسيط بين الروايات . انتهى .

من فوائد هذا الحديث :

1 . وجوب جهاد الدعوة وقتال المخالفين للتوحيد ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وشرائع الإسلام على الإمام

ومن استنفره، وفي الحديث حجة لمن قال من أهل العلم كالشافعي أن علة القتا ل هي الكفر لا الحرابة كما قال آخرون، والمحارب بإجماع العلماء هو كل كافر لم يكن له ذمة أو عهد أو أمان، والخلاف في هذه المسألة يسير لا يترتب عليه كبير خلاف كما توهّم بعض الجهلة المعاصرين كمن فسروا الحرابة بالقتال والعدوان، فليست الحرابة هي العدوان بلا خلاف، إنما المحارب هو من تقدم تعريفه، ولما ظن هؤلاء الجهال أن ما قاله الجمهور من علة القتال هو الحرابة ظنوا أن هذا ينصر قولهم الحادث البدعي بأن القتال في الإسلام لرد العدوان بل هو هو، وليس لما قالوه علة إلا الجهل بلغة العلماء والفقهاء، فإجماع الأولين من السلف والفقهاء الأربعة وغيرهم أن الجهاد واجب على الإمام للدعوة إلى الإسلام لهذا الحديث ولغيره ولقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾التوبة . ولقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾التوبة . فإن قال قائل فبمَ تفترق أقوال أهل العلم على هذا المعنى فيجاب: بما يترتب عليها من مسائل فيمن يجوز للمسلمين قتله من غير المقاتلة إن وضعت الحرب أوزارها ودخل المسلمون الديار عنوة، فهل يُقتل العسيف (أي الأجير) أي العامل في الأرض من الكافرين من الكفار مثلاً؟ فقال الشافعي: يقتل ولم يصحح النهي عن قتله، وقال الآخرون بأنه لايقتل لأنه صار مقدوراً عليه، واختلفوا في الرهبان خارج الطوائف الكافرة وديارهم فقال الشافعي ومن معه: يُقتلون لعلة الكفر، وقال غيره: لا يقتلون لعدم تحقق العلة وهي الحرابة، وأما الديار والطوائف التي لم يعاهدها الإمام لمصلحة ولم تسلم أو تدفع الجزية فإنها تقاتل بلا خلاف حتى تصير ديار إسلام، فالشافعي ومن معه أجاز قتل كل كافر لم يأت الدليل على عدم قتله كالمرأة والصبي، والآخرون قالوا الأصل عدم القتل قصداً، واتفقوا

على أن ما أصابه المسلمون من الكافرين هؤلاء بغير قصد لا حرج فيه، واحتج الجمهور بقوله ﷺ في نهيه عن قتل النساء: <<ما كانت هذه لِتُقَاتِل>>[1] .

2. لا يشكل على هذا الحديث قوله ﷺ: <<لا تمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاصبروا>>[2] لأن هذا الحديث على معنيين: أولاهما: تمني القتال، وهذا يستلزم وجوباً قدرياً وهو تمني سببه وذلك لما يتمنى بعض المجاهدين الغنيمة، أو لرغبة بعضهم بالقتال، وقد نبّه رسول الله ﷺ على هذا المعنى في حديث فتح خيبر فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم خيبر: <<لأعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يُعطى. فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فأخر فدعا له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء. فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال: على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يُهدى بك رجل واحدٌ خير لك من حمر النعم>>[3] ، فهذا من هذا، وهو يبين سبب النهي عن القتال، لأن تمني القتال

(1) أخرجهُ أبو داود في كتاب المراسيل (391/2) والدارقُطني في الِإلزامات والتتبع (113) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (314/2) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الحرب خدعة (ح 3030) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كراهة تمني لقاء العدو ، والأمر بالصبر عند اللقاء (المنهاج ح 4516 ـ 4517) ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب المكر في الحرب (ح 2636) ، والترمذي في كتاب الجهاد باب الرخصة في الكذب والخديعة في الحرب (ح 1675) ، وفي تحفة الأشراف (2523) ولفظ الحديث مطولاً: عن أبي النضر ، عن كتاب رجل من أسلم من أصحاب النبي ﷺ ، يقال له عبد الله بن أبي أوفى . فكتب إلى عمر بن عبيد الله ، حين سار إلى الحرورية . يخبره أن رسول الله ﷺ: كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال <<يا أيها الناس ! لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية . فإذا لقيتموهم فاصبروا . واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف>> . ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال :<<اللهم !(يتبع في الحاشية التالية) .

يعني تمني عدم إسلامهم وإسلامهم خير وأعظم من غنائمَ يجنونها . وثانيهما: أن هذا الحديث (النهي عن تمني لقاء العدو) إنما قيل في غزوة الأحزاب كما في بعض رواياته، وما فعله رسول الله ﷺ فيها من أعمال كلها تدل على كراهية (و هو إمام المسلمين) لقاء قريش ومن معها من غطفان وثقيف والأعراب، فكوْنه ﷺ لم يخرج إليهم بل تحصن في المدينة وحفر حولها الخندق، ولم ينزل إليهم أبداً خلال مدة الحصار بل كان عمله منْعَهم من المدينة، كل ذلك يدل على أن باب النهي إنما هو إرشاد إمام في اختيار خير الفعلين في رد عدوان الأحزاب، وهو من باب الشورى كما وقع في أحُد، أيخرج إليهم أم يتحصن في المدينة؟ فاختار قول من قال الخروج، وفي الأحزاب اختار عدم الخروج وقا ل : <<لا تتمنوا لقاء العدو>> وذلك لأن هذا هو خير الأمرين للمسلمين في هذه الغزوة. والأمر والله أعلم لا يخرج عن هذين القولين، وقيلت أقوال أخرى أراها ضعيفة. والقول الأول عندي أقوى وأمتن، والسبب أن الصحابة وهم أعلم

== منزل الكتاب ومجري السحاب . وهازم الأحزاب . اهزمهم وانصرنا عليهم >> . (3) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة ... (ح 2942 ـ 3009) وكتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي أبي الحسن رضي الله عنه (ح 3701 ـ 4713) وفي كتاب المغازي باب غزوة خيبر (ح 4210) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابةباب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (المنهاج ح 6170 ـ 6171 ـ 6172 ـ 6173) ، والترمذي في كتاب المناقب باب 21 (ح 3724) وابن ماجة في المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ح 115) . (3) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الحرب خدعة (ح 3030) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كراهة تمني لقاء العدو ، والامر بالصبر عند اللقاء (المنهاج ح 4516 ـ 4517) ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب المكر في الحرب (ح 2636) ، والترمذي في كتاب الجهاد باب الرخصة في الكذب والخديعة في الحرب (ح 1675) ، وفي تحفة الأشراف (2523) ولفظ الحديث مطولاً : كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى ، حين خرج إلى الحرورية ، فقرأته فإذا فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس فقال : <<أيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتوهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال : اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم >> . انتهى .

بمعنى الحديث كانوا يحتجون بالحديث بعموم لفظه، ناهين عن تمني القتال مع مسير تهم إليه، وذلك إقتداءً برسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم أن الصحابي عبد الله بن أبي أوفى كتب إلى عمر بن عبيد الله حين سار إلى الحرورية يخبره أن رسول الله ﷺ كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: <<يا أيها الناس لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف>> وفيه بلفظ آخر: <<دعا على الأحزاب>>(1). والله أعلم.

3. الحديث غيظ لأعداء الله من أهل العصر المبغضين لشرائع الإسلام، فإن أعظم نكيرهم اليوم على المجاهدين والداعين لأحكام الشريعة هو قولهم إن هؤلاء يحكمون على الناس بما هو حق لله تعالى، وأطلق بعضهم وصفنا بأننا – سكرتاريا القيامة– أي يقومون في الأرض بما هو حق لله يوم القيامة، وهذا من تمام غيظهم، والحديث حجة لهؤلاء المجاهدين والدعاة وذلك أنهم يفعلون في المشركين الرافضين لأمر الله تعالى ما هو مقدمة لما سيفعل الله بهم يوم القيامة، فهم سيعذبونهم بقتلهم وأخذ أموالهم لأمر الله لهم بذلك، والذي فوضهم لهذا الفعل هو الله كما قال تعالى : ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ التوبة.

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الحرب خدعة (ح 3030) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كراهة تمني لقاء العدو ، والامر بالصبر عند اللقاء (المنهاج ح 4516 ـ 4517) ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب المكر في الحرب (ح 2636) ، والترمذي في كتاب الجهاد باب الرخصة في الكذب والخديعة في الحرب (ح 1675) ، وفي تحفة الأشراف (2523) ولفظ الحديث مطولاً ولفظه : كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى ، حين خرج إلى الحرورية ، فقرأته فإذا فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس فقال : <<أيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتوهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال : اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم>> . انتهى .

، وكما ورد في صحيح مسلم << وقاتل بمن اتبعك من عصاك >>[1] ، وأما قول المشركين المعرضين بأن قضية الإيمان والتوحيد والانقياد للشرائع هي بين الإنسان وربه ولا يحق للعباد محاسبتهم عليها فهذا دينهم الذي به يدينون، وأما ما يدين به المسلم المنقاد لحكم الله أن قضية التوحيد والإيمان والانقياد للشرائع هي حق لله أمر الله عباده بإقامتها في أنفسهم وإقامتها في الناس بالدعوة والموعظة الحسنة فإن أصروا على الإباء والاِستكبار قوتلوا

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الجنة ونعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهلالجنة وأهل النار (المنهاج ح 7136) ولفظه عنده هو عن عياض بن حمارٍ المجاشعي : أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : <<ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني ، يومي هذا . كل مال نحلته عبدا ، حلال . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم . وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم . وحرمت عليهم ما أحللت لهم . وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا . وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك . وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء . تقرؤه نائما ويقظان . وإن الله أمرني أن أحرق قريشا . فقلت : رب ! إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة . قال : أستخرجهم كما استخرجوك . واغزهم نغزك . وأنفق فسننفق عليك . وابعث جيشا نبعث خمسة مثله . وقاتل بمن أطاعك من عصاك . قال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق . ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم . وعفيف متعفف ذو عيال . قال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له ، الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا . والخائن الذي لا يخفى له طمع ، وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك>> . وذكر البخل أو الكذب : <<والشنظير الفحاش>> ولم يذكر أبو غسان في حديثه : <<وأنفق فسننفق عليك >> . وفي رواية : بهذا الإسناد ، ولم يذكر في حديثه : <<كل مال نحلته عبدا ، حلال>> . وفي رواية : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيبا . فقال : <<إن الله أمرني>> وساق في الحديث بمثل حديث هشام عن قتادة . وزاد فيه: <<وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد >> . وقال في حديثه: <<وهم فيكم تبعا لا يبغون أهلا ولا مالا>> . فقلت : فيكون ذلك ؟ يا أبا عبد الله ! قال : نعم . والله ! لقد أدركتهم في الجاهلية . وإن الرجل ليرعى على الحي ، ما به إلا وليدتهم يطؤها . وانفرد به بين ال كتب الستة ، وذكره البزار في البحر الزاخر (419/8)، وفي تحفة الأشراف (11014)، والألباني في صحيح الجامع (ح 2637) . انتهى.

عليها ثم عذبوا حتى ينقادوا، ولا يضرهم قول هؤلاء الملاعين أن هذا مخالف لحقوق الإنسان وقواعد العصر فإن دين الله لا يقدم عليه مثل هذه الزبالات والعجب من بعض المفتونين من دعاة الإسلام – زعموا- يقيمون هذه الأحكام والأقوال في الفصل بين الخصومات الحاصلة بين الملحدين من العلمانيين وبين المسلمين.

فإن قيل للمجاهد من خَوَّلك وفَوَّضك لقتلي وأخذ مالي بسبب ما بيني وبين الله قيل له : إن الله أمرني بذلك ولو لم أفعل لكنت مثلك في العصيان، ولم أرَ غيظاً في قلوب هؤلاء على المجاهدين والدعاة بمثل هذه النكتة، إذ هو من قبيل الحسد الإبليسي أن الدعاة والمجاهدين يكِلون مستند أفعالهم لله والإسلام وليس لهم همّ إلا زبالات يعرفون صغارها وحقارتها.

4. في الحديث بيان هوان الخلق على الله في الدنيا كما هو هوانهم عليه في الآخرة إن لم يسلموا له، فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوا رسله وينقادوا لأمره، فإن لم يحصل هذا المقصد لم يكن لوجودهم أهمية ترعى أو تصان، بل هم هباء لا قيمة له، فما أهون الخلق على الله سبحانه من غير إسلام له، إذ لا قيمة لهم ولا لأبدانهم ولا لأموالهم ولا لملكهم ولا لسلطانهم، بل إن الله سبحانه وتعالى يسلط عليهم أهل الإيمان ليذيقوهم عذاب الدنيا قبل أن يصيروا إلى عذاب الله في الآخرة، وأما دعاوى أهل العصر أن الحقوق واحدة بين عباد الله والمشركين فهي من دعاوى إبليس والله يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ القلم. فما يقال إن النفس الإنسانية محترمة بذاتها دون النظر لدينها إن هو إلا هراء كلام يبرؤ منه دين الله تعالى ويبرأ منه المؤمنون، فإن قال قائل معترضاً على شرع الله بقدره: فلمَ خلق الله الكفرة إذاً؟ فيقال : إن الله خلق الإنسان ليبتليه في باب التوحيد والإيمان، وما خُلقت الدنيا إلا من أجل هذا كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة ، ولقوله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ الإنسان ، وإن من إبتلاء الله للمؤمنين هو معاداة الناس على هذا

الباب ليتم لهم تمام حبّ الله تعالى والحب في الله، وهذا لايقع إلا ببغض أعدائه ومقاتلتهم وإن من عذاب الله لعصاته أن يسلط عليهم المؤمنين فيزهقون أنفسهم ويغنمون أموالهم، وكما تقدم إن غزو الثأر للانتقام والقصاص، وقد ينشأ في أنفسهم الألم لذلك لكن ليس كالألم الذي يصيبهم من غزو أقوام سيطوقون ديارهم فإن سئلوا لِمَ جئتم قالوا : ((إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة))(1) فإن الغيظ الواقع على قلوبهم من هذه المقالة يفوق الوصف، وهذا من تمام عذاب الله تعالى في هذه الدنيا للكافرين وهو من هوانهم على الله سبحانه وتعالى.

إن الإسلام الذي حرم قتل الحيوان إلا لمنفعة الأكل أو لدفع ضرره هو الذي أهان الكافر وأمر بقتله لرفضه التوحيد فكان شأنه أقل من الدابة كما قال تعالى : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ الفرقان ، فسبحانه ما أحكمه وأعدله في خلقه.



(1) وأصل هذا الأثر جاء عن ربعي بن عامر ، وحذيفة بن محصن ، والمغيرة بن شعبة ، جميعاً لرستم قائد جيش الفرس في القادسية ، وهو يسألهم واحداً بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية ، قبل المعركة : ما الذي جاء بكم ؟ فيكون الجواب:الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا إلى سعتها . ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . . فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه ، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه . ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر . (البداية والنهاية 39/7) ، وذكر الألباني بنحوه في فقه السيرة (425) وقال عنه ضعيف وهو من رواية جديلمة ابن عبد يسوع عن رسول الله ﷺ: << باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما بعد : فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد . . . وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد . . . فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب ، والسلام >> . انتهى .

الحديث الثاني

عن معاذ بن جبل رضي الله عنهُ قَالَ : كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ ، فَقَالَ : <<يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ>>. قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : <<فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا>>. فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ : <<لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا>>[1] .

هذا الحديث يحوي فقهاً عظيماً للقلوب الواعية، فإنه يبين علة الوجود وأسَّ قيمته، فمن وعاها فقد أفلح وأنجح وإلا فهو من حطيم جهنم –أعاذنا الله تعالى برحمته منها– ويبين بإشارته ما للمشرك من حق إن عمل صالحاً

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار (ح 2701) وباب في الرجل يسمي دابته مختصراً (ح 2856) وكتاب الباس والزينة باب إرداف الرجل خلف الرجل (ح 5967) وفي كتاب الإستئذان باب من أجاب بلبيك وسعديك (ح 6267) وفي كتاب الرقاق باب من جاهد نفسه في طاعة الله (ح 6500) وكتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمتهُ إلى توحيد الله تبارك وتعالى (ح 7373) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (المنهاج ح 142 ـ 143 ـ 144 ـ 145) ، والترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، ولم يذكر قصة الحمار (ح 2643) . والحديث جاء بعدة روايات ومنها قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل ، فقال : (يا معاذ) . قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ) . قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قال : (يا معاذ بن جبل) . قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : (هل تدري ما حق الله على عباده) . قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) . ثم سار ساعة ثم قال : (يا معاذ بن جبل) . قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه) . قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : (حق العباد على الله أن لا يعذبهم) >> وهذا لفظ البخاري . انتهى .

ليعلم أهل الإيمان قيمة هؤلاء الذين يموتون على عمل صالح من غير إسلام كالذين يقاتلون من أجل أرض وغيرها وهم على عملٍ شركيٍ وكفريٍ:

يكفي هذا الحديث بيان المقابلة بين ما هو حق على الإنسان أن يؤديه بمنْطوقه، والعقوبة التي يست حقها إن فرَّط في أدائه بمفهومه، فإن الحق الواجب عليه أداءُه هو عبادة الله تعالى وحده وترك الشرك به، إذ العبادة حق خالص له دون ما سواه والتوحيد شرط لقبولها وهو أجلُّ العبادات وأعلاها، فالعبد لا يأتي بعمل أعظم من التوحيد ويشهد لذلك حديث البطاقة والذي في آخره : <<فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء >>(1) [قال الترمذي : حسن غريب] . فمن أتى بالتوحيد فقد حقق العبادة وحقه على الله ألا يعذبه، ومن ترك التوحيد فقد ضيع أعظم الحقوق وأجلها فاستحق العذاب، فليس للعبد من حق على الله سوى هذا، أما ما يحصل من فضل إيجابي على ترك العذاب بتحقيق التوحيد فهو من باب الفضل الإلهي لا من باب المقابلة ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم <<لا يدخل أحدكم الجنة بعمله>>(2) فإن دخول الجنة ليس مقابلة للعمل الصالح توجب الأداء وأما قوله سبحانه و تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ النحل ، وقوله : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الزخرف ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت، وقوله: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الطور

(1) أخرجهُ الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (ح 2648) ، وابن ماجة كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (ح4300) ، وذكرهُ الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (ح 792) ، وذكرهُ الألباني في صحيح ابن ماجة برقم (ح 3488) وكذلك في صحيح الترمذي (ح 2639) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب

المرضى باب تمني المريض الموت (ح 5673) ، وفي كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (ح 6464) بنحو هذا اللفظ ، ومسلم في كتاب صفة المنافقين باب لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله (المنهاج ح 7047 ـ 7053) . انتهى .

، وما في معنى هذه الآيات التي تبين أن دخول الجنة معلق بالعمل فإن هذا من باب ذكر السبب، إذ لا يقع شيء في هذه الدنيا ولا في الآخرة إلا بسبب، ودخول الجنة لا يكون إلا بسبب، والسبب هو عبادة الله تعالى وحده، و الجنة محرمة على المشركين، والحديث لا حجة لأحد فيه من المبتدعين الذين يجوزون على الله تعذيب المطيع ومكافأة العاصي إذ أن عدل الله وقدوسيته يأبيان هذا القول الشنيع الذي يجلُ عنه حكماء البشر وفضلاؤهم . فإن قيل ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: <<لو أن الله جل ثناؤه عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم>>(1) ، فهذا محمول على تقصير العباد لا في الشكر، فإن نعم الله تعالى توجب الشكر، ومهما شكر العبد فشكره قاصر عن أداء الواجب مقابلة، فالمطالبة متعينة في الذمة وإن لكانت لرحمة الله لا تحصل، ولو حصلت لاستحق العبد الجزاء والعذاب للتقصير والتفريط فلذلك قال صلى الله عليه وسلم: <<لو عذبهم عذبهم وهو غير ظالم لهم>> .

وقوله صلى الله عليه وسلم : <<أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً >> فيه بيان شرط التوحيد قبل العمل وأثنائه، فإنه لا يقبل الله من عمل عملاً إلا إن كان موحداً، ولا يقبل منه إلا أن أراده بهذا العمل وحده دون سواه، فالتوحيد أساس ولا بناء بلا أساس، وقصْد الله بهذا العمل شرط لطلب جزائه منه، ولو سأل سائل: فما هو جزاء

(1) أخرجهُ أبو داود في كتاب السنة باب في القدر (ح 4699) ، و في صحيح أبي داود (ح 4699) ، وابن ماجة كتاب المقدمة باب في القدر (ح 77) وفي صحيحه (ح 62) وهو عن الديلمي ، ولفظ الحديث عند أبي داود عن ابن الديلمي قال : أتيت أبي بن كعب ، فقلت له : وقع في نفسي شيء من القدر ، فحدثني بشيء ، لعل الله أن يذهبه من ق لبي . فقال : لو أن الله عذب أهل سماواته ، وأهل أرضه ، عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم : أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت

على غير هذا ، لدخلت النار . قال : ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك . قال : ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك . قال : ثم أتيت زيد بن ثابت ، فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل ذلك . انتهى .

المشرك على أعماله الصالحة؟ فالجواب: إن الكافر قد يقصد وجه الله بعمله مع شركه وكفره كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس ، وغيرها من الآيات التي تبين إخلاص الكافر في دعاءه عند حاجته وإضطراره، وهذا يبين أن المشرك قد يعمل عملاً صالحا بشرطيه -التوحيد والإخلاص- مع شركه في أبواب أخرى، وقد يقصد الكافر بعمله الصالح غير وجه الله كمن تصدق وأراد الشهرة والصيت الحسن فحينئذ يكون الأمر كالتالي:

أما المشرك الذي قصد بعمله وجه الله كمشرك صلى لله وحده وحج لله وحده وتصدق لله وحده فهذا له حق على الله أن يخفف عنه من العذاب بمقدار عمله، عملاً بهذا الحديث، وعملاً بعموم الآيات والأحاديث التي تبين أن الله لا يضيع عمل عامل، وهذا مقتضى عدل الله تعالى وحكمته ورحمته، وأما تحصيل الحسنات والتي هي سبب الجنة فهو غير مستحق لها لأنها فضل إلهي لا يستحقها إلا الموحدون لما بينته الآيات والأحاديث الكثيرة.

وأما إن قصد غير وجه الله فله ما طلب لقوله تعالى : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ ﴾ الإسراء ، ولقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشورى ، وقوله : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ هود، ولحديث النبي صلى الله عليه وسلم في مسند أحمد وصحيح مسلم قوله: <<وأما الكافر فيطعم بحسنات

ما عمل بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزي بها >>(1) وهو كذلك الموافق للعدل الإلهي المطلق، فإن العدل لا يخزم أبداً، إذ به تقوم السماء والأرض . وأما قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾النور، فهو لفعل الكافر عموماً حسنه وسيئه، صالحه وفاسده، وإن حُمِل على العمل الصالح تخصيصاً فلا تعارض لأن عمل الكافر لا ينجيه من النار بالكليّة وإن كان يخفف عنه من عذابها به، وبالتالي ليس فيه كفاية، وحاله كحال الصديِّ العطشان في الصحراء وجد بعض قطرات الماء فلم تغنه في دفع البلاء عنه .

ومفهوم الحديث أن العبد يستحق العذاب بالشرك لتركه حق الله تعالى وإتيانه بضده، وهذا مفهوم نطقت به نصوص شرعية كثيرة، فإنه لا مقصد لخلق الإنسان إلا هذا، وغيره تبع له، فإن تعمير الأرض وسعيَ الإنسانِ فيها وقيامَه بشأن نفسه والآخرين إنما تكون أهميته حين يأتي به المرء على وجه التعبد لله لأنه الموافق لمقصد خلقه ووجوده، أما إن جاء بهذه الأعمال على وجه التمتع ورغد العيش والرفاهية فإن له ما تولى ولا أجر له، ولذا لا يستحق المدح الديني ولا نسبةَ الصلاح له، و بهذا يظهر ضلالُ الكثيرين اليوم ممن يريدون إيجاب المدح الإلهي لقوم يكفرون به ويسبونه وينسبون له الشريك والولد، أو يأبون الخضوع لأمره وشرعه، وما دعاهم لهذا إلا سوءُ طويِّتهم وفراغُها من عظمة الله وهيبته ولو كان لله تعالى تعزيز في قلوبهم لما جرؤُوا على هذه ا المقالات الشنيعة، وإذا كان العبد لا يستحق الثناء ولا رفعة الدرجات ولا تحصيل الحسنات بعمله الصالح مع توحيده إذ ليس له من حق على الله إلا أن

---

(1) أخرجهُ مسلم كتاب صفات المنافقين باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة ، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا (المنهاج 7020) وانفرد به . ولفظ الحديث عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة . يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة . وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا . حتى إذا أفضى إلى الآخرة . لم يكن له حسنة يجزى بها>> . انتهى .

لا يعذبه فكيف يوجب هؤلاء المتهوكون على الله أن يعطي هؤلاء المشركين فضله وكرامته وهم يسبونه ويشركون به؟ !

اللهم إنّا نعوذ بك من العمي والضلالة.

حين وقع هذا الحديث موقعه من قلوب العالمين والمخبتين له فإنهم نسبوا كل ما يقع لهم من فضل في الدنيا إلى الله تعالى فهم أهل الحمد لربهم، كما سيكونون كذلك في جنة النعيم، إذ حمد الله تعالى في الأولى والآخرة، وحمده حين يرون صدق وعدِه ووعيدِه لأنهم لا يرون لهم حق واجب على مولاهم المنعم الرحيم، وكلما زادت النعم كلما غمط العابدون أنفسهم وامتلأت قلوبُهم حمداً لربهم حتى يصير بهم الأمر إلى الحشر يوم القيامة تحت لواء الحمد الذي يختص به أعظم الخلق على الله تعالى وهو الذي سمّاه الله أحمدَ ومحمداً.

وأساس الكفر نسبة النعم لغير الله تعالى كما قال الله عن المشركين: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴿٥٠﴾ ﴾فصلت، ومعنى قولهم: أي أني مستحق لهذه النعم، كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴿٧٨﴾ ﴾القصص، أي أتتني هذه النعم لما عندي من أسبابها التي تستحقها، وأساس التوحيد هو رؤية المنعم الحقيقي لكل ما يقع على الإنسان من خير وفضل، ولذلك جاءت الآيات والأحاديث تبين النعم الإلهية، مذكرة بها لينسب الإحسان لأهله، والقرآن أغلبه على هذا الباب في بيان حق التوحيد على العبيد كقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ... أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ... أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾الواقعة، وكقوله:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً

مَيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ الزخرف.

وتذكُّر ا لنعم وحمْد الله تعالى عليها سببٌ لزيادتها والبركة فيها كما قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴿٧﴾﴾ إبراهيم، بل إن أعظم ما يَسأل به الإنسان العابد ربه هو أن يحمده ويشكره كما قال أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إنّ شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وإنّ أعظم شكرِك لله أن تبذلَ له ما أنعم به عليك من نفسٍ ومالٍ وولدٍ .



الحديث الثالث

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدريرضي الله عنهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: <<مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ>> . قَالَ ثُمَّ مَنْ ؛ قَالَ : <<ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ>>(1) .

صدق صيارفة الحديث حين قالوا: إن للحديث الصحيح نوراً يعرف به وإنه للكذب ظلمة يعرف بها، ومن نظر في هذا الحديث بعين التقوى ومقصد خلقه علم أنه لا يخرج إلا من فم نبي، فإنه حدَّ للعابدين حدّي الخير لمبتغيه، ومن ينظر إلى اجتهادات الناس اليوم ومن سبق عَلِم أن الكثير مما يقولونه خارج عن حد الخير والعدل، فالحديث يهدي إلى فعل الطاعة لمن قدر عليها فإن تعذّرت فالخير في اعتزال الفعل، هذا إن أراد خير دينه، وأما قول من قال –وهم اليوم كثير– إن الشر هو خيارنا الوحيد فهم كاذبون على قدر الله وشرعه معاً فإن الشر لا يكون أبداً هو خيار المؤمن في حياته، إذ أن الخير هو الأغلب والأكثر في خلق الله وقدره، والله لا يأمر بالشر ولا يرضى به ولا يحبه، لكن إن صارت مطالب الإنسان متعلقة بالهوى والشهوة، لا بالكفاية والضرورة والحاجية حينئذ يتصور أنه لابدّ له من الشر والمعصية فيفتي له هواه وشيطانه من الجن والإنس أن ضرورة الحياة تجيز له المعصية والشر، وهذا هو أساس ضلال الكثير من الفتاوى هذه الأيام، فإنهم يأخذون أحكام الضرورات ويستخدمونها للتحسينات والشهوات.

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد وسير باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (ح 2786) وفي كتاب الرقائق باب العزلة راحة من خلاط السوء (ح 6494) ، ومسلم في كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط (المنهاج 4863 ـ 4864) ، وأبو داود كتاب الجهاد باب في ثواب الجهاد (ح 2485) ، والترمذي في كتاب الجهاد باب ما جاء أي الناس أفضل (ح 1660) ، والنسائي في كتاب الجهاد باب فضل من يجاهد في سبيل الله (ح 3105) ، وابن ماجة في كتاب الفتن باب العزلة (ح 3978) . انتهى.

الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، والعامل فيه قائم في الذروة من الفضائل فلذلك هو أفضل أهل الإيمان، والجهاد بالنسبة لهذا الفاضل هو عمل حياته الذي رضيه لنفسه، فيه يقضي أوقاته، وفيه باب رزقه ومعيشته، وهذا هو الذي رضيه الله تعالى لأعظم البشر بعد الأنبياء وهم أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان الجهاد هو عمل حياتهم ولم ينتفعوا في حياتهم من مال ونعيم كما انتفعوا من حياة الجهاد ولذلك سمى الله الجهاد " حياة "كما قال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾﴾ الأنفال.

والجهاد درجات أعظمها أن يجاهد المرء بنفسه وماله، فإن خرج بنفسه ومال غيره فحسن لكن دون الأول في الدرجة، وإن بذل ماله دون نفسه كان كذلك، وأولى الدرجات وهو أن يخرج بنفسه وماله فلا يعود بشيء من الغنيمة فإن أصابته الشهادة فهي منزلة المنازل وأعظمها وأجلها، والله يؤتي فضله من يشاء.

قوله: <<مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ>>(1) فإن المؤمن الذي لا يقدر على الجهاد وما كان في معناه من طلب العلم ونشره والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أفضل ما يعمله هو الاعتزال بعيداً عن أذى الناس وإيذائهم، فالعزلة خيار إيماني أضاعه الناس اليوم من أذهانهم، وغيابه من خيارات الأعمال جرّ على الناس الكثير من الباطل والإثم. والعزلة لها أحكامها العامة، فهي خيار لمن لم يقدر على العمل سواء من جهة نفسه أو جهة واقعة، فإن الأفضل هو العمل لقوله صلى الله عليه وسلم: <<إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ>>(2) ، ولكن مما

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب (2) أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (ح 2825) مطولاً ، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد باب (24) مَا جَاءَ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ (ح 1761) ، والنسائي في فضائل الصحابة باب (7) فَضْلِ مَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ (ح 3118) . (2) أخرجهُ الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب (120/55) ونصهُ عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أراهُ عن النبي صلى الله عليه وسلم (يتبع في الحاشية التالية).

خلق الله من البشر أن يكون ضيق النفس إن رأى الشر يعظ في الابتداء ثم تضجر نفسه فيتحول وعظه إلى تبكيت وقسوة فهذا في قلبه النكارة والكره فهذا يخاف على دينه وإيمانه، كما يُخاف عليه أن يقع فيما وقعوا فيه فهذ ا هروبه من الناس خير له وأسلم بل قد يكون بالإعراض والعظة والتنبيه، وكما قال تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ النساء ، والذي يُعرف عن السابقين هو اعتزال الناس عموماً في آخر العمر وتفرغهم للعبادة كما ذكر أهل المدينة من تفرغ للعبادة بعد الأربعين إلا من كان متكلفاً عملاً من أعمال المسلمين الواجب أداءها .

وأما الاعتزال بسبب الواقع والحال فإن الشر قد يعم ويمنع الخير ويحارب وتصم الآذان عن السماع والا هتداء فإن سنة الأنبياء هو الهجرة كما وقع لإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام ومعه لوط الذي آمن معه، وفي الحديث أنّه <<ما من نبي إلا وقد أخرجه قومه>>(1) كما قال ورقة بن نوفل عندما علم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما عُرِض عليه من قِبَل خديجة رضي الله عنها .

والعزيمة مراتب يشرح مراتبها الرد على الذين لا يرون إلا خيار العمل بمعصية الله وكأنه لازم للمسلم، إذ نرى ونسمع الذين يسلكون سبل الباطل من الأعمال الكثيرة بحجة أنّ على أهل الإسلام أن يملؤوا هذه السبل وإلا تركت للعصاة أو غير المسلمين من المشركين والمرتدين، فدوماً حين يسألون عن دينهم الذي دانوا به حتى جلسوا هذه المجالس واقترفوا هذه الأعمال أجابوا بأن أهل الإسلام إن لم يعملوها عملها أهل الباطل، وهذا من باب تقليل الشر ما أمكن،

== قال : <<إن المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم ، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم>> ، والإمام أحمد في مسنده (94/7) اللفظ له ، وابن مفلح في الآداب الشرعية (449/3) وقال رجاله ثقات . انتهى .

(1) أخرج البخاري بنحوه في كتاب التعبير باب أول ما بُديءَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة(ح 6467) .انتهى .

والحديث هنا ليس على ما يجره سلوكهم من الباطل عليهم في دينهم كما نرى من واقعهم وعلى ما يجره على دين الله تعالى في أذهان الناس وعقولهم ولكن التنبيه هنا إلى أن هؤلاء القوم جهلوا أن الواجب اعتزال الباطل، فلسنا وكلاء على الناس كما قال الله لنبيه – ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾ الشورى – فالمطلوب هو تطبيق حكم الله تعالى أولاً وهو هجران الباطل – ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ۝٣٧﴾ الشورى – وقد أحسن من قال : إن فعل هؤلاء أشبه بمن يقول وقد رأى امرأة تريد الزنا ولا بدّ، فقال : أن أزني بها أنا وأسترها من الفضيحة (من باب تقليل الشر) خير أن يزني بها فاجر ويفضحها .

إن المؤمن الذي يتقي ربه ويريد سلامة دينه إن لم يقدر على الحق كما أمر الله تعالى به فإنه يهرب من الباطل ولا يأتيه، وهذه هي سيرة السلف التي عملوها وحضّوا الناس عليها، وقد سمى سفيان الثوري إتيان الباطل تحت ذرائع وهمية بخديعة إبليس، وقد صدق رحمه الله تعالى .

ولهؤلاء حجج كثيرة أغلبها تقوّل عن أهل العلم تتعلق بالموازنة بين الحق والباطل، وأن تقليل الشر مطلب شرعي كما تحصيل المنفعة، ومما لا ريب فيه أن هذه القواعد – الموازنات– قواعد صحيحة في وضعها العلمي لكن على ذلك تنبيهات فيها:

1 .. أنه لغلبة الهوى هذه الأيام وقلة التقوى كما هو مشاهد فإن أي منفعة ولو كانت من باب الشهوة والتحسينات فإنها تضخم وتسبغ عليها كلمات الباطل وكأنها من ضرورات العامة والمسلمين من أجل تبريرها وإتيانها، وواقع الحال وقواعد العمل يشهدان أنها شهوة خاصة ولا زيادة.

2 ـ ومما يزيد الأمر خطورة أن الكثير من هذه المصالح الدنيوية تصادم حق الله تعالى وخاصة ما تعلق بتوحيد الله في شرعه وأمره، وأهل العلم مجمعون على أن حق الله تعالى مصلحة أعظم من كل المصالح، فضرورة الدين مقدمة على كل الضرورات الأخرى كالنفس والمال والعرض والعقل، ولكنك ترى هؤلاء

يجيزون أعمالاً شركية وكفرية مقابل تحصيل مصالح دنيوية لا تصل لدرجة الضرورة، وهذا من باب الجهل والضلالة.

3 ـ أن دقة "فقه الموازنات" في أحيان كثيرة لا يهتدي إليه الفقيه الراسخ لدقته أو لتعقيد الواقع وعدم تبسيطه كما هو في واقعه العلمي، ومع ذلك فإن هؤلاء يفتون للعامة وللجهلة ويوسعون الباطل شبراً فيأخذه الجاهل ذراعاً، ويجعل كلام هذا المفتي جسراً له على جهنم، فمثل هذه المسائل لا يطلق فيها القول لتغير الظروف حين يتعلق الأمر مع أمور دقيقة في تقديرها وموازنتها.

4 ـ ومما يشهد لانحراف هذه الفتاوى التي تطلق للعموم من باب " الموازنات" إنما هي في أصل وضعها من قبل العلماء السابقين كانت لمن تعينت في حقه من العلماء والمقدمين وأهل الفنون والعقل والنظر، ولم توضع لعموم الناس فيأخذها "الرويبضة" ويزعمون أنها لهم وهم أحق بها فيفسدون أكثر مما يصلحون، بل لو تركوها لأهل الباطل لكانت منهم منفعة أكثر، فإن الواقع يشهد أن كثيراً من المنافع للمسلمين تحصل على يد أهل الباطل بأكثر مما يحصله الزاعمون إتيانها تديناً، فإن هؤلاء تصبح عندهم "موازنة جديدة " وهو البقاء في العمل مصلحة على أي مصلحة أخرى، فخوف ذهاب المنصب أو العمل يحكم ما يأتون ويذرون، فلا الباطل تركوا ولا مصالح المسلمين حصلوا، فعاد الأمر باطل لا خير فيه.

والمحترزات والتنبيهات على فقه "الموازنات" كثيرة، وكل يوم نشهد باطلاً ينتشر وحقاً يكتم ويُستر، يمارسه المفتون به دون فقه دقيق، ولا ورع يحميهم، وآخذون به والفون بلا إهتمام لإيمانهم وتقواهم.

فهذا الحديث عظيم في هذا الباب لمن ابتغى حفظ دينه وطلب الفضل والرفعة وتحصيل التقوى : فإما الحق كما أمر الله تعالى، والجهاد للباطل أعلاه وأرفعه وإما الاعتزال والهجرة، وهذا أسلم للمرء لدينه في الدنيا والآخره، وأما الزاعمون أنهم قادرون على السباحة في الوحل وعندهم من التقوى ما يحمي قلوبهم، ثم لم يكتفوا بالسباحة بل تضلعوا منه شبعاً ورياً فالله بصير بالقلوب وخطراتها، وهو أعلم بمن اتقى.

كل هذا يقع حين تكون الموازنة بين خير وشر يشتبه أمرهما لدقة مقاربتهما في الفكر والنظر، ولكن واقعنا يشهد أن القوم -مفتين وأتباع- تجرؤوا على الحرمات الصريحة بنصوصها، فالربا والخمر وقول الباطل ولبس الإثم كل هذا صار يحل بشبه واهية تحت باب التيسير ووجود الاختلاف فيها، والمقدم من المفتين من يبيح أكثر من غيره ويوسع للناس شهواتهم وأهواءهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبهذا يعلم أن أعظم ما في هذا الحديث من فقه: أن الباطل إما أن يجاهد، وإما أن يعتزل، والحق أن الباطل لا يرضى بعزلتك، لأن إمامه هو الشيطان، وقد وطن نفسه أن يهلك ابن آدم بالمعاصي بتزيينها كما قال : ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾الأعراف . بل سيشد على أذقانهم حبالاً ثقالاً ليجرهم إلى الباطل كما قال : ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾الإسراء .

والباطل إن لم تشغله بالجهاد شغلك "بصوته ورَجِله وخيله"، ولذلك من أعظم طرق اتقاء الباطل هو مجاهدته.

وفي يومنا هذا يعد اعتزال الناس حتى لا تؤذيهم ويؤذونك ضرباً من العجائب، لأن جند الشيطان ألزموا الناس بكل قانون، ولاحقوهم حتى إنهم يدخلون معهم في أزواجهم وأموالهم ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ ﴿٦٤﴾﴾الإسراء . فالجهاد هو السبيل الأقوم لتحقيق سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

وأما أجر الجهاد فهو في أبواب أخرى مذكورة في أبوابها، وأما ترك الشر والإساءة للناس فهي من أعظم الأعمال لمن عجز الصالحات العملية و <<المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره>> و

<<كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه>>(1) ولعظمة حرمة المؤمن عند الله فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك في آخر ما أوصى به أمته، في يوم الحج الأكبر، في حجة الوداع حين قال: <<إن أموالكم ودماءكم

---

(1) جاءت عدة روايات في هذا الباب وهي عند البخاري ومسلم وأحمد ولها عدة صيغ ومنها ما فيه ضعف ولم أقف على رواية الشيخ التي ذكرها هنا فيما أعلم مما عندي من كتب ولم اعرف من خرجها بالصيغة المذكورة أي بزيادة <<ولا يكذبه>> وأرتبها على ترتيب التخريج أولاً الشيخين ثم احمد رحمهم الله وروايات هي : أولاً رواية البخاري : عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، اَنَّ سَالِمًا ، اَخْبَرَهُ ا نَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ . رضى الله عنهما . اَخْبَرَهُ اَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : << الْمُسْلِمُ اَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ اَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ>> . كتاب الإكراه باب (8) يَمِينِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ اِنَّهُ اَخُوهُ، اِذَا خَافَ عَلَيْهِ الْقَتْلَ اَوْ نَحْوَهُ (ح 7037) . ومسلم : عَنْ اَبِي، سَعِيدٍ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ اِخْوَانًا . الْمُسْلِمُ اَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ . التَّقْوَى هَا هُنَا >> . وَيُشِيرُ اِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ <<بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ اَنْ يَحْقِرَ اَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ>> . في كتاب البر والصلة باب (10) تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ (المنهاج ح 6487) ، والإمام أحمد في مسنده : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ اَبِي عِمْرَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ : <<اَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ الْمُسْلِمُ اَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَيَقُولُ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا اِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ اَحَدُهُمَا وَكَانَ يَقُولُ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ عَلَى اَخِيهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ سِتٌّ يُشَمِّتُهُ اِذَا عَطَسَ وَيَعُودُهُ اِذَا مَرِضَ وَيَنْصَحُهُ اِذَا غَابَ وَيَشْهَدُهُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ اِذَا لَقِيَهُ وَيُجِيبُهُ اِذَا دَعَاهُ وَيَتْبَعُهُ اِذَا مَاتَ وَنَهَى عَنْ هِجْرَةِ الْمُسْلِمِ اَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ>> . (ح 5103) ، والرواية الثانية قال حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ قَيْسٍ، عَنْ اَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ اَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : <<لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ اَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ اَخِيهِ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ اِخْوَانًا الْمُسْلِمُ اَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَاَشَارَ بِيَدِهِ اِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَسْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنْ الشَّرِّ اَنْ يَحْقِرَ اَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ>> . (ح 7402) ، وفي روايةٍ أخرى قال حَدَّثَنَا اِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ، وَأَبُو نُعَيْمٍ قَالَا حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ قَيْسٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ اَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : <<لَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ اِخْوَانًا الْمُسْلِمُ اَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ قَالَ اِسْمَاعِيلُ فِي حَدِيثِهِ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى هَاهُنَا يُشِيرُ اِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثًا حَسْبُ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ اَنْ يَحْقِرَ اَخَاهُ الْمُسْلِمَ>> . (ح 8365) وغيرها عند الإمام أحمد . انتهى .

وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا >>[1] ، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث ترك إيذاء المسلمين لمن عجز عن الصالحات فإن ذلك صدقة.

ثم تأمل نور هذا الحديث في بيان المقابلة بين ما هو أعظم الأعمال إيجاباً وبين أعظم الأعمال سلباً، وبين إيذاء الله اعداءَ الله بالجهاد وترك إيذاءِ المسلمين بالعزلة نعلم أن هذا الكلام لا يخرج إلا من فم نبي مهدي مسدّد ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ الشورى.

وقد ورد لهذا الحديث ألفاظ منها قوله صلى الله عليه وسلم:<<مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ>>[2] .



---

(1) أخرجهُ الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء دماؤكم وأموالكم عليكم حرام (ح 2166) ولفظهُ عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال : <<أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال أي يوم أحرم ، أي يوم أحرم ، أي يوم أحرم ؟ قال : فقال الناس : يوم الحج الأكبر يا رسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، ألا لا يجني جان إلا على نفسه ، ولا يجني والد على ولده ، ولا ولد على والده ، ألا إن المسلم أخو المسلم ، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه ، ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع ، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، ألا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وأول دم أضع من دم الجاهلية دم الحارث بن عبد المطلب ، كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل . ألا واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنما هن عوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . ألا وإن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون . ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن>> . (2) أخرجهُ مسلم في كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط (المنهاج ح 4863 ـ 4864 ـ 4865 ـ 4866 ـ 4867 ـ 4868) ، وابن ماجة في كتاب الفتن باب العزلة (3977 ـ 3978) . انتهى .

الحديث الرابع

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : <<تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَار وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ>>[1] .

العبادة هي الخضوع والطاعة، فيقال: عَبَّدتُ الطريق، أي سهلتها للمسير عليها، وذلك بإزالة الموانع حتى تستجيب للسالك فكل من انقاد لشيء على جهة الحب والخوف استقلالا فهو عابد له، وضابطه هو ما ورد في هذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: <<إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط>>ذلك لأن نيته ونهمته دون سواه، فهو عامل له، ساعٍ من أجله، فسعي المؤمن في صلاته وعبادته هو تحصيل رضى الله تعالى، فإن حصلها فهي غايته لا يطلب سواها، وإن فاتته الطاعة وهي سبب رضى الله تعالى حزن، ومن سعى لدرهم أو غيره في صلاته وع بادته كالجهاد ونشر العلم وغيرها فحصل مطلوبه رضيت نفسه وفرحت لما نالت من مطلوبها، وإن فاتها المطلوب حزنت وسخطت، فهذا هو الدليل على معبود الإنسان في عمله، وهو ضابط الرياء والإخلاص، وهو كما ترى تحقيق معنى العبادة لغوياً، لأن العبادة كما تعلم هي الخضوع والطاعة ، وهذا الضابط المذكور هو المعنى الحقيقي للخضوع القلبي والطاعة الباطنة، فإن من خضع لشيء أحبه حتى صار مطلوبه ونهمته، يرى كل شيء فيه، يسير وجهته ويطلب

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (ح 2886) وفي كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال (ح 6435) ، وابن ماجة في كتاب الزهد باب في المكثرين (ح 4135 ـ 4136) . انتهى .

رضاه ويتبع أثره.

في هذا الحديث كذلك ضابط حقيقة الجهاد في الله تعالى دون سواه وهو قوله : <<طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله . . . >>إلخ الحديث الم ذكور ، فإن حال المخلص لربه هو عدم الإ تصاب لغيره لا في زيه ولافي عمله ولا في حاله: أما الزي فهو في قوله: <<أشعث رأسه، مغبرة قدماه>> وذلك لإلتهائه عن ذلك بما هو فيه من الإنغماس في الجهاد، فهو مستغرق فيه بكليته، لا يتطاول بشارة ليبصره الناس، وبِعَلَمٍ يعلم الناس مكانه وأفعاله، وقوله صلى الله عليه وسلم : <<أشعث رأسه، مغبرة قدماه>> لا يعني أنه يتكلف ذلك ليكون كذلك، بل هو في حال لا تكون نتيجته إلا كذلك، ومن نافلة القول التنبيه أنّ تكلف ذلك ليس عبادة مطلوبة لله تعالى، بل تكلف ضدهما في حال لا يكون مشغولاً بطاعة الجهاد هو المطلوب الشرعي من التجمل والإغتسال عن الأدران وغيرها لأحاديث عدة ولقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴿٣٢﴾﴾ الأعراف . ومقصود هذا الوصف (أشعث. . . مغبرة. . .) إنما هو الانشغال التام بما هو فيه وذلك لإخلاصه، فلو كان غير ذلك لما أهمه في إحسان عمله بل رغبته بتحسين صورته . وأما العمل فهو قوله صلى الله عليه وسلم <<اِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَاِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ>> فهذا رجل لا يفاضل بين الأعمال بحسب قيمتها بين الناس إنما بحسب ما يطلب منه لأنه الأليق به فيما يرى له أميره، أو فيما يرى من نفسه، ومثل هذه الأعمال سمتها الخفاء وجفاء الناس عنها لمشقتها وعدم تنافس الناس فيها لعدم صيتها وقلة مرتبتها في الدنيا ، وإن كان لا قِوامَ للجهاد إلا بهما ، ولكن الناس يرون أن هذه الأعمال من مراتب الخدمة التي تهين صاحب ها في دنياهم فيرغبون عنها في جهادهم، وشتان بين العمل حين يكون لدنيا وأجرة وحين يكون في سبيل الله، فهذا إبراهيم عليه السلام خليل الله، وابنه إسماعيل الصادق المرضي يكلفهما الله تعالى بخدمة بيته فيقول : ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ البقرة، وقال عن إبراهيم خاصة كما في سورة الحج : ﴿وَإِذْ

بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ الحج.

وأجر الحراسة عظيم كما في الحديث: <<عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله>>(1) ، وخدمة العابدين كانت قريش تتنافسها وراثة من أبيهم إبراهيم عليه السلام، فالسقاية أحد الألوية التي كانوا يتنافسونها مع الرفادة وهي إطعام الحجيج . وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل مع الساقة للحجيج ولكن تركه مخافة أن ينازع الناس أهله وظنهم أن هذا جائز لهم – أي منازعة أهله– وقال للسقاة: <<أكملوا فإنكم على عمل صالح >> ثم قال : <<لولا تغلبوا لن نزلت حتى أضع الحبل على هذه>> وأشار على عاتقه صلى الله عليه وسلم (2) ، مع أن السقاية كانت لعمه العباس رضي الله عنه، فالمقصود أن المخلص لربه في جهاده لا يتشوق إلا إلى رضاه، فهو غافل عن حظ نفسه، ولو أراده ا لما اختار إلا الأعمال التي فيها الحظوظ لها، وأمره ليس كذلك . وأما في حاله فهو قوله: <<إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع>> ذلك لأنه خفي عن الناس بما هو فيه من إِعمار الباطن، فالناس لا يعرفونه لعدم اشتهار اسمه أو نسبه أو أفعاله، والحق أن أهل الإيمان والتقوى لا يخفى عليهم حال هؤلاء، بل يعرفونهم وقد يطلبونهم كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قال: <<لو كان سالم مولى حذيفة حياً لوليته>>(3) وعمر كان خبيراً بالرجال ومع

(1) أخرجهُ البخاري في العلل الكبرى (ح 271) ، والترمذي في كتاب الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله (ح 1639) بمعناه ، وباب ما جاء في فضل الحراسة في سبيل الله (ح 1645) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الحج باب سقاية الحاج (ح 1528) ولفظهُ عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل ، اذهب إلى أمك ، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها . فقال: اسقني . قال : يا رسول الله ، إنهم يجعلون أيديهم فيه . قال : اسقني . فشرب منه ، ثم أتى زمزم ، وهم يسقون ويعملون فيها ، فقال : اعملوا ، فإنكم على عمل صالح . ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزلت ، حتى أضع الحبل على هذه يعني : عاتقه ، وأشار إلى عاتقه . (1) أخرجهُ الإمام أحمد في

مسنده(80/1) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (404/58) ولفظهُ عنده قال عمر : لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته فإن سألني ربي قلت سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم يقول هو أمين هذه الأمة ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا (يتبع في الحاشية التالية) .

ذلك قال : <<رحم الله أبا بكر كان أعلم مني بالرجال >> والبعض كان يتركهم لما هم فيه من الرغبة في الاختفاء، والمقصود أن هذا الإخلاص لا يغيره ما يقوله الناس عنه، ولو كان مقصوده غير الله لسخط كما يسخط غيره، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾التوبة، وحين ترى اليوم بعضهم وهو يعدد فعاله وتاريخه ليدلل على أن له شأناً لم يقم به الناس له، ولم يقابلوه بمثله، فيجعل ذلك سبباً للسخط والغضب وترك العمل الصالح، فيقول أحدهم: (**لقد تكلمت كلمة الحق وعذبت في سبيلها ولم أجد أحداً ينتصر لي أو لم يأبه لي أحد ، فهؤلاء قوم لا يستحقون أن يقدم لهم شيء**) **ولو تفكر هذا القائل بهذه المقالة الخبيثة لعلم أن عمله قد حبط بسببها** ، ولو راجع تاريخ العاملين لدين الله تعالى لعلم أن هذه سيرة مضطردة، فأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم قدّموا كل شيء، المال والروح والولد ، ولم يجدوا ما يقابل ذلك شيئاً من الدنيا ، بل أخبرهم رسولنا صلى الله عليه وسلم أنهم سيجدون بعده أثرة فأمرهم بالصبر وقد فعلوا فرضي الله عنهم وأرضاهم، وقد رأوا المال العظيم يقسم أمام أعين لمن قاتلوهم وذلك في حنين، فوجدوا في أنفسهم بعض شكوى فلما هبت ريح الإيمان بموعظة رسول الله: <<أما ترضون أن يرجع الناس

== لاستخلفته فإن سألني ربي قلت إني سمعت نبيك يقول إن الله يبعثه يوم القيامة رتوة بين يدي العلماء . وفي رواية الإمام أحمد قال : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مستندا إلى ابن عباس وعنده ابن عمر وسعيد بن زيد رضي الله عنهما فقال : اعلموا أني لم أقل في الكلالة شيئًا ولم أستخلف من بعدي أحد وأنه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حر من مال الله عز وجل فقال سعيد بن زيد : أما إنك لو أشرت برجل من المسلمين لأتمنك الناس وقد فعل ذلك أبو بكر رضي الله عنه وأتمنه الناس فقال عمر رضي الله عنه قد رأيت من أصحابي حرصا سيئًا وإني جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ثم قال عمر رضي الله عنه : لو أدركني أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة

بن الجراح . (3) أخرجهُ ابن خلدون في تارخيه في الجزاء الأول ، في فتح المدائن وجلواء بعدها ، وابن الأثير في الكامل في الجزاء الثاني في ذكر فتح حمص وبعلبك . انتهى .

بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم >>(1) حتى بكت عيونهم فرحاً بما رجعوا به، وقالوا : (رضينا) . بل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلب من أمته شيئاً لنفسه في هذه الدنيا سوى مودة أهل بيته فقال سبحانه : ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ ﴿٢٣﴾﴾ الشورى، ومع ذلك قتل الناس أحب أهل بيته إليه الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وما رعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة، وهؤلاء كبار الصحابة كسعد بن أبي وقاص يتنازع الناس الخلافة وهو مشغول عنهم ببناء حوض ماءٍ لإبله، والذين يتنازعونها ما أسلموا إلا بيده وأيدي أمثاله، وهذه الخلافة قد آلت إلى من قوتلوا على الإسلام، ومن قاتلهم عليه حاضر يرى كما قال ابن عمر فصبروا وتذكروا ما أعد الله من النعيم في الجنة فسكنت نفوسهم، فهذه سيرة مضطردة تكشف مخبوء النفوس ونيتها في عملها وجهادها .

وهكذا المقابلة بين الحالين: حال من سخط لذهاب بغيته ورضاه إن حصلها ، وحال من عمل من أجل الآخرة فهي نهمته ورغبته لا يعيضه شيئ عنها ، لا يهمه إن فات ما فات ولم تفت هي، وطوبى : من الطيب لغةً، قلبت الياء واواً، وفي الحديث هي شجرة في الجنة.

وفي الحديث من الفوائد : أن مقامات الآخرة والفضل الإلهي ليس بحسب مقامات الناس بينهم في المناصب والأموال، بل إن المترفين هم أكثر الناس صدوداً عن الذكر كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ سبأ،

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب اللباس باب القبة الحمراء من أدم (ح 5860) ، ومسلم في كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (المنهاج ح 2433) . انتهى .

وفي القرآن ربط دائم بين العلو والفساد كما قال عن بني إسرائيل : ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ الإسراء، وكما قال عن فرعون : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا ﴿٤﴾﴾ القصص، وقد وعد الله وراثة الأرض للذين ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴿٨٣﴾﴾ القصص ،والجهاد والبلاء لا يستقيم إلا لأهل الصبر والإحتساب، وقد كشف الله المنافقين بالجهاد كما في سورة التوبة، تلك السورة التي سميت بالفاضحة لأنها فضحت المنافقين، وغالب ما فيها من صفات فاضحة لهم إنما كشفت بالجهاد فهم الذين : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وهم ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ وهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴿٤٩﴾﴾ وهم الذين ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ وهم ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ التوبة . وغيرها، وهذا يدل على قوة هذا الضابط في التفريق بين الصادق والمرائي، بين المؤمن والمنافق وفي الحديث: <<من مات ولم يغز ولم حدث به نفسه مات على شعبة من النفاق>>[1] وهو تفسير لهذه الآيات ولا شك.

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الجهاد باب ذم من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو (المنهاج ح 4908) ، وابو داود في كتاب الجهاد باب كراهة ترك العزو (ح 2502) والنسائي في كتاب الجهاد باب التشديد في ترك الجهاد (ح 3097) . انتهى .

قوله صلى الله عليه وسلم:<<تعس وانتكس>> هو شأن من عمل لغير الله لا يدوم أمره ولا يصبر، بل ينقلب حيث لم يصب مراده من الدنيا، و هو وإن كان دعاءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، فهو كونه وقدره، صفة لازمة لمن لا يريد وجه الله تعالى كما قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾الحج ،

وقوله: <<وإذا شيك فلا انقش>> فهو دعاء عليه أن لا يصيب مراده بانتكاسته، فإن هذا يرتد وينقلب على عقبه رجاء جبر دنياه الذاهبة بسبب البلاء، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عليه أن لايلتئم له شأنه ولا يعود له ما رجاه حتى لو كان مجرد زوال شوكة عنه. أما قوله <<تعس>>فهو دعاء وحقيقة كو نية، فإن من تشتت همّه إلى مطالب عدة تنقلت به أمواله وأتعبته سبلها، كلما أراد شيئاً وجده سراباً لا غناء فيه ولا كفاية، ومن جعل الله قصده وغايته ونيته فهو كافيه لأنه نعم الوكيل ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ٣٦﴾الزمر .

وفي الحديث فائدة جليلة أن العبادة ليست في أعمال النسك فقط كالصلاة والسجود والدعاء بل هي أشمل من ذلك وأعم، وهذا ما لا يعرفه إلا أهل الإسلام من معنى العبادة، بل لا يعرفه إلا العالمون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالحمد لله على تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته هذا الفضل والكرم.



الحديث الخامس

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : <<أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ>>(1) .

هذا دين حق وخير، من أين أتيته وجدته هدى ونوراً، وما أفسد الأمة إلا الأهواء وآراء الباطل التي تحملتها من غير سبيل القرآن والسنة، فهذا الحديث هو باب حقيقة الفاعلية التي يسعى إليها العقلاء لأمتهم فإن فساد الأمم وشعوبها في إلقاء التكاليف والكسل والعجز، والاِ نكفاء على الذات، وأنح ياة الأمم والشعوب في فهم وتحمل المسؤولية، بحيث يرى كل واحد أنه المعنيُّ بالخطاب وأن الأمر له دون بقية أهله، محتقب بالإثم إن فرط فيه أو قصّر عنه، وما حقق الأولون من أعمال عظيمة كانت لها الفرادة في تاريخ البشرية، والصدارة في إنجازات الأمم إلا لهذه العقائد والمفاهيم، وحين دخل النسك العجمي والتعبد الجاهلي على أمتنا وانسحب الناس عن مسؤولياتهم عاد الجَمْرُ حطباً بارداً ورفاتاً هيناً، وحين يحس المرء بأهميته لأمته وأهميةِ أمته له تكتمل دورة الحياة وتحصل المنجزات، أما حين تموت هذه الصلة بين الفرد والأمة، فلا يرى لنفسه شأناً معها ولها، ولا يرى لأمته قيمة فحينها يكون الموت

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبد أو أمتي(ح 2554) وفي كتاب الأحكام باب قوله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (ح 7138) ، ومسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر ، والحث على الرفق بالرعية . . . (المنهاج ح 4701 ـ 4702 ـ 4703 ـ 4704) ، والترمذي في كتاب الجهاد باب ما جاء في الإمام (ح 1705) . انتهى .

الحقيقي لكل المشاريع التي هي حقيقة حياة الأمم ومقاصدها .

المسؤولية، والفعالية، وصيغة العلاقة بين الأمة وحقيقة الروابط، وتوزيع التكاليف، ومصدر الحق وطبيعته، هذه أسئلة أعيت الأمم وأتعبت عقلاءهم، وسُكب من أجلها آلاف المحابر، وتناطح فيها دعاة الإصلاح، لأنها إن أدركت وخضع الناس لها بتراضٍ ورغبة باطنية تحقق المراد من الفرد باعتباره مستقل الإرادة محتر م الاعتبار، وتحقق المراد من الاِجتماع بتسمية المجموع أمة تتحقق لها أهدافها ويحصل لها مقصودها ، بلا تعارض بين الفرد والأمة، وبلا تفريط في الحقوق، وبلا ضياعٍ للأهداف .

هذا الحديث لوحده كافٍ للإجابة على هذه الأسئلة الأرضية الحائ رة، وبكلمات نبوية صادقة حَمَّل الكلَّ التكليف، وأخضع الجميع للواجب، وفرض على الكل الطاعة، وفسَّر مصدر الحق ومنبع قوته .

إن الحياة لا تستقيم إلا بتنظيم، وهذا التنظيم في ظاهرة يوزع الأمة إلى دوائر، وللوهلة الأولى يحصل الوهم أن هذه الدوائر والمؤسسات هو تفرق وتنازع، كما يحصل الوهم أن هذا التوزع يلغي العلاقة بين أفراد هذه الم ؤسسات وبين الآخرين من هذه الأمة، فحين يكلف الشرع الحاكم القيام بالجهاد مثلا فيُظنَّ أن الجهاد هو تكليف لمؤسسة ولدائرة من الأمة هو الدولة وبقية الأمة غير معنية به، ومثل ذلك الحدود، أو حين تنش أ مؤسسة ودائرة للعلماء فينشأ الوهم أن العلم مسؤولية لهذه المؤسسة دون سواها ، وبقية الأمة غير مكلفة بهذا الواجب وهذه هي البدعة الكبرى التي تصيب الأمم وتدمرها ، وإذا كان للعابدين بدع تفسد عبادتهم، وإذا كان للعلماء بدع تفسد عملهم فإن للأمم بدع تفسد فاعليتها وأه دافها كلها تدور حول المسؤولية .

الغاية المثلى ه ي خضوع الأمة للمفاهيم، بحيث تكون السلطة لها ، فتكون هذه المفاهيم أعرافاً في حس الناس ومشاعرهم وفي القانون الغالب، يخضع له الناس ويتداولونه كما يتداولون لغتهم، وكما يتداولون مفاهيمهم الفطرية كالعلاقة بين الأب وأبنائه والأم وأبنائها ، وكلما رقت المفاهيم الشرعية وخضع الناس لها ببواطنهم كلما اقتربت المفاهيم من كونها فطرة وسجية، ولما كان الإسلام هو الحق وهو الفطرة فإن الأليق به في صورة المثال هو تحققه خلال قانون

الفطرة والعرف الباطني، فيستسلم له الناس بلا توزيع ولا تقسيم ولا تقنين لكل فئة دون بقية الأمة، ومن أمثلة ذلك "المؤسسة العلمية "، فهذه في صورتها الصحيحة الأولى كانت موجودة، لها سلطانها، وقوانينها، وضوابطها، وحدودها، وكل ذلك مثبوت في حسّ الأمة ومشاعرها ووجدانها، وهذا الوجود الكامن في داخل الأمة له قوة آسرة، ووضوح بّين أقوى من أي سلطة مقننة ومُعْلَنٍ عنها ككيان، ولم يكن هذا الوجود يحتاج إلى فرضهِ بقانون يعزله ويفصله عن بقية نشاطات الأمة، فالمسجد بنايته، مفتوحة أبوابه للجميع، وحلقات العلم جزء من نسيج هذا الجميع، فلا طبقية ولا عزل أو استئثار، ولو قارنت هذه "المؤسسة العلمية " في تاريخنا مع أي مؤسسة أخرى في تاريخ الأمم الأخرى كالنشاطات النقابية لوجدت أن الفارق كبير، حيث تتحول "المؤسسة النقابية " إلى عصابة وحزب له رجاله الذين يجعلون "الشخص" أو "العائلة" هو الأصل و"التنظيم" وسيلة للذات لا الفكرة، ولذلك عمدت "الدولة" في تاريخ الأمم دائماً إلى ابتلاع هذه المؤسسات وجعلها قوة لتوحشها ضد فكرة المؤسسة نفسها، فأنشأت ما يسمى بمنصب المفتي العام، أو "هيئة العلماء" وجعلتها مربوطة بنظام "الدولة" وجزءاً منها، وبالتالي تحولت المؤسسة إلى ناب لوحش الدولة تبطش به ضد خصومها، فالمسجد للدولة كما هي حال أي دائرة حكومية، وبالتالي صار العلم نشاط "مؤسسة حكومية" لا حركة أمة ومن ذلك "مؤسسة الجهاد " فالجهاد أمر رباني للمسلمين جميعاً بلا استثناء، حتى العجزة لهم وجود في هذا النشاط الإنساني الإسلامي العظيم، فهو حركة أمة، وليس نشاط دائرة معيّنة به دون غيرها، وكلما كان هذا المفهوم معمماً كلما كانت فاعليته أقوى، وكلما اقترب من تحجيم المؤسسة والتقنين كلما فُقِدَت هذه الفاعلية، وذلك لخروج طوائف من المسؤولية، فتعميم المسؤولية هو تحقيق للفاعلية، وتحديد "المؤسسة" هو قصم لهذه المسؤولية وبالتالي إبطال لقوة الفاعلية، فَفَرْقٌ أن يكون الجهاد هو حركة أمة كما كان في صورته الأولى، وبين أن يصبح نشاط "مؤسسة حكومية" فيها أراضها .

وهذا لا يلغي مفهوم التنظيم والإدارة، فنظام الدواوين ليس هو "المؤسسة" التي تعزل البعض عن الكل وبالتالي يسهل ابتلاعه من قِبَلِ "الدولة" على حساب "الأمة"، بل هو تنظيم لفعل أمة، وليس صناعة "لمؤسسة" محددة.

النشاطات يجب أن تكون تكاليف أمة، وذلك من خلال المفاهيم المسيطرة في المجتمع، وانتقالها إلى تكاليف "مؤسسة" يجعلها محتاجة لتقنين وبالتالي يقع العزل وتدمير الفاعلية، وسهولة قنصها واختطافها لخدمة "الشخص" أو "الدولة" لا الفكرة التي انتصبت من أجلها .

في القرآن الكريم والسنة النبوية تكاليف موجهة للأمة، وإذا وجدت أوامر للبعض فهو لاختصاص هذا البعض بالقدرة اللازمة لهذا التكليف، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكلف به كل من رآه <<من رأى منكم..>>[1] والحكم بما أنزل الله تكليف لأمة ﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴿٤٧﴾ ﴾المائدة، وهكذا جميع النشاطات بلا استثناء، وتكليف الحاكم بإقامة الحدود وإعلان الجهاد هو من قبيل الوكالة عن الأمة، فهو وكيل بعقد بينه وبين الأمة لإقامة أحكام العامة، وسلطانه يستمد من هذا العقد، وقوة هذا السلطان مصدره رضا ا لأمة، فليست السلطة توكيل إلهي ولا الغلبة والقهر، وإن كان أمر الأمة يعرف بقوة الشوكة والتي تظهر عن طريق الغلبة أحياناً . والعقد طرفاه الأمة من جهة والحاكم من جهة أخرى، والمعقود عليه هو احكام العامة، ويبطل العقد بأمور تصيب العاقدين ككفر الحاكم أو جنونه أو بتخلف مقاصد العقد وهي المعقود عليه كتعطيل الحدود وإبطال

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ... (المنهاج ح 175) وأبو داود في كتاب الصلاة باب الخطبة يوم العيد (ح 1140) وفي كتاب الملاحم باب الأمر والنهي مختصراً (ح 4340) ، وأخرجُ الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو القلب (ح 2172) وقال هذا حديثٌ حسنٌ صحيح ، والنسائي في كتاب الإيمان باب تفاضل الإيمان (ح 5023 ـ 5024) ، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في صلاة العيدين (ح 1275) مطولاً ، وفي كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ح 4013) مطولاً ولفظهُ عنده عن أبي سعيد الخدري قال : أخرج مروان المنبر في يوم عيدٍ ، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة ، فقال رجلٌ : يامروان ! خالفت السنة : أخرجت المنبر في هذا اليوم ، ولم يكن يُخرج ، وبدأت بالخُطبةِ قبل الصلاة ، ولم كن يُبدأُ بها ، فقال أبو سعيدٍ : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : << من رأى منكم مُنكراً ، فاستطاع ان يغيرهُ ، فليغيرهُ ، فإن لم يستطع ، بلسانِهِ ، فإنْ لم يستطع ، فبقلبِهِ ، وذلك أض عفُ الإيمان >> انتهى .

الجهاد، وحين يبطلها الحاكم يعود أمرها إلى الأمة ولا تسقط عنها، فالجهاد لا يبطله حاكم، وإن عطله وجب على الأمة أن تقوم به وكذلك الحدود وغيرها .

وهذا الوصف الذي قدمناه يفيد أن دائرة الدولة ضيقة جداً، وهكذا يجب أن تكون، أما ربط التكاليف بالدولة والحاكم وتوسيع ذلك فهو انحراف وبدعة، ومن العجيب أن يوجد بعض الفقهاء من وقع من فتاوى تؤيد هذه البدعة وتنصرها، وذلك مثل ربط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإذن الحاكم أو إقامة الجمعة، بل وصل بعض هذه الأقوال الغريبة إلى دعاء القنوت في النوازل لأمر الحاكم وإذنه، وهذا لعمر الحق إنحراف في تصور حقيقة الأمر الشرعي، وأثره السيّء على الأمة أقوى من أثر البدع الفردية والسلوكية الشخصية . وكما رفع الله بعضاً فوق بعض درجات، كذلك جعل الناس أقساماً من ذكر وأنثى، وأب وأم، وسيد وعبد، وخادم وآمر، وبائع ومشتري، وهكذا ت قع نشاطات الحياة باعتبار أمرها القدري الذي فطر الله الخلق عليه، وهذا الأمر الفطري يجب اتباعه والإقرار به، وهو كذلك في حس الناس ووجدانهم إلا ما يقع من إبليس وجنده من ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴿١١٩﴾﴾ النساء ، وبالتالي يؤمر الإبن أن لا يقرّ أباه على طاعة، ولا الزوجة لزوجها، ولا الصغير لكبير وذلك تحت شعارات بهيمية معروفة .

هذا التوزيع الفطري مع الحكم الشرعي هو الذي يحقق الفاعلية الحقيقية للأمم ويديمها، وكلما حصل فساد في أحدهما تعوقت الأمم وسارع فيها الفساد وبالتالي حقت كلمة الله بالعذاب والإهلاك والدمار، وهذا التوزيع هو مصدر من مصادر المسؤولية والتكليف، خلقه الله وأقره شرعه، وهو عقد فطري، والفطرة هي أقوى أدلة الشرائع والأحكام بلا خلاف بين عقلاء البشر .

هذا الحديث يحمّل المسؤولية لكل من كلف رعاية حق، فالرعاية تعطى في بعض جوانبها مفهوم التقدم على الغير، فتُنشِئ وَهمَ الطاعة دون السؤال والمراجعة، ومع التقادم وضياع البعد الأخلاقي يحصل الاستعلاء وهي أُسُّ الفساد والخراب كما هو في كتاب الله تعالى، فحين تحصل الإمارة مع فقدان مفهوم المساءلة والمراجعة لا يبقى من

الإمارة إلا مفهوم الطاعة، أي طاعة المأمور وخضوعه للأمير، والمفاهيم الباطلة تن تج الإنحراف السلوكي، وأعظم ما يصيب البشر هو الطغيان الذي أساسه الكبر، وفي الحديث: <<سبحانك يا ذا الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة>>(1) وهذه هي التي نازعَه سبحانَه الخلقُ فيها، وهي أساس كل فساد في الدنيا والآخرة.

المفهوم الشرعي للملك هو رعايته، أي قيام بأداء الواجبات والحقوق، ومساءلة في الدنيا والآخرة، كما هي في حس الناس طاعة وامتثال، مع أن القاعدة الفقهية المقررة: **الواجبات قبل الحقوق**.

وفي الحديث إطلاق لمفهوم المسؤولية وبالتالي لا يجوز قصرها على الإثم الآخروي، بل هي كذلك في الدنيا، وهذا الذي طبقه الجيل الأول وأتمروا به كما قال الصديق: <<أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم>>(2) وهذه الكلمات ليست مواعظ إرشادية بل هي دستور وعقد ملزم للطرفين، وحين جاع

---

(1) أخرجهُ أبو داود في كتاب الصلاة باب ما يقول في ركوعه وسجوده (ح 873 ـ 874) ، والنسائي في كتاب التطبيق باب نو أخر من الذكر في الركوع (ح 1045) وفي باب نو أخر (ح 1128) ولفظهُ عنده عن عمرو بن قيسٍ الكندي أنهُ سمع عاصم بن حميد يقول : سمعتُ عوف بن مالك يقول : <<قمت مع النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ فاستاك ، وتوضأ . ثم قام فصلى ، فبدأ فاستفتح من البقرة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ؛ ولا يمر بآية عذاب إلا وقف يتعوذ . ثم ركع فمكث راكعا بقدر قيامه ، يقول في ركوعه : سبحان ذي الجبروت ، والملكوت ، والكبرياء ، والعظمة . ثم سجد بقدر ركوعه ، يقول في سجوده : سبحان ذي الجبروت ، والملكوت ، والكبرياء ، والعظمة . ثم قرأ آل عمران ، ثم سورة ، ثم سورة ، فعل مثل ذلك >> . (2) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (218/5) و (305/6) وقال إسنادهُ صحيح ولفظ الحديث عن أنس بن مالك قال <<لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهدها إلي رسول الله ولكني كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا يقول يكون آخرنا والله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له وأن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بم هو أهله ثم قال أما بعد أيها (يتبع في الحاشية التالية) .

الموالي عام الرمادة وسرقوا من مال سيدهم لم يقتص منهم عمر رضي الله عنه لأنهم أخذوا ما هو حق لهم من مال سيدهم الذي منعهم إياه، وحين استفتت هند بنت عتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تأخذ من مال زوجه ا الذي منعها لشحٍّ منه أجاز لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : <<خذي ما يكفيك وولدَك بالمعروف>>(1) وهذا الحديث أصل في مسألة "استيفاء الحقوق بغير إذن صاحبها إن جحدها أو منعها"، فما قررت الفطرة والشرع من حقوق فالمساءلة حق لا يجوز لأحد أن يعطلها .

فمن الواجبات الملقاة على أمتنا ولا سعادة إلا بها ، وهي باب فاعلية الأمة بين الأمم، كما هي أساس نقاء الأمة وبراءتها من الفساد الداخلي: " إقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ذلك الحسبة والجهاد في سبيل الله " وهذه هي خصائص هذه الأمة التي تجعل لها حق قيا دة الغير، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة تراجع في فطانها ، وهذه يجب عل الأمة القيام بها ، توكل غيرها من الأمراء وغيرهم لمباشرتها ، فإن قصّرت فيها أو عطلها الوكلاء أثمت الأمة جميعاً ، ولا يسقط الإثم عن الواحد إلا بالأداء بحسب الوسع والاستطاعة .



== الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله >> انتهى .

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب النفقات باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف (ح 5049) ، ومسلم في كتاب الأقضية باب قضية هند (المنهاج ح 4452 ـ 4453) ، والنسائي في كتاب آداب القضاة باب قضاء الحاكم على الغائب إذا عرفه (ح 5435) ، وابن ماجة في كتاب التجارات باب ما للمرأة من مال زوجها (ح 2239) . انتهى .

الحديث السادس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : <<مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ ـ أَوْ آمَنَ ـ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ>>(1) .

كان من حجج الكافرين على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أجل تصديقه واتباعه أن يأتيهم بآية كونية كما أرسل مع النبيين السابقين، وقد ذكر الله تعالى هذا الأمر كثيراً في القرآن مما يسترعي الانتباه فقد ذكره في سورة الأنعام ويونس وطه والأنبياء وأشار إلى ذلك في مواطن أخرى كما في الأعراف والنحل والقصص، ومما ذكره الله تعالى في هذه المواطن أن هذه الآيات لم تكن سبباً لإيمانهم وتصديقهم، بل كان إرسالها سبباً في تعجيل العذاب كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ، وقال في الأنبياء: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ ، وقال في القصص:﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ، ولم يقع خلاف ذلك إلا مع قوم يونس عليه السلام كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ ،

(1) انفرد به البخاري بين الكتب التسعة وأخرجهُ في كتاب الاعتصام بالسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم (ح 6845) .انتهى .

والقرآن كشف بهذا كذب هذه الحجج وتعنّت طالبيها، وأن مرادهم هو المجادلة بالباطل والتعجيز، ولذلك توقفت هذه الآيات الكونية ولم تعد هي السبيل للحجة مع الحق، فقال تعالى في سورة طه: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣ ﴾ والآية تحتمل معنيين، أولاهما: أن الذكر في القرآن هي ما جاءت به الصحف الأولى فدل هذا على صدق القرآن ويشهد لهذا المعنى ما قال الله تعالى في سورة الأنبياء من قوله: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥ ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ ﴾، والثاني: أن ما جاء من الآيات الكونية في الصحف الأولى وأنه لم يحقق الإيمان في قلوبهم كاف أن لا يرسلها الله مرة أخرى، وفي سورة القصص قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣ ﴾ وهو يشهد لهذا المعنى، وهذه الآية في سورة القصص تبين أن إهلاك أمة كاملة بسبب تعنتها قد توقف، وإن كان إهلاك القرى بإزالة قوتها وعلوها لم يتوقف كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨ ﴾،

والمقصود أن الآيات الكونية الكبرى للشهادة على صدق الأنبياء والتى يتعلق بها الدمار إن كفروا بها ولم يصدقوها قد توقف، وكل من طلبها فهو متعنت كشف الله كذب سلفه قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ ﴾ البقرة، والحجة الكبرى التي جعلها الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي حجة الدعاة والمجاهدين والعلماء إنما هي كتاب الله تعالى وما فيه من الآيات لا غير، فمن سأل دليلاً آخر على صدق أيّ مسألة فهو متعنت مجادل بالباطل لا غير، والقرآن هو الحجة وهو الهداية، وقد ربط الصحابة هداية رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أخذه بالكتاب فقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة البيعة كما في الصحيح: <<أما بعد فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم، فخذوا به

تهتدوا، ولما هدى الله به رسوله>>(1) . هذا الحديث يدل على أن الله أعطى كل نبي آية وفيها الكفاية لإثبات صدق النبوة، وفي المعجزات الباهرة والتي لا يقدر على مثلها البشر، وفيها البصيرة التامة كما قال موسى عليه السلا م لفرعون : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾الإسراء ، والضمير يعود إلى الآية السابقة وهي قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾الإسراء . وفي سورة الأعراف ذكر الله نوعين من البينات لإقامة الحجة: أولاهما: البينة القدرية الكونية كما قال عن قوم ثمود : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾الأعراف ، وكذلك ما قاله موسى عليه السلام عندما طلبوا منه آية فقال فرعون: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿106﴾ ﴾ الأعراف ، والثانية: هي البينة الشرعية كما ذكر عن شعيب عليه السلام : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾الأعراف .

وأما المعجزة الكبرى التي جاء بها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فهي القرآن الكريم: <<وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ >> وليس الحديث معناه أنه لم يكن له معجزات كونية تدل على صدقه كانشقاق

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب 1 (ح 6727) ولفظهُ عن ابن شهاب أخبرني أنسُ بن مالك : << أنه سمع عمر ، الغد حين بايع المسلمون أبا بكر ، واستوى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشهد قبل أبي بكر فقال : أما بعد ، فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عنده على الذي عندكم ، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم ، فخذوا به تهتدوا لما هدى الله به رسوله >> . انتهى .

القمر وخروج الماء من بين أصابعه الشريفة وتكثير الطعام وتسليم الحجر عليه وغيرها مما هو مذكور في سيرته بأسانيد صحيحة وإنما المقصود أن الآيةالكبرى هي القرآن، ولم تكن تلك الآيات الكونية مما تعلق بها الدمار والهلاك كآيات الأنبياء الآخرين عليهم الصلاة والتسليم، وهذا الذي جاء به رسولنا صلى الله عليه وسلم هو ميراثه لنا، لا نحتج إلا به في جهادنا ودعوتنا وإثبات الحقائق الشرعية، فالحق لا يثبت إلا بالشرع وهو الكتاب وما دل عليه الكتاب كالسنة الشريفة كقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ۝٧﴾ الحشر ، وإنْ أكرم الله العاملين بكرامة كونية فهي زيادة رحمة لحصول الاطمئنان كما طلب إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ۝٢٦٠﴾ البقرة ، وقد قال رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: <<نحن أحقّ بالشّك من إبراهيم >>[1] أي في طلب الطمأنينة، وهي أمر زائد عن الإيمان واليقين، والمؤمنون في طلبها ليسوا متجاوزين حد الشرع والعبودية، وأما ما يطلبه البعض من الآيات الكونية لإثبات ص دق ما يقوم به المجاهدون والدعاة فهو طلب تعنّت لا التفات إليه، ومن ذلك أن ينصر الله طائفة علم وجهاد، وأن لا يحصل لهم الهزيمة أبداً أو الهلكة الكلية لهم، فليس هناك اليوم طائفة يقال فيها: <<اللهم

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله عز وجل ﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴾ قوله ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ (ح 3192) وفي كتاب التفسير باب ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ ﴿ فصرهن ﴾ قطعهن (ح 4293) ونص الحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : << نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ (260) ﴾ البقرة ، ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي >> . انتهى .

إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض >>[1] لأن الإسلام وأهله في كل مكان، وطوائف العلم والجهاد متوزعون في الأمصار، إن هلكت طائفة لسنة الله في الحياة لعدم القدرة أو كفاية هذه القدرة فهنا ك طوائف أخرى تبقى بفضل الله، وما يحصل من الشك والريب في قلوب البعض إن هلكت عصابة حق، فيقال لو كانت على الحق لنصرها الله تعالى هو من قبيل الجهل بسنة الله تعالى في التعامل مع الحق، فأهل الأخدود أبيدوا جميعاً، والله جعل

== (1) أخرجهُ مسلم في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (المنهاج ح 4563) ، وابو داود في كتاب الجهاد باب في فداء الأسير بالمال (ح 2690) والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنفال (ح 3181) ونص الحديث عند مسلم عن سماك الحنف قال سمعت ابن عباس يقول حدثني عُمر بن الخطاب قال : << لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا . فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة . ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللهم ! أنجز لي ما وعدتني . اللهم ! آت ما وعدتني . اللهم ! إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه ، مادا يديه ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه . فأتاه أبو بكر . فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه . ثم التزمه من ورائه . وقال : يا نبي الله ! كذاك مناشدتك ربك . فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [8 ـ 9 الأنفال] فأمده الله بالملائكة . قال أبو زميل : فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه . إذ سمع ضربة بالسوط فوقه . وصوت الفارس يقول : اقدم حيزوم . فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا . فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه ، وشق وجهه كضربة السوط . فاخضر ذلك أجمع . فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال (صدقت . ذلك مدد السماء الثالثة) فقتلوا يومئذ سبعين . وأسروا سبعين . قال أبو زميل : قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر (ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟) فقال أبو بكر : يا نبي الله ! هم بنو العم والعشيرة . أرى أن تأخذ منهم فدية . فتكون لنا قوة على الكفار . فعسى الله أن يهديهم للإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ترى ؟ يا ابن الخطاب ؟) قلت : لا . والله ! ما أرى الذي رأى أبو بكر . ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم . فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه . وتمكني من فلان (نسيبا لعمر) فأضرب عنقه . فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر . ولم يهو ما قلت . فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه(يتبع في الحاشية التالية) .

النصر هو الثبات على الإيمان فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ آل عمران ، وليس هناك من وعد إلهي أن كل من ثبت على الحق أن ينصره على خصمه بنصر مادي على ما يفهم الناس، فهذا عليّ رضي الله عنه كان على الحق ضد معاوية رضي الله عنه في قتاله ولم ينتصف منهم لعوامل سننية لا تتبدل ولا تتحول، وكم قُتل من عالم أمام طاغية كسعيد بن جبير أمام الحجاج وأهل الدرعية أمام إبراهيم بن محمد علي باشا الألباني، والأمثلة تملأ مجلدات في هذا الباب، والمقصود أننا حين نقول : إن الله معنا لأننا على الحق، فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويختار لأسباب كونية وشرعية لا تتبدل، والله لا يُكرهه أحد ولا يوجب عليه موجب، وما نحن إلا عبيده نؤمن بما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ونتوكل عليه، ثم نرضى بما يقع علينا من أقدار الله تعالى ونصبر عليها، وها هو ربنا يحذر رسولنا صلى الله عليه وسلم من هذه الشُّبَه الشيطانية التي يلقيها أتباعه فيقول : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ هود .

إن ثبت الفعل بالدليل، فأنت على الحق إن انتصرت ماديا، وأنت على الحق إن هزمت ماديا، وأنت على الحق إن استجاب الله دعاءك، وأنت على الحق إن أجّل الله إجابته، وأنت على الحق وإن مشى خصمك على الماء أو طار في الهواء، فإن طلبت آية أو علامة على صدق ما أنت عليه لِبرد الاطمئنان لا لدليل تحتج به لم تعد أن تكون مقتدياً بإبراهيم عليه السلام، والله تعالى له الأمر من قبل ومن بعد .

== وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان . قلت : يا رسول الله ! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك . فإن وجدت بكاء بكيت . وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة) (شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم) وأنزل الله عز وجل : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . إلى قوله : فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ﴾ [الأنفال 67 – 69] فأحل الله الغنيمة لهم >> . انتهى .

ثُمّ اعلم أن الاستقامة هي أكبر كرامة، والثبات هو دلي ل الصدق، ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم :
<<فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة>>(1) فكم دخل أفراد وطوائف في دين الله تعالى لما رأوا ثبات أهل هذا الدين عليه وثقتهم به، وإن برد اليقين مع الضعف لهو أعجوبة هذه الحياة، وإنه بحمد الله تعالى ما نراه الي وم مع طوائف الجهاد هذه الايام فالحمد لله على نعمه وكرامته.

وفي الحديث مسألة: أن القرآن فيه آيات بيّنات لكل عصر ومكان، ولذلك فالحديث حجة للعلماء والدعاة الذين يستنبطون منه البراهين العلمية والكونية والجغرافية والتاريخية والطبية والعددية وغيرها مما هو عمل بعض العلماء اليوم، فهؤلاء على ثغرة من ثغور هذا الدين بشرط العلم وعدم التكلف فجزاهم الله خيراً، وقد كان في ما قالوه حجة على كثير ممن سمع منهم فآمنوا وصدقوا هذا الدين واتبعوا الكتاب، والإنكار على أصل هذا العلم جهل وأما الإنكار على المتكلفين والمتكلمين بالخرص والظن فهو حق ودين.



(1) أخرجهُ البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل(ح 4981) وفي كتاب الإعتصام بالسنة باب قو النبي صلى الله عليه وسلم : << بعثتُ بجوامع الكلم >> (ح 7274) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة (المنهاج ح 383) ولفظ الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم << ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي . فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة >> والفظ لمسلم . انتهى .

الحديث السابع

عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
<< سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ >>(1) .

البناء لا تستقيم منفعته لغيره حتى يستقيم في داخله، وفي المرء طاقات إن صرفها عن الحق صُرِفت إلى الباطل، وإن أعظم ما يحقق القوة بين الأمم والجماعات هو الإتحاد والذي لا يكون إلا بالحب والإحترام، والشيطان إن يأس من أن يُعبد غير الله تعالى فإنه لا ييأس أن يقطع أواصر الحب والود بين العابدين لربهم كما في الحديث الصحيح، فما من طريق أفضل لتحقيق مراد المؤمنين أفضل من أن تتكامل قواهم الإيمانية ليكونوا يداً واحدة على الحق، لأن الإيمان لا تظهر آثاره في هذه الدنيا إلا بالإجتماع والوحدة، فقد ينجو المؤمن يوم القيامة بإيمانه الفردي، لكن لا يتحقق للإيمان أثره في الأرض إلا بالكثرة والتي لا تكون إلا بالوحدة والإجتماع، وإن من أعظم ما يجب أن يعلم أن "التفرد" عن الجماعة هو من الكبائر، وهذا من الفقه المنسي هذه الأيام فإن النبي صلى الله عليه وسلم عد من الكبائر : <<التعرب بعد الهجرة>> والتعرب هو العيش على صيغة الأعراب بلا اجتماع ومدنيّة، وفي هذا الحديث أن العمران والتمدن من الإيمان وضدها من الكبائر والإثم العظيم، وعلى الدوام كانت الأطراف البعيدة عن حواضر

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (ح 48) وفي كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن (ح 6044) وفي كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم << لا ترجعو بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض>> (ح 7076) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم << سباب المسلم فسوق وقتاله كفر >> (المنهاج ح 218 ـ 219) ، والترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء سباب المؤمن فسوق (ح 2635) ، والنسائي في كتاب التحريم باب قتال المسلم (ح 4120 ـ 4121 ـ 4122 ـ 4123 ـ 4124) ، ابن ماجة في المقدمة باب في الإيمان (ح 69) . (2) ذكرهُ الألباني رحمه الله في الصحيحة (ح 2244) وقال صحيح بموجوع طرقه ، ولفظهُ عن (يتبع في الحاشية التالية) .

الإسلام من البوادي والقرى النائية مصدر جهل وغفلة ثم كانت يد شر مع أعداء المسلمين ضد الإسلام وأهله، وقد ذكر أهل العلم أن من أعظم ما كان سبباً لجهل الخوارج هو تفردهم في البوادي وتركهم حواضر الإسلام واجتماعَهم، وقد رأينا في تاريخنا المعاصر أن "الأعراب " هم من أطاح بدولة الخلافة عندما صاروا جنود كفر مع الإنجليز، وهم اليوم جنود كفر مع اليهود في فلسطين، والأمثلة كثيرة جداً، و "التعرب" هو منهج حياة، وليس نسباً ولا عرقاً بشرياً، فما يقال اليوم من كلمة "البدو" للدلالة على أصل عرق القوم أو الرجل ليس هو "التعرب" المذموم في الحديث، وليس هو مرادنا في هذا الكلام، فـ"التعرب" هو العيش بلا اجتماع يُضبط بقانون ملزم للفرد داخل الجماعة، ولذلك قد يكون الرجل يعيش في المدينة وهو "متعرب" لا يعيش إلا لنفسه وبقانونه الخاص به دون الناس من إخوانه، ولكن لما كان العيش في جزء من الأرض يصنع هذا المنهج فصار الاسم ألصق بهم من غيرهم، ولذلك لما يحصل الاجتماع في "الأعراب" يحصل منهم للخير العظيم كما فعل عبد الله بن ياسين وهو أصل طائفة المرابطين في المغرب حين "مدّن" طوائف من "الأعراب" فكان منهم المجاهدون العلماء الذين حافظوا على الإسلام في المغرب زمناً وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين، وكذا مثله ما صنعه السنوسيون حين قدموا من الجزائر وأنشؤوا في الصحراء ما يقال له "الزوايا " على طريقة وتسمية الصوفية، وهي حواضر تمدن، صار فيها العلم والاجتماع والجهاد .

هذا الحديث الذي بين أيدينا يحرّم أن يؤذي المسلمُ المسلمَ بلسانه أو بيده، فسبُّ المسلم فسوق، وهو كبيرة من الكبائر، والسب هو رمي المسلم بفاحش الكلام مما يؤذي نفسه وقلبه، و <<كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه >>[1] ، فلا يسب في ماله ولا في دمه ولا في عرضه، ولا يؤذي في واحد منها بفعل ولا بقول،

== سهل بن أبي حثمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : << اجتنبوا الكبائر السبع ، فسكت الناس فلم يتكلم أحد ، فقال : ألا تسألوني عنهن ؟ الشرك بالله ، و قتل النفس ، و الفرار من الزحف ، و أكل مال اليتيم ، و أكل الربا ، و قذف المحصنة ، و التعرب بعد الهجرة >> .انتهى .

(1) مسلم في كتاب البر والصلة تحريم ظلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (المنهاج 6487) ، وابن ماجة في كتاب الزهد باب البغي (ح 4213) وفي كتاب الفتن باب حرمة دم المؤمن وماله (يتبع في الحاشية التالية) .

وأعظم من السب هو القتال، لأن القتال لا ينشأ إلا وقد تضمن السب، بل كثيراً مما ينشأ القتال بسبب الكلام السيّء بين الناس، فملعون من حمل حديده على أخيه، <<والقاتل والمقتول في النار >>(1) ، وقد جاء في تسمية قتا ل المسلم كفر أحاديث أخرى كقوله: <<لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض>>(2) فإن المسلم

== (ح 3933) ولفظهُ عند مسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : << لا تحاسدوا . ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض . وكونوا ، عباد الله ! إخوانا . المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه . وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر نحو حديث داود . وزاد . ونقص . ومما زاد فيه : إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم . ولكن ينظر إلى قلوبكم . وأشار بأصابعه إلى صدره >> . انتهى . (1) أخرجهُ البخري في كتاب الإيمان باب قول الله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ (ح 31) وفي كتاب الديات باب قوله الله تعالى ﴿ومن أحياها﴾ (ح 6875) وفي كتاب الفتن باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما (ح 7083) ، ومسلم في كتاب الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (المنهاج ح 7181 ـ 7182 ـ 7183) ، وأخرجهُ أبو داود في كتاب الفتن والملاحم باب في النهي عن القتال في الفتنة (ح 4268 ـ 4269) ، والنسائي في كتاب تحريم الدم باب تحريم القتل (ح 4133 ـ 4134) ، ولفظ الحديث كما جاء عند البخاري عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال : << ذهبت لأنصر هذا الرجل ، فلقيني أبو بكرة ، فقال : أين تريد ؟ قلت : أنصر هذا الرجل ، قال : ارجع ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : << إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار >> . قلت : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : << إنه كان حريصا على قتل صاحبه >> . (2) (4) أخرجهُ البخاري في كتاب العلم باب الإنصات للعلماء (ح 121) وفي كتاب المغازي باب حجة الوداع (ح 4402 ـ 4403 ـ 4405) وفي كتاب الأدب باب قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم . . . ﴾ (ح 6043) وفي كتاب الحدود باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق (ح 6785) مطولاً ، وفي كتاب الديات باب قوله تعالى ﴿من أحياها﴾ (ح 6868 ـ 6869) وفي كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفاراً (ح 7077 ـ 7080) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم << لا ترجعوا بعدي كفارا . . .>> (المنهاج ح 220 ـ 221 ـ 222 ـ 223) ، (يتبع في الحاشية التالية) .

لا يقاتل أخاه إلا وقد غفل عن الإيمان وروابطه وما يأمر به، هذا وإن كان المقصود بالكفر هنا هو الكفر الأصغر الذي لا يخرج المرء من الملّة لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ ﴿٩﴾﴾ الحجرات، فسمى الطائفتين بالمؤمنين، ولكن لا يمنع أن هذا الكفر مما يحبط العمل، فإن الكبائر تحبط الأعمال فكما أن الحسنات يذهبن السيئات، فكذلك بعض السيئات يحبطن بعض الصالحات، ولذلك عنون الإمام البخاري على هذا الحديث قوله " باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر "، ولا يمنع أن ينشأ من القتال بين المؤمنين خروج بعضهم من الإسلام، فقد رأينا من والى المشركين ونصرهم ضد طائفة مسلمة يكرهها ويقاتلها، وقد حدث هذا كثيراً في تاريخ الإسلام، وهذا من باب تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، كما قال تعالى على لسان أحد السجي نين مع يوسف عليه السلام : ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ﴿٣٦﴾﴾ يوسف ، وإنما الذي يُعصر هو العنب ليصير خمراً،

== وابو داود في كتاب السنة باب الدليل على زيادة افيمان ونقصانه (ح 4686) ، والنسائي في كتاب التحريم باب تحريم القتل (ح 4136 ـ 4142) وابن ماجة في كتاب الفتن باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض (ح 3943) وللحديث الفظٌ مختلفة ومنها ما جاء عند البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نتحدث بحجة الوداع ، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، ولا ندري ما حجة الوداع ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره ، وقال : <<ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته ، أنذره نوح والنبيون من بعده ، وإنه يخرج فيكم ، فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم : أن ربكم ليس على ما يخفى عليكم – ثلاثا – إن ربكم ليس بأعور ، وإنه أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية ، ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا، في شهركم هذا ، ألا هل بلغت>> ، قالوا نعم ، قال : << اللهم اشهد – ثلاثا – ويلكم ، أو ويحكم ، انظروا ، لا ترجعوا بعدي كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض >> ، وما اخرجهُ الدراقطُني في الإلزامات ولفظهُ عن كرز ابن علقمة الخزاعي قال : << قال رجل يا رسول الله هل للإسلام من منتهى قال أيما أهل بيت وقال في موضع آخر قال نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام قال ثم قال ثم تقع الفتن كأنها الظل يعودون فيها أساود صباء يضرب بعضكم رقاب بعض >> والزم الشخيخن (البخاري ومسلم) إخراجهُ لأنه على شرطهما ولم يخرجاه (ص 95) . انتهى .

والقتال بين المسلمين كثيراً ما يكون سبباً لأقوال الكفر وأفعاله التي تخرج من الملة، كأن يسب دينه أو يشك في الإسلام أو يوالي المشركين كما يُرى من بعض الأحزاب الإسلامية اليوم كما هو شأن البارحة.

إن من الواجبات الملقى على المسلم أن يبتعد عن أسباب الفسق والكفر ومن ذلك الحسد الذي يفسد الدين ويدفعه للظلم والسب والقتال، وكذلك العصبية لغير الحق، فالا نتصار لا يكون إلا للحق دون ال نظر للأشخاص والمذاهب والأحزاب، والعجيب اليوم أن طوائف من المسلمين ساروا في ركاب الشرك كما حصل لبعض من كان من أهل الجهاد ثم انقلب على عقبيه حسداً أن غيرهم وقع عليهم الفضل الإلهي بالنصرة والتأييد، فوقع منهم ما وقع من اليهود كما قال تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ البقرة، حتى قال بعض من لا يتقي الله تعالى عن طائفة "طالبان" المجاهدة أنها عار على الإسلام، وذلك خلال حرب الكافرين لها، فكان قوله نصرة للكافرين على المسلمين، وهذا هو السبّ الذي يفسق به المرء ثم لا يمنع أن يكون بعد ذلك كفراً وقد وقع، والعياذ بالله تعالى.

إن أي سب وقدح في مسلم بغير حق هو من الفسق، ويشتد الإثم حين تُسبُّ طائفة لأخطاء اجتهادية، أو لفعل بعض أهلها دون بعضهم لتنفير الناس منهم، وذلك كما يقع من بعض طلبة العلم من سبّ مذاهب الع لماء بذكر بعض الأقوال الضعيفة سواء كانت اجتهادية أو خلافية حتى يسقط ما يجب من الإحترام لهذه المذاهب والعلماء فيها، ويجعلون ذلك طريقاً لإلحاق الناس بمذاهبهم أو مشايخهم، وهذا كله من قلة الدين والورع، وهو من السباب المنهي عنه ومن قلة الإنصاف وضعف الدين والعلم كذلك، والمسلم عليه أن يعلم أن أي سب، وهو ما يُلحِق العار بالغير هو من الفسق، وأشد منه القتال، فليس هناك شيء من أشياء الدنيا يجيز للمسلم أن يرفع حديدة في وجه مسلم آخر، وهذا ليس هو باب دفع الصائل، ولا القتال في الدفاع عن المال والعرض والنفس والدين، بل المنهي عنه هو

القتال الذي هو من تحريض الشيطان، والذي دافِعُه الغضب والشهوة والإنتصار للباطل، وفي العموم كل قتال بين المسلمين فغيره أولى منه من العفو والصفح.

وليحذر الذين صار في أيديهم السّلاح سهلاً ميسوراً أن يتجاوزوا به الحد، كما على الذين آتاهم الله منابر الحديث والقدرة على الكلام أن يحذروا من أن يتجاوزوا به الحد، وباستقامة القوة (السلاح) مع استقامة القول يتم الفلاح ودوام الحال على خير ما يريده الله من عباده، أما فساد أحدهما فهو المَحَقِ والدمار.



الحديث الثامن

عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ وكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَهُ مُتَعَطِّفًا مِلْحَفَةً عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ دَسِمَةٍ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : << أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ >> . فَثَابُوا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : << أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ يَقِلُّونَ ، وَيَكْثُرُ النَّاسُ ، فَمَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضُرَّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعَ فِيهِ أَحَدًا ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيِّهِمْ >>[1] .

إنه كما جاء في بعض الأحاديث أنه : <<في كل قرن سابقون >>[2] ، يكونون طليعة الخير ومقدمي قومهم إلى الهدى والسَّبق، فإذا شاع الأمر وتسع ترى أن هؤلاء السابقين في خفاء وقلة، وكأن لم يكن له م من الخير شيئاً، فيبرز للناس غيرُهم، ويتصدر سواهم، وهؤلاء القلة السابقة إن أخلصوا لربهم ونظروا إلى ما أعد الله لهم في الآخرة من وعود يفرحون لشيوع الأمر ويحمدون الله تعالى أن صرف عنهم زهرة الدنيا فلا يُنقص من أعمالهم شيء بسبب التعجيل، وكذا يفرحون أن الفتن صرفت عنهم، فهم ذاقوا مرارة البداية وعاشوا فتنة الضراء التي تصيب الدعوات في بدايتها، فإذا اشتد الأمر وصار له الصدارة جاءت فتن العاجلة والمال والقيادة والصيت والسمعة، وكذا فتن اللاحقين الذين دخلوا في الأمر مع قلة علم لحقيقته ولكنّهم التحقوا بالناس اتباعاً لل شيوع والانتشار من الأمور، وهذه فتن السراء التي صرفت عنهم والتي تكون عادة للدعوات بعد انتصارها وشيوعها .

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد (ح 927) . (2) ذكره الألباني في كتاب صحيح الجامع الصغير (ح 4267) وذكره في الصحيحة (ح 2001) ، وقال عنهُ حديث حسن . انتهى .

الأنصار هم مادة الإسلام الأولى في تحقيق انتصاره، تلك المادة التي كانت وقود الصبر الأول والجهاد الثاني، فقدموا الأرواح الغالية من قادتهم الكبار كسعد بن الربيع الذي قُتل في أحد، وسعد بن معاذ الذ ي قتل في الخندق، وقدموا أصول أموالهم التي يقتاتون بها هم وأهلهم من الثمار والحدائق، وقطعوا كل أسباب القوة التي يركنون إليها قبل الإسلام، فاليهود أحلافهم انقلبوا عليهم بالعداوة، وقرى العلاقات من مكة والطائف صارت حرباً، وأعراب البادية مطامعهم في أرضهم وثماره م وأهلهم، فذاقوا بحق مرارة البداية الحارقة، ولما كادت الثمرة أن تينع رأوا وإذا زهرتها تُجْتَنَى ممن قاتلوهم على الإسلام، ففي حنين وقد جاء خير عظيم من غنائم غطفان وهوزان فما راعهم إلا أن المال والزهرة الجميلة تفيض بلا عد ولا كيل على "المؤلفة قلوبهم"، أما هم فلا شيء، وهاجت نفوسهم بالألم، مع خوف غشي القلوب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجد مكة بلدَه وسيكون فيها مستَرُّه، ومعنى ذلك أن يرجعوا إلى مدينتهم الحبيبة بلا شيء، ولن يجدوا فيها شيئاً، فقد خربت مزارعهم وثمارهم لانشغالهم بالجهاد عنها، وحينها لا يملكون إلا الدموع، فجرت هذه المعاني الحزينة على ألسنتهم بألم واستحياء دفين حتى وصلت إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم، فأرسل لهم جامعاً، حتى إذا جاؤوا وقف يكلمهم، بل في الحقيقة وقف يفجر براكين الإيمان، ويرسل ريح الهدى، ويشعل قناديل النور، فرحلت النفوس للجنان وسمت على كل هذه الدنيا الفانية، كيف لا وهو كلام رجل أحبهم أكثر من أنفسهم، ويشفق عليهم أكثر من شفقة أمهاتهم عليهم، ورحيم بهم أكثر من رحمتهم على أنفسهم، إنه كلام الحب العميق الذي يصل إلى حشاشة القلوب، واليقين البارد الذي يطفئ نيران الشهوات العاجلة والآلام الإنسانية، فقد عدّ فضائلهم على الخير، وذكّرهم بفضائل الخير عليهم، ثم <<إن المحيا محياهم والممات مماتهم>>(1) وما

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب المناقب باب ابن أخت القوم منهم ومولى القوم منهم(ح3528) ، وفي كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (ح 3146) ، وفي كتاب اللباس باب القبة الحمراء من أدم(ح 5860) ، وفي كتاب الفرائض باب مولى القوم من أنفسهم وابن الأخت منهم (ح 6762) ، وفي كتاب التوحيد باب قولهُ تعالى ﴿وجوهٌ يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة﴾ (ح 7441) ، ومسلم في كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (يتبع في الحاشية التالية) .

سيرجعون به إلى رحالهم خير مما سيرجع به الناس، إنهم سيرجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم .

هكذا هي سمة الأوائل مع دعوة الحق، وفي كل قرن، ومع كل إحياء وتجديد لهذا الدين، فالطليعة الأ ولى إما إلى الشهادة مع الإبتلاء، ومن بقي يتوارى عن مناصب الدنيا لكثرة الزحام بعد ذلك.

مع هذه السنة الجارية لا يمكن أن يصبر ويصمد إلا أهل اليقين على الآخرة، أولئك الذين عملوا لوجه الله، ولم يدخلوا في هذا الدين إلا من أجل الجنة والحصول على نعيمها، وأما من كان في قلبه دَخَن أو في نيته فساد فسيسخط وسيصرخ من قلة الوفاء حيث لم يضعه الناس موضعه، وسيتهم العاملين بانحراف الطريق وتغيير المسير، وما درى أنها السنن، ها هو أبو أيوب الأنصاري يرفض زماناً أن يقاتل تحت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وقد رأى ما يكره، وينكر ما لا يعرف، ثم يتذكر أنه جهاد في سبيل الله، فيعاود نفسه ويخرج تحت إمرة يزيد في فتح القسطنطينية ويصيب

== على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه (المنهاج ح 2433 ـ 2434 ـ 2435 ـ 2436) ، الترمذي في كتاب المناقب باب في فضل الأنصار وقريش (ح 3901) مطولاً ، والنسائي في كتاب الزكاة باب ابن أخت القوم منهم (ح 2610) ، وللحديث الفاظ مختلفة ومنها ما جاء عند مسلم عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنهُ : << لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان ، بذراريهم ونعمهم . ومع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عشرة آلاف . ومعه الطلقاء . فأدبروا عنه . حتى بقي وحده . قال : فنادى يومئذ نداءين . لم يخلط بينهما شيئًا . قال : فالتفت عن يمينه فقال " يا معشر الأنصار ! " فقالوا : لبيك ، يا رسول الله ! أبشر نحن معك . قال : ثم التفت عن يساره فقال " يا معشر الأنصار ! " قالوا : لبيك ، يا رسول الله ! أبشر نحن معك . قال : ثم التفت عن يساره فقال " يا معشر الأنصار ! " قالوا : لبيك ، يا رسول الله ! أبشر نحن معك . قال : وهو على بغلة بيضاء . فنزل فقال : أنا عبدالله ورسوله . فانهزم المشركون . وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم كثيرة . فقسم في المهاجرين والطلقاء . ولم يعط الأنصار شيئًا . فقالت الأنصار : إذا كانت الشدة فنحن ندعى . وتعطى الغنائم غيرنا ! فبلغه ذلك . فجمعهم في قبة . فقال : " يا معشر الأنصار ! ما حديث بلغني عنكم ؟ " فسكتوا . فقال : يا معشر الأنصار ! أما ترضون أن يذهب النّاس بالدنيا وتذهبون بمحمد تحوزونه إلى بيوتكم ؟ قالوا : بلى . يا رسول الله ! رضينا . قال : فقال : لو سلك الناس واديا ، وسلكت الأنصار شعبا ، لأخذت شعب الأنصار >> . انتهى .

مبتغاه في الشهادة(1) ، فالجندي في هذا الدين لا يضره من يتصدر، لأنه جهاد في سبيل الله تعالى وعمل من أجل الجنة لا غير.

في هذا الحديث وصية من رسول الله تعالى بالرعيل الأول، وبالسابقين في الخير حيث يكثر الزحام، وصية بهم للأمراء ولكل من بيده زهرة دنيا أصابها من هذا الدين أن لا ينسى هؤلاء، بل يقيم لهم ما يميزهم عن غيرهم، فهؤلاء ليسوا ككل الناس، فهم أتوا عند القلة والضعف، فإيمانهم له السّبق وله الفضل لذا يستحقون ما يميزون به، ولذلك جعل الله السابقين – ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾الواقعة – وهؤلاء بخلاف غيرهم من أهل الخير من أهل اليمين فقد قال فيهم: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الواقعة (2) فالسابقون دائماً في قلة في آخر الأمر، والآية وإن كانت تتحدث عن الصحابة ومن بعدهم في بعض أقوال أهل التفسير، فالسابقون كثير في الصحابة وقليل فيمن بعدهم وهو اختيار ابن كثير رحمه الله في تفسيره فإن الآية تفيد كذلك في بعض معانيها قلة السابقين في كل قرن كذلك والله أعلم، فهذه القلة يجب على الأمة عموماً وعلى الأمراء خصوصاً أن يراعوا فضلهم فيقبلوا منهم القليل إن أحسنوا، إذ قليلهم ليس بقليل كما قال القائل:

قليل منك يكفيني ولكن   قليلك لا يقال له قليل

---

(1) أخرجهُ الهيثمي في مجمع الزوائد (326/9)ولفظهُ عنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : << أن أبا أيوب الأنصاري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه حين هاجر غزا أرض الروم فمر على معاوية رضي الله عنهما فجفاه فانطلق ثم رجع من غزوته فجفاه ولم يرفع له رأسا فقال أنبأني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سنرى بعده أثرة قال معاوية فبم أمركم قال أمرنا أن نصبر قال اصبروا إذن فأتى عبد الله بن عباس بالبصرة وقد أمره عليها علي رضي الله عنهما فقال يا أبا أيوب إني أريد أن أخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أهله فخرجوا وأعطاه كل شيء أغلق عليه الدار فلما كان انطلاقه قال حاجتك قال حاجتي عطائي وثمانية أعبد يعملون في أرضي وكان عطاؤه أربعة آلاف فأضعفها له خمس مرات فأعطاه عشرين ألفا وأربعين عبدا وفي رواية قدم أبو أيوب على معاوية رحمهما الله فشكا له أن عليه دينا . . . >> روي بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح إلا أن حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من أبي أيوب . (2) قال الشيخ حفظه (يتبع في الحاشية التالية) .

و في الحديث في فضل السابقين من أصحابه على بقية الأصحاب: <<لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه>>(1) ، وقد عُلم أن كثرة العبادة صارت في المتأخرين أكثر من الاولين ولكن هيهات أن يبلغ فضلها ما بلغ به الأولون، لأن الأولين هم أصل الأمر وأوله وهم الداعون له، والتابع تابع كما قالوا فما هو إلا فرع لأصل ولاحِقٌ إن لمتقدم، فهل ما أنفَقَتْه خديجة رضي الله عنها مهما كان قليلاً في ظاهره هو أقل مما أنفقه أي

== الله : ابن كثير رحمه الله ضعّف قول ابن جرير ومن تبعه ممن قال بقوله كالقرطبي في قوله: إن المقصود بالثلة من السابقين هم الأمم السابقة من أتباع الأنبياء، وإن القليل من المتأخرين هم من هذه الأمة، وقال القرطبي : وسُمُّوا قليلاً بالإضافة إلى من كان قبلهم، لأن الأنبياء كانوا كثرةً فكثُر السابقون إلى الإيمان منهم. قال ابن كثير: القول الذي اختاره ابن جرير فيه نظر بل هو ضعيف . وما قال ابن كثيرصحيح، ويشهد له قول صلى الله عليه وسلم: (نحن الآخرون السابقون) انتهى . [قلت :أخرج هذا الحديث البخاري في كتاب الجمعة باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل (ح 896) وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب 54 (ح 3486) ، ومسلم في كتاب الجمعة باب الطيب والسواك يوم الجمعة (المنهاج ح 1960) وفي باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (المنهاج ح 1975 ـ 1976 ـ 1977 ـ 1978) والنسائي في كتاب الجمعة باب إيجاب الجمعة (ح 1366) ولفظهُ عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <<نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة . بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا . وأوتيناه من بعدهم . ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا . هدانا الله له . فالناس لنا فيه تبع . اليهود غدا . والنصارى بعد غد . وفي رواية : نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بمثله>> . (1) أخرجهُ البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم << لو كنت متخذا خليلاً>> (ح 3673) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (المنهاج ح 6434 ـ 6435) ، وأبو داود في كتاب السنة باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ح 4658) ، والترمذي في كتاب المناقب باب 59 (ح 3861) وابن ماجة في المقدمة باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ح 161) ولفظهُ عند مسلم من حديث عن ابي سعيد رضي الله عنه قال : <<كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء . فسبه خالد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : << لا تسبوا أحدا من أصحابي . فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه >> . انتهى .

لاحق؟ ! لا والله، وهل ما أنفقه أبو بكر رضي الله عنه كما أنفقه غيره؟ ! وهل المعادلة تكون بالعدد أم بالأثر والسبق والتقدم؟ ! اللهم إن الأولين السابقين لا يعدلهم أحد في الفضل والإيمان وهؤلاء السابقون إن أساؤوا – و هي صفة لازمة للبشر مهما كان صلاحهم وفضلهم لقوله صلى الله عليه وسلم: <<كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التّوّابون>>(1) فإن أساؤوا في غير الحدود فحسناتهم ماضية عند الله وكذا يجب أن يكون الأمر عند البشر، فعلى الناس أن يتجاوزوا ويعفوا ويصفحوا عن سيئاتهم، فلا يلاحقونهم كما يلاح قون غيرهم، ولا يثربون عليهم كما يثربون على الصغار، وهذا ليس من الباب الذي حذّر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقعت فيه بنوا إسرا ئيل: <<إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإذا سرق الشريف تركوه>>(2) ، فهذا يفترق في أمرين: أن

---

(1) أخرجهُ الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب 49/114 (ح 2507) وصححهُ الألباني في صحيح الترمذي . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب 54 (ح 3475) وفي كتاب فضائل الصحابة باب ذكر أسامة بن زيد مختصراً (ح 3732) وفي كتاب الحدود باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع مختصراً (ح 6787) وفي باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع للسلطان (ح 6788) وفي كتاب الشهادات باب شهادة القاذف والسارق والزاني (ح 2648) وفي كتاب المغازي باب 53 (ح 4304) ، ومسلم في كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره ، والنهي عن الشفاعة في الحدود (المنهاج ح 4386 ـ 4387 ـ 4388) ، وأبو داود في كتاب الحدود باب في الحد يشفع فيه (ح 4373) وفي باب توبة السارق (ح 6800) مختصراً ، والترمذي في كتاب الحدود باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود إذا جحدت (ح 4396) والنسائي في كتاب قطع السارق باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر الزهري في المخزومية التي سرقت (ح 4914 ـ 4917 ـ 4918) وللحديث الفاظ مختلفة ومنها ما جاء عند مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : << أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . في غزوة الفتح . فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكلمه فيها أسامة بن زيد . فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه (يتبع في الحاشية التالية) .

المنكر في هذا الحديث هو إسقاط الحدود وهي حق الله لا تسقط عن أحد، ولو سقطت الحدود لسقطت عن مسطح بن أثاثة رضي الله عنه في حادثة الإفك وهو البدري الذي قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<لعلّ الله اطّلع على أه ل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم>> ، والثاني: أن معيار التفضيل عند المغضوب عليهم هو الشرف والفقر والقوة والضعف، وهذا شر وسبيل شراء الذمم وضياع الحقوق .

فيا أهل الجهاد، ويا أهل الخير والفضل احفظوا لأهل الفضل فضلهم، فاحفظوا للسابقين سبقهم، وللأنصار انتصارهم ولأهل البيت قرابتهم من الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولأهل العلم علمهم، وأنزلوا الناس منازلهم، <<فخيار أهل الإسلام هم خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا>>(1)، وأشد الناس محبة لهذا الدين هم أشدهم عداوة له قبل الإسلام كما في الصحيح معناه .

اللهم إني أحب الأنصار من أهل مدينة الحبيب واحشرني مع لوائهم يوم القيامة.



== وسلم . فقال (أتشفع في حد من حدود الله ؟) فقال له أسامة : استغفر لي . يا رسول الله ! فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب . فأثنى على الله بما هو أهله . ثم قال (أما بعد . فإنما أهلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف ، تركوه . وإذا سرق فيهم الضعيف ، أقاموا عليه الحد . وإني ، والذي نفسي بيده ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها . قال يونس : قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد . وتزوجت . وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم >> واللفظ لمسلم . انتهى . (1) أخرجهُ البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين (ح 3131) ولفظ الحديث عنده عن أبي هريرة رضي الله عنه : << سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس قال أتقاهم لله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا >> . انتهى .

الحديث التاسع

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهُ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

<< هَل تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ >>[1] .

الأمة تراعي أبناءها كأبناء الأم الحنون ترعاهم أمهم بحسب حاجتهم وكما قال الأعرابي وقد سئل : من أحب أبنائك إليك؟ فقال: <<الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يعود>>[2]، فالرعاية والحب والعطف لا يكون بحسب الفضْل والقوة بل قاعدته الصحيحة بحسب الحاجة والضعف، وقانون الحب هذا هو قانون دوام الحياة وسرها الباطن، فالقوي حاله حال ضالة الإبل: <<مالك ولها ، معها حذاؤها وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر>>[3] كما قال حبيبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالقوي يوكل إلى قوته، لكن العبرة والإحسان

(1)أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد وسير باب مَنِ اسْتَعَانَ بِالضُّعَفَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الْحَرْبِ (ح2933) . (2) صاحب هذه المقولة هو غيلان بن سلمة بن شرحبيل الثقفي. أسلم بعد فتح الطائف ولم يهاجر وكان أحد وجوه ثقيف ومقدميهم وهوممن وفد على كسرى وخبره معه عجيب قال: كسرى ذات يوم: أي ولدك أحب إليك قال: الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال كسرى: زه مالك ولهذا الكلام هذا كلام الحكماء وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال: خبز البر. قال: هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر. وكان شاعراً محسناً. توفي غيلان بن سلمة في آخر خلافة عمر رضي الله عنه. (3) أخرجهُ البخاري في كتاب العلم باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره (ح 91) وفي كتاب المساقاة باب شرب الناس وسقي الدواب من الأنهار (ح 2372) وفي كتاب اللقطة باب ضالة الإبل (ح 2427) ، ومسلم في كتاب اللقطة باب معرفة العفاص والوكاء وحكم ضالة الغنم والأبل (المنهاج ح4473 ـ 4474) ، وأبو داود في كتاب اللقطة باب التعريف باللقطة (ح 1704 ـ 1705 ـ 1707 ـ 1708) ، والترمذي في كتاب الأحكام باب ما جاء في اللقطة وضالة الإبل والغنم (ح 1372) ، وابن ماجة في كتاب اللقطة باب ضالة الإبل والبقري والغنم (ح 2504) ، ولفظ الحديث عند البخاري عن زيد ابن خالد الجهني قال : << سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اللقطة ، فزعم أنه قال : اعرف عفاصها ووكاءها ، ثم عرفها سنة . يقول يزيد : (يتبع في الحاشية التالية) .

إنما يكون للمحتاج الضعيف، يراعى بحسب حاجته، وقد نشأت مجتمعات وتجمعات بشرية لا تقيم إلا لنوع واحد من القوة الأهمية والاعتبار، وتنبذ ما عداهم ممن لا يملكون هذه القوة وهذه التجمعات وإن بدت سليمة في بداية الأمر إلا أن عوامل الضعف سرعان ما تسارع إليها، لأن الحياة لا تقوم على نوع واحد مهما كان هذا قوياً، فالِاستقلال مهلكة كالاقتصار على نوع واحد من الطعام، فإنه مهما كان هذا الطعام مغذياً مليئًا بالفوائد إلا أن الاقتصار عليه يوهي البدن ويضعف صاحبه ويورده الموت والهلكة، فالحياة لا تستقيم بعلم بلا قوة، ولا بقوة دون رحمة، ولا برحمة دون مسؤولية، ولا بمسؤولية دون مشورة، وهكذا سبيل الحياة، وعالم الغيب ليس غائبًا في تأثيره عن الحياة الدنيا وإن كان غائباً بصورته عن الأعين فيها، فحركة الغيب المرتبطة بالإخبات والدعاء والطاعة والمعصية لها حقائق واقعية على الأرض ومن يعيش عليها من إنس وجن وحيوان ونبات، فالذين ينظرون إلى الحياة الدنيا وحساباتها فقط من ماديات ومحسوسات سيصيطرون بالسنن الإلهية المتعلقة بحبّ الله وبغضه ولذلك جعل الله من انتقامه لأعدائه أن يأخذهم "بغتة"، أي دون وجود مقدمات تنذرهم للتغيير والتحضير لها والدارسون للسّنن الِاجتماعية خاصة يعلنون كثيراً أن علوم الِاجتماع في دراسة الظواهر ليست مطلقة إذ كثيراً ما تحصل هبات مفاجئة تصدم الدارسين والمراقبين، وهو تحقيق لهذا التحذي الإلهي بالبغتة، وأما الظواهر الكونية من الزلازل والبراكين والأعاصير فأمرها في هذا الباب أشهر من غيرها، وهي بحق ينطبق عليها لمن أراد البصيرة قوله صلى الله عليه وسلم عن العدوى: <<فمن أعدى الأول>>(1) ، والقصد أن عالم الباطن وعالم الغيب حضورهما بالتأثير في عالم الشهادة بيّن وواضح لأولي الألباب،

== إن لم تعرف استنفق بها صاحبها ، وكانت وديعة عنده . قال يحيى : فهذا الذي لا أدري أفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أم شيء من عنده . ثم قال : كيف ترى في ضالّة الغنم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : خذها ، فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب . قال يزيد : وهي تعرف أيضا . ثم قال : كيف ترى في ضالّة الإبل ؟ قال : فقال : دعها فإن معها حذاءها وسقاءها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها >> . انتهى . (1) أخرجهُ البخاري في كتاب الطب باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن (ح 5717) وفي باب لا عدوى (ح 5773) ، ومسلم في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، ... (المنهاج ح 57349 ـ 5750 ـ 5751 ـ 5752) ، وأبو داود في كتاب الطب باب في الطيرة (يتبع في الحاشية التالية) .

وكذلك المجتمعات لا تشعر بحاجتها للرحمة والعطف، وتعلم أن الضعيف لازم من لوازم الحياة كما القوي، وهذا أمر لا نختاره بل هو سنة الحياة التي نتعامل معها من خلال قانونها ووجوده.

في حركة الأمة والطوائف للجهاد، وهي حركة أصيلة ثابتة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل لاحياة لأمة من الأمم إلا بها لقوله صلى الله عليه وسلم: <<ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا >>(1) ، قد ينشأ وهم أن هذا

== (ح 3911 ـ 3912 ـ 3916) ولفظ الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

<< لا عدوى ، . فقام أعرابي فقال : أرأيت الإبل ، تكون في الرمال أمثال الظباء ، فيأتيها البعير الأجرب فتجرب ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فمن أعدى الأول) >> . انتهى .(1) هذا القول من رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم أجمعين والرسالة عن ابي المليح اسامة الهُذَليّ انّ عمر بن الخطاب كتب الى ابي موسى الاشعريّ: << بسم اللَّه الرحمن الرحيم اما بعد فانَّ القضاءَ فَرِيضةٌ محكمة وسُنّة متّبعة فافهَمْ اذا اُدْلِيَ اليك فانه لا ينفع تكلُّمٌ بحقّ لا نفاذَ له اس بين الناس في مجلسك ووَجهك حتَّى لا يطمَعَ شريفٌ في حَيْفك ولا يَخافَ ضعيفٌ من جَورك البيّنة على من ادَّعى واليمينُ على من انكَرَ والصُّلْحُ جائزٌ بين المسلمينَ الا صلحا حَرَّم حلالاً او احلَّ حراماً ولا يمنعنَّك قضاءٌ قضيتَه بالامس فراجعتَ فيه نفسَك وهُدِيت فيه لرُشْدك ان تَرجعَ عنه الى الحقّ فانّ الحق قديمٌ ومراجعةُ الحق خيرٌ من التَّمادِي في الباطل الفَهمَ الفهمَ عندما يتلجلج في صدرك مّما لم يبلغك في كتاب اللّه ولا في سنَّة النبيّ صلى الله عليه وسلم اعرفِ الامثالَ والاشباه وقِسِ الامورَ عند ذلك ثم اعمِدْ الى احبّها الى اللّهواشبَهها بالحقّ فيما ترى واجعلْ للمدَّعِي حقّاً غائباً او بيِّنة امداً ينتهي اليه فان احضرَ بيِّنَته اخذت له بحقّه والاّ وجّهتَ عليه القضاءَ فانَّ ذلك انْفى للشكّ واجلى للعَمَى وابلغُ في العُذر المسلمون عُدولٌ بعضُهم على بعض الا مجلوداً في حدّ او مجرَّباً عليه شهادةُ زور او ظنيناً في وَلاءٍ او قرابة فانَّ اللّه قد تولّى منكم السرائر ودرَا عنكم بالشبهات ثمّ اياك والقلقَ والضّجر والتأذّيَ بالناس والتنكُّرَ للخصومَ في مواطن الحقّ التي يُوجب اللّهُ بها الاجر ويُحْسِن بها الذُخر فانّه من يُخلِصْ نيّتَه فيما بينه وبين اللّه تبارك وتعالى ولو على نفسه يَكفِهِاللّه ما بينَه وبين الناس ومَن تَزَيَّنَ للناس بما يعلم اللّه منه خلافَ ذلك هتَكَ اللّه سِتْره وابدى فعله فما ظنُّك بثواب غير اللّه في عاجل رزقهوخزائن رحمته والسلام عليك خطبة لعلي بن ابي طالب رضي اللّه عنه قال ابو عبيدة مَعمر بن المثّنى: اول خطبة خطبها علي بن ابي طالب رحمه اللّه انّه قال بعد ان حمد اللّه واثنى عليه وصلَّى على نبيّه: اما بعد فلا يُرْعِيَنَّ مُرعٍ الا على نفسه فانَّ مَن ارْعَى على غير نفسه شُغِل عن الجنة والنارُ امامَه ساعٍ مجتهد ينجو وطالبٌ يرجو ومقصّرٌ في النار ثلاثة واثنان: ملَكٌ طارَ بجناحيه ونبيٌّ اخذَ اللّه بيديه ولا

سادس هَلَكَ من ادّعى ورَدِيَ مَن اقتحم فانّ اليمين والشّمال مَضَلّةٌ والوسطَى الجادّةُ منهجٌ عليه باقِي الكتاب والسنّة واثارُ النبوة انّ اللّه دَاوَى هذه الامّة بدواءين: السَّيف والسوط فلا هوادةَ عند الامام فيهما استتروا ببيوتكم واصلِحوا فيما بينكم والتّوبة من ورائكم مَن ابدى صفحتَهُ للحقّ هَلَكَ قد كانت لكم امورٌ مِلتُم عليّ فيها مَيلةً لم تكونوا عندي فيها بمحمودِين ولا مصيبين امَا انّي لو اشاءُ لقلت عَفا اللّه عمَّا سلف سَبَقَ الرجلان وقامَ الثالث كالغُراب همّته بطنه يا وَيحَه لو قُصَّ جناحاه وقُطِع راسه لكان خيراً له انظروا فان انكرتم فانكروا وانْ عَرَفتُم فازروا حقٌّ وباطل ولكلٍّ اهل ولئن امرَ الباطل لقديماً فَعَل ولئن قَلَّ الحق لرُبّما ولعَلّ ما ادبَر شيء فاقبل ولئن رجعَتْ عليكم اموركم انّكم قال ابو عبيدة: وروى فيها جعفر بن محمد: الاّ انّ ابرارَ عِترتي واطاليبَ اَرومتي احلم الناس صِغاراً و اعلم الناس كباراً الاَ وانّا اهل بيت مِن علم اللّه عَلِمْنا وبحُكم اللّه حَكَمْنا ومن قول صادقٍ سَمِعنا وان تتّبعوا اثارَنا تهتدوا ببصائرنا وانْ لم تفعلوا يُهلككم اللّه بايدينا معنا رايةُ الحق مَن تبعها لَحِق ومَن تاخّر عنها غَرِق الاَ وانَّ بنا تُرَدُّ دَبْرَة كلِّ مؤمن وبنا تُخلَع ربقة الذّلّ من اعناقكم وبنا غُنِم وبنا فَتَحَ اللّه لا بكم وبنا يُختم لا بكم وخطبة لعلي بن ابي طالب ايضاً رضي اللّه عنه امّا بعدُ فان الدنيا قد ادبَرَت واذنت بوَداع وانّ الاخرة قد اقبلت واشرفت باطّلاع وانّ المضمار اليومَ والسّباقَ غداً الاَوانّكم في ايامِ امل من ورائه اجل فمَن اخلَصَ في ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولم يضرُرْهُ امله ومن قصّر في ايام امَله قبل حضور اجَله فقد خسِر عملُه وضرّه املُه الاَ فاعمَلوا للّهِ في الرَّغبة كما تعملون له في الرّهبة الاَ وانّي لم ار كالجنّة نام طالبُها ولا كالنّار نامَ هاربه الا وانّه من لم ينفعْه الحقّ يضرّه الباطل ومن لم يستقم به الهُدَى يَجُرْ بِهِ الضّلال الاَ وانّكم قد اُمرتم بالظَّعْن ودُلِلتم على الزّاد وانّ اخوفَ ما اخاف عليكم اتّباعُ الهوى وطُولُ الامل ومن خطب علي ايضاً رضي اللّه عنه قالوا: اغارُ سُفيان بن عوف الازديّ ثم الغامديّ على الانبار زمانَ عليّ بن ابي طالب رضي اللّه عنه وعليها حسّان – او ابن حسّان – البكري فقتَلَه وازال تلك الخيلَ عن مَسالحِها فخرج علي بن ابي طالب رضي اللّه عنه حتّى جلَس على باب الشُّدّة فحمِد اللّه واثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: امّا بعدُ فانّ الجهادَ بابٌ من ابواب الجنة فمن تركه رَغبةً عنه البسه اللّه ثوبَ الذلّ وشمِلَهُ البلاءُ ولزِمَه الصَّغار وسيمَ الخَسفَ ومُنِعَ النَّصْفَ الاَ وانّي قد دعوتُكم الى قتال هؤلاءِ القوم ليلاً ونهاراً وسِرّاً واعلاناً وقلت لكم: اغزُوهم قبل ان يَغزوكم فواللّه ما غُزِيَ قومٌ قطُّ في عُقْر دارهم الا ذلّوا فتواكلتم وتخاذلتُم وثَقُلَ عليكم قولي واتّخذتُموه وراءكم ظِهريّاً حتّى شُنَّت عليكم الغارات هذا اخو غامدٍ قد وردتْ خيلُهُ الانبار وقتَل حسّان –او ابن حسّان – البكريّ وازال خيلكم عن مَسالحها وقتَل منكم رجالاً صالحين ولقد بلغني انَّ الرّجلَ منهم كان يدخُل على المسلمة والاُخرى المعاهَدة فينزِع حِجْلها وقُلْبَها ورعاثها ثم انصرفوا وافِرين ما كُلِمَ رَجلٌ منهم كَلْماً فلو انّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا اسفاً ما كان عندي به ملوماً بل كان به عِندي جديراً فيا عجباً من جِدّ هؤلاء القوم في باطلهم وفَشَلِكم عن حقّكم فقبْحاً(يتبع في الحاشية التالية) .

المجتمع معسكر لا لزوم فيه إلا للأقوياء والأصحاء والشجعان فبالتالي غيرهم عالة عليهم، وفي مدينة اسبارطة القديمة وصل غرور القوة وعسكرة المجتمع أنهم كانوا إذا وُلِد ولدٌ ضعيف أو فيه مرض أو تشوّه ذهبوا به إلى جبل عال ورموه من فوقه تخلصاً منه لجاهليتهم أنه لا حاجة لحياتهم له، فهذا الحديث النبوي تنبيه لتأثير عالم الغيب على عالم الشهادة، فالضعفاء هم محط نظر الله تعالى، لأنهم أحوج من غيرهم لهذا النظر، فحيث كان البلاء كانت الرحمة، إذ أن عدل الله ورحمته يمنعان العسر بلا يسر، والضعف بلا رعاية، وا لحاجة بلا عناية، وهذا العدل الإلهي هو الذي يحبه الله لعبيده أن يتصفوا به، وهذه الرحمة التي إن وجدت في القلوب كانت سبباً لرحمة الله تعالى، وهؤلاء الضعفاء تنكسر

== لكم وترحاً حين صِرتم هدفاً يُرمَى وفَيْئاً يُنْتَهب يُغارُ عليكم ولا تُغ يرون وتُغْزَوْن ولا تَغزُون ويُعصَى اللّهُ وتَرضَون فاذا امرتُكم بالسَّير اليهم في أيّام الحرّ قلتم: حَمَارّةُ القيظ امهِلْنا ينسلخْ عنّا الحرّ واذا امرتُكم بالسَّير في البَرد قلتم: امهِلْنا ينسلخ عنّا القرُّ كلّ ذا فِراراً من الحَرّ والقرّ فاذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون فانتم واللّه من السيف افرّ يا اشباهَ الرّجال ولا رجالَ ويا احلامَ الاطفال وعقولَ ربّاتِ الحِجَال ودِدتُ انّ اللّه قد اخرجني من بين ظَهرانَيْكم وقبَضني الى رحمته من بينكم واللّه لَوَدِدْتُ انّي لم ارَكُمْ ولم اعرِفكم معرفةٌ واللّه جَرَّتْ ندَماً قد وَرَيْتم صدري غيظاً وجرَّعتموني الموت انفاساً وافسدتُم عليَّ رابي بالعصيان والخِذْلان حتى قالت قريش : ابنُ ابي طالب شجاعٌ ولكن لاعلمَ له بالحرب للّه ابوهم وهل منهم احدٌ اشدُّ لها مِراساً او اطول لها تجربةً منّي لقد مارستها وما بلغتُ العشرين فها انذا قد نَيَّفت على السّتّين ولكن لا رايَ لمن لا يُطاع قال: فقام له رجلٌ من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم اخذ بيد ابن اخٍ له فقال: ها انذا يا امير المؤمنين لا املك الا نفسي وابنَ اخي فأْمُرْنا بامرك فواللّه لنَمْضينّ له ولو حال دون امرك شوك الهَرَاس وجَمْرُ الغَضَى فقال لهما عليّ: واين تبلغان ما اريد رحمكما اللّه وخطبة له اخرى بهذا الاسناد في شبيه بهذا المعنى قام فيهم خطيباً فقال : ايّها الناسُ المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤكم كلامكم يُوهي الصُّمَّ الصّلاب وفعلكم يُطمع فيكم عَدُوّكم تقولون في المجالس كَيتَ وكَيتَ فاذا جاء القتال قلتم: حِيدِي حَيَادِ ما عَزَّت دعوةُ مَن دعاكم ولا استراح قلبُ من قاساكم اعاليلُ باضاليلَ سالتموني التاخيرَ دِفاعَ ذي الدَّين المَطُول هيهات لا يمنع الضَّيمَ الذّليلُ ولا يُدرك الحقُّ الاّ بالجدّ ايَّ دارٍ بعد داركم تمنعون ام مع ايّ امام بعدي تقاتلون المغرورُ واللّه مَن غَرَرتموه ومَن فاز بكم فاز بالسهم الاخْيَب اصبحتُ واللّه لا اصدّق قولكم ولا اطمع في نصركم فَرَقَ اللّه بيني وبينكم واعقبَني بكم مَن هو خيرٌ لي منكم لَوَدِدتُ انّ لي بكلِّ عشرة منكم رجلاً من بني فِرَاسِ بن غَنمٍ صَرْفَ الدّينار بالدّرهم >> من كتاب البيان والتبيان (1/7 ـ 19) . انتهى .

قلوبهم بصدق عند الطلب فهم يسألون من حاجة، وفرق بين سؤال الممتلئ وسؤال الفقير، والله يحب هذا من عبيده لأن العزة هي إزاره والكبرياء رداؤه، والله لا يحب كل جبار متكبر، ولذلك كثر في الجنة الضعفاء وهم دوماً أتباع الأنبياء كما قال هرقل في حواره مع أبي سفيان(1) ، ومن السنن الحميدة أن يُخرج إلى الدعاء بالبذاذة ومع

. (1) أخرجهُ البخاري في كتاب بداء الوحي باب 6 (ح 7) ولفظ الحديث عنده عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاس، اَخْبَرَهُ اَنَّ اَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ اَخْبَرَهُ : << اَنَّ هِرَقْلَ اَرْسَلَ اِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ . وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ . فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَادَّ فِيهَا اَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَاَتَوْهُ وَهُمْ بِاِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ اَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ اَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبو سُفْيَانَ فَقُلْتُ اَنَا اَقْرَبُهُمْ نَسَبًا . فَقَالَ اَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا اَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ. ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ اِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَاِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ اَنْ يَاْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ اَوَّلَ مَا سَاَلَنِي عَنْهُ اَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ اَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لاَ. قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ اَبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لاَ. قَالَ فَاَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ اَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ اَيَزِيدُونَ اَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ اَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ اَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لاَ. قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ اَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لاَ. قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا . قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ اُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ اِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ مَاذَا يَاْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ اَبَاؤُكُمْ، وَيَاْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ . فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَاَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ اَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَاَلْتُكَ هَلْ قَالَ اَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ اَنْ لاَ، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ اَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَاْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَاَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ اَبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ اَنْ لاَ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ اَبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ اَبِيهِ، وَسَاَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ اَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ اَنْ لاَ، فَقَدْ اَعْرِفُ اَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَاَلْتُكَ اَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ اَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ اَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ اَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَاَلْتُكَ اَيَزِيدُونَ اَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ اَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ اَمْرُ الاِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَاَلْتُكَ اَيَرْتَدُّ اَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ اَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ اَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الاِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَاَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ اَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ، وَسَاَلْتُكَ بِمَا يَاْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ اَنَّهُ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، (يتبع في الحاشية التالية) .

الضعفاء والمحتاجين، وقد ذكر الله في كتابه أن من مساوئ ترك الجهاد هو حصول النقمة والغضب من الضعفاء على أهل القوة لتقصيرهم وقال تعالى في سورة النساء : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

== وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ. فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ . ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ. وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلاَّ الْيَهُودُ فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ، يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ. فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ . فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاَحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ. وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي

اِنفًا اَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ اخِرَ شَاْنِ هِرَقْلَ. رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ >> انتهى .

فغضب هؤلاء هو سبب غضب الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وقد حذره من إغضاب أمثال هؤلاء فقال: <<إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت الله>>(1) .

وهذا الحديث وإن كان فيه فضل الضعفاء على الأقوياء، إذ لا يرزق الأقوياء ولا ينصرون إلا بالضعفاء، فإن هذا لا يعني أن الضعيف مقدم في إيمانه على القوي، لأن اجتماع القوة مع الإيمان خير من استقلال الإيمان لوحده بلا قوة، لقوله صلى الله عليه وسلم : <<المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير>>(2) لأن مقاصد الإسلام في الفرد والجماعة لا تقوم إلا بالقوة، وكون الشيء محتاج إلى غيره لا يعني أن غيره خير منه، فالإنسان محتاج إلى الطعام والخادم وغيرها وليس هما بأفضل منه كما هو معلوم، ولذلك من الواجب السعي للقوة، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴿٥﴾﴾ النساء، فالمال قوام الحياة ولا يجوز إفساده بإعطائه لغير رُعَاتِه وحَفَظَتِه، وقال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴿٦٠﴾﴾ الأنفال، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية لأصحابه لما دخلوا مكة وهي في يد المشركين من قريش:

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم (المنهاج 6361) ولفظ الحديث : << أن أبا سفيان أتى على سلمان و صهيب وبلال في نفر . فقالوا : والله ! ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها . قال فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال " ياأبا بكر ! لعلك أغضبتهم . لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك " . فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه ! أغضبتكم ؟ قالوا : لا . يغفر الله لك . يا أخي !>> . (2) أخرجهُ مسلم في كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز . والإستعانة بالله . . . (المنهاج 6716) وابن ماجة في المقدمة باب في القدر (ح 79) . انتهى .

>>رحم الله امرءاً أراهم منّا قوة <<[1] ، وإنما يكون الفضل للضعيف لعدم قدرته على تحصيل القوة وأما المقصِّر فهو آثم تارك لواجب.



(1) اخرجه ابن هشام في سيرته الجزاء الثاني في سبب الهرولة بين الصفاء والمروة ولفظ الحديث قال ابن إسحاق : >> فحدثني من لا أتهم عن ابن عباس ؟ قال صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها << ، وابن كثير في البداية والنهاية (260/4) .

الحديث العاشر

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم خَارِجَانِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَنَا رَجُلٌ عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : <<مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟>> فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ : <<أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ>> فأنا أحبُّ النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكرٍ وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحُبي لهم وإن لم أعمل بمثل عملهم (1) .

الحياة الدنيا لها عنوان جامع لحركة الموجودات فيها، هذا العنوان هو " الحب "، وهو المعنى السائر في هذا الكون وفي الإنسان، ومن خلاله تحصل الإرادات وبالتالي تتم الأفعال والأقوال، وهذا شيء يعرفه الناس بعمومهم حين يدركون أسرار الوجود، ولكن من عظمة هذا الدين أن يجعل الحياة الآخرة كذلك، فهي حياة قائمة على الحب كذلك و" الحب " هذا المعنى اللطيف الآسر، فيملك قوة التأثير مع خفائه، وموطنه القلب الباطن، وآثاره على الوجود المشهود، ففي الإنسان يظهر على وجهه وقسماته، وعلى أقواله وحركاته ونومه وقيامه، والوجود كله لا يكتسب جمالاً ونضرة إلا بالحب، فحياة الوجود من حركة وإرادة تنشأ بالحب، وجمال الوجود ونضارته لا يكون إلا بالحب، والعبودية لا تنشأ إلا بالحب، وكذا المتابعة، والأسرة لا يستقيم أمرها إلا بالحب سواء بين الزوج والزوجة أو بين الآباء والأبناء،

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (ح 3688) وفي كتاب الأدب باب علامة الحب في الله (ح 6171) و في باب ما جاء في قو ل الرجل ويلك (6167) تعليقاً ، وفي كتاب الأحكام باب القضاء والفتيا في الطريق (ح 7153) ،ومسلم في كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب (المنهاج ح 6655 ـ 6656 ـ 6657 ـ 6658 ـ 6659)، والترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء أن المرء مع من أحب (ح 2392) بنحوه.انتهى .

وكذا المجتمع الحي لا يستقيم إلا بهذا المعنى اللطيف الجميل والعظيم كذلك.

إن البشرية معرضة أن تتحول إلى وحوش ينهش بعضها بعضاً، وإلى مصالح جافة لا فضل فيها للمعاني الباطنة، وبالتالي تنشأ الشرور والبغضاء والحروب النجسة والمنافسة البغيضة.

إن هذا الدين دين الجمال والمعاني اللطيفة السامية، دين يُنشئ علاقة حب وجمال بين الإنسان والمخلوقات من غيره مهما بدت جامدة لا حياة فيها، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبل أحد : <<يحبنا ونحبه>>(1) ، فالجبل يُحِبّ ويُحَبُ والمدينة المنورة مدينة حب لقوله صلى الله عليه وسلم : <<اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا أو أشد >>(2)، ولذلك إذا مات الكافر ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ۝٢٩﴾ الدخان، أي أنهما يبكيان على المؤمن لعلاقة الحب بينهما، وأخبار الحب بين الصحابة ودوابهم وشجرهم كثيرة جداً، وأما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي عجب من الأعاجيب فها هو يخرج ويكشف عن كتفه الشريفة ليتعرض إلى

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد باب فضل الخدمة في الغزو (ح 2889) وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب 10 (ح 3367) وفي كتاب المغازي باب أحد جبل يحبنا ونحبه (ح 4084) وفي كتاب الإعتصام بالسنة باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم وما اجتمع عليه الحرمان مكة والمدينة ، وما كان بهما من مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمنبر والقبر (ح 7333 ـ 7335) وفي كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب 12 (ح 1888) وفي كتاب الرقائق باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إنا أُعطيناك الكوثر﴾ (ح 6588) ، ومسلم في الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها ، وبيان حدودها (المنهاج ح 3308) وفي باب أحدٌ جبل يحبنا ونحبه (ح 3358 ـ 3359 ـ 3360) وفي كتاب الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (المنهاج ح 5907) مطولاً ، وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (ح 3079) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب فضائل المدينة باب 13 (ح 1922) وفي كتاب مناقب الأنصار باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة (ح 3974) وفي كتاب المرضى باب عيادة النساء الرجال (ح 5715) ، وأخرجهُ مالك في مرطئه في كتاب الجامع باب ما جاء في وباء المدينة (ح 1614) ، ولفظ الحديث عند الشيخ فيه سقط ولفظ الحديث عند البخاري عَنْ عَائِشَةَ (يتبع في الحاشية التالية) .

المطر ويقول: <<إنه حديث عهد بربّه>>(1) ، إنه بصر الباطن في الأشياء والموجودات ورؤية أسرارها الخفية الجميلة، وعلاقتها بأعظم محبوب وأجمل موجود، إنه الوحيد الذي يُحَب لذاته : إنه الله تعالى . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل: من أحب الناس إليك؟ فيقول: <<عائشة>>(2). فهي حبيبته وهو حبيبها ولا خجل في هذا المجتمع من هذا الحب الرائع العظيم، يحبّها حتى إنه ليضع فمه على مكان شربها من الإناء (3) ليمس بفمه الشريف مكان فمها الطيب الجميل، فأين هذا من مجتمعات القسوة التي يخجل المرء من إعلان حبه لمحبوبته وزوجته ثمّ يُسأل عن أحب الرجال إليه فيقول:<<أبو بكر>> ، فالرجل يحب الرجل، ومن الدين أن يخبر المر أخاه أنه يحبه،

== . رضى الله عنها . قَالَتْ : << لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلاَلٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ قَالَ اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ " . قَالَتْ وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، وَهْىَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ. قَالَتْ فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلاً. تَعْنِي مَاءً آجِنًا >> . انتهى . (1) أخرجهُ مسلم في كتاب الإستسقاء باب الدعاء في الإستسقاء (المنهاج ح 2080) ، وأبو داود في كتاب الأدب باب ما جاء في المطر (ح 5100) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً(ح 3662) وفي كتاب المغازي باب غزوت ذات السلاسل ، وهي غزوة لخم وجذام (ح 4358) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (المنهاج ح 6127) ، والترمذي في كتاب المناقب باب فضل عائشة رضي الله عنها (ح 3885) ، ولفظ الحديث عن أبو عثمان النهدي قال : << أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك ؟ قال : (عائشة) . قلت : من الرجال ؟ قال : (أبوها) . قلت : ثم من ؟ قال : (عمر) . فعد رجالا ، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم >> واللفظ للبخاري . . (3) أخرجهُ مسلم في كتاب الحيض باب الشرب مع(يتبع في الحاشية التالية) .

ولقد كان من محبته للأطفال أن يمر بهم ويسلم عليهم، ويوطئ كتفه الشريف إن أرادوا لعباً أو لهواً يليق بهم، فهو ينحني ليركب أبناؤه – الحسن والحسين رضي الله عنهما (1) ولعن الله من أبغضهما وقتل الحسين- هما يركبان على ظهره الشريف وبحب رائع جميل، وكان يحب البنات فكان يبش لرؤية حبيبته فاطمة ويوسع لها ويفرش لها رداءه، واسمع إلى حديث الحب مع بنت تلهو بختم النبوة على ظهره: فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي وعليّ قميص أصفر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سَنَه سَنَه) وهي بالحبشيّة ومعناها "حسنة حسنة"، فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزجرني أبي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعها) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <<أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم

== الحائض في إناءٍ واحد (المنهاج ح 690) وإبو داود في كتاب الطهارة باب في مؤاكلة الحائض ومجامعتها (ح 259) والنسائي في كتاب الطهارة باب سؤر الحائض (ح 70) وفي بامؤاكلة الحائض والشرب من سؤرها (ح 278 ـ 279) مطولاً ، وفي باب الإنتفاع بفضل الحائض (ح 280 ـ 281) ، وفي كتاب المياه باب سؤر الحائض (ح 340) وفي كتاب الحيض والإستحاضة باب مؤاكلة الحائض والشرب من سؤرها (ح 375 ـ 376) مطولاً ، وفي باب الانتفاع بفضل الحائض (ح 377 ـ 378) ، وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها (ح 643)، ولفظ الحديث عند النسائي قال سؤالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: <<هل تأكل المرأة مع زوجها وهي طامث ؟ قالت : نعم ، كان رسول الله يدعوني ، فآكل معه ، وأنا عارك ، وكان يأخذ العرق ، فيقسم علي فيه ، فأعترق منه ، ثم أضعه ، فيأخذه ، فيعترق منه ، ويضع فمه ، حيث وضعت فمي من العرق . ويدعو بالشراب ، فيقسم علي فيه قبل أن يشرب منه ، فآخذه فأشرب منه ، ثم أضعه ، فيأخذه فيشرب منه ، ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح>> . انتهى .

(1) لفظ الحديث عن جابر: قال: <<دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما فقلت : نعم الجمل جملكما . فقال : نعم الراكبان هما . وفي لفظ : دخلت عليه والحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع يقول صلى الله عليه وآله : نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما>> .أخرجه ابن عساكر في تاريخ الشام (207/4)، وابن كثير في البداية والنهاية (37/8) وقال في سند الرواية الاولى: على شرط مسلم . انتهى .

أبلي وأخلِقي>>(1) فليس هناك شيء مقدس عن لمس الطفل يمنع منه، بل كان الطفل يبول في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وما أمْرُه بالرش من بول الطفل والغسل من بول الجارية (2) إلا إشارة أن لا يمنعكم بولُهم من حملهم واللعب معهم فعلاً من أفعال الحب اللائقة بين الناس . بالحب وحده تحصل المتابعة بين التابع والمتبوع فمن غير حبٍّ قلبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحصل التأسّي والانقياد .

وبالحب وحده تحصل العبودية لله رب العالمين، فحينها تُنصب الأقدام وتنفق الأموال وتزهق الأرواح وتبذل النفائس رجاء أن ترى وجه المحبوب يوم القيامة .

وبالحب وحده يُطاع الأمر في الباطن عن رضا وقبول كما يطاع في الظاهر، ولا حياة للمجتمعات والجماعات إلا بهذه الطاعة الباطنة الراضية .

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأدب باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو مازحها (ح 5534) وفي كتاب الباس باب ما يدعى لمن لبس ثوباً جديداً بحوه (ح 5993) ولفظهُ عن أم خالد بنت خالد قالت : << أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء قال من ترون نكسوها هذه الخميصة فأسكت القوم قال ائتوني بأم خالد فأتي بي النبي صلى الله عليه وسلم فألبسنيها بيده وقال أبلي وأخلقي مرتين فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إلي ويقول يا أم خالد هذا سنا ويا أم خالد هذا سنا والسنا بلسان الحبشية الحسن . قال إسحاق : حدثتني امرأة من أهلي أنها رأته على أم خالد >> . (2) البخاري في كتاب الوضوء باب بول الصبيان (ح 223) ، ومسلم في كتاب الطهارة باب حكم بول الصبيان وكيفية غسله (المنهاج 663 ـ 664) ، في كتاب السلام باب التداوي بالعود الهندي وهو الكست (المنهاج 5726) بنحوه ، وأبو داود في كتاب الطهارة باب بول الصبي يصيب الثوب (ح 374) والترمذي في كتاب الطهارة باب ما جاء في نضح بول الغلام قبل أن يطعم (ح 71) بنحوه ، والنسائي في كتاب الطهارة باب بول الصبي الذي لم يأكل الطعام (ح 301) ، وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في بول الصبي الذي لم يطعم (ح 524) بنحوه ، لفظ الحديث عند البخاري ومسلم عن أم قيس بنت محصن : << أنها أتت بابن لها صغير ، لم يأكل الطعام ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فبال على ثوبه ، فدعا بماء ، فنضحه ولم يغسله >> . انتهى .

إن المعاني الجميلة ليس أمراً زائداً عن الحياة، وليست مكملاً لضرورات وحاجيات الحياة، بل هي أسّ الحياة وضرورتها الأولى وغيرها مكمل لها وهامش على جوانبها، ومن لم يفهم هذا فهو أضل من دواب الأرض وأنعامها، لأن الأنعام تفهم هذه المعاني وتراعيها على حساب أشيائها بل وعلى حساب حياتها، فالأسد يموت من أجل زوجته والدب يموت من أجل أولاده، وقد ذكر الله في كتابه أن من عذاب الله تعالى على الناس أن تضيع هذه المعاني بين الناس والدواب والجبال والبحار فقال سبحانه : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ الروم.

تبقى مسألة وهي مهمات تحصيل الحب، والحق أن الشرع كله من كتاب وسنة ما وضع إلا لهذا المقصد، وكلما حصّل المرء طاعة بينه وبين ربه اقترب بمقدارها إلى حب الله بل أكثر منها لأن كرم الله يقتضي ذلك فقد قال تعالى: <<من أتاني يمشي أتيته هرولة>>(1) ، ولكما حصل المرء طاعة بينه وبين ربه يزداد قرباً من أحباء الله وعبيده وخلقه، وكذا تحصيل الطاعات مع الخلق من حسنِ خُلقٍ وإنفاق ورحمة بهم وعفو عن إساءتهم وتغابي عما يفعلون كل ذلك وغيره من خيرات الحب، وتفصيل ذلك يطول، ولكن المقصد أن الحب هو ميزان الدنيا وعنوانها، وهو ميزان الآخرة ودرجاتها، فأحبوا الصالحين والمجاهدين والعلماء والعاملين تحشروا معهم يوم القيامة برحمة الله وفضله،

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب التوحيد باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه (ح 7537) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الذكر والدعاء ، والتقرب إلى الله تعالى (المنهاج ح 6771 ـ 6772 ـ 6773 ـ 6774 ـ 6775)، والترمذي في كتاب الدعوات باب في حسن الظن بالله عز وجل (ح 3603) ،وابن ماجة في كتاب الأدب باب فضل العمل (ح 3821 ـ 3822) ولفظ الحديث عند مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : << أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه وإن اقترب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيتههرولة >> . انتهى .

وأميتوا شرورَ القلوب وإساءات الآخرين بالحب، وقد صدق من قال: " اقتلوا أعداءكم بالحب "، فوالله إن الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شكى إليه أحد أصحابه فعل قَرابته له، أنه يصلهم وهم يقطعونه، فقال:<<إن كنت كما تقول فإنّما تسفّ في أعينهم المل>>(1) أي الرماد الحامي، فإن الخصم يفرح إن رأى أنه أصاب منك، فلما يراك لا تغضب لصنيعه بل تزداد له قرباً وصلة فإما أن يصلح أمره كما قال تعالى: (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم) كما صارت صفية بنت حيي بن أخطب حبيبة لقاتل زوجها وأبيها وعمها وإما أن يعذّب بإحسانك له.

وعلى كل فهذا باب تُؤلف فيه المجلدات شهد الله لكن ما أردت إلا الإشارة لأهمية هذا الباب، فإن كثيراً من الناس في عقله قل هذا العمل القلبي العظيم، وكفى بفضله أنه يثقل الضعيف حتى يلحق بالكبار والعاملين، فإن المر مع من أحب، وإنه من عدل الله ورحمته أن يجمع الأحبة ولا يفرق بينهم.



(1) أخرجهُ مسلم في كتاب البر والصلة باب صلة الرجم وتحريم قطعها (المنهاج ح 6472) ولفظهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه :

<< أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ . فَقَالَ : << لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ >> . انتهى .

الحديث الحادي عشر

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهُ قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذاً إلى اليمن وقال : << يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا ولا تختلفا >>(1) .

الأمم والمجتمعات والجماعات لها أرواح، وأرواح الأفراد كأرواح الجماعات تنبسط وتنقبض، وتحزن وتفرح والروح لما تقبض بالقهر والقسوة والعنف تتعطل قواها الفاعلة لأنها تتكمش نكوصاً إلى داخلها الحزينة، وتتلبس باليأس إن طال القهر وامتد زمانه، ولا يوجد ثمة بيئة تمتج الإبداع وتقوّيه سوى بيئة التسامح والإنفتاح والحبور والأمل، فهذه بيئة العطاء، لأن النفس المبتهجة هي التي تفكر بالإبداع والإحسان، وتنطلق من هموم ذاتها إلى غيرها بالحب والعطاء، والقهر والقسوة والعنف وإن حققت بيئتهم بعض النتائج حيناً إلا أنها لا يمكن أن تدوم، فالخوف إن طال إما

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع(ح 4343 ـ 4344 ـ 4345) مطولاً ، وفي كتاب الجهاد باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه(ح 3038) ، وفي كتاب الأدب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : << يسروا ولا تعسروا >> (ح 6124 ـ 6125) مطولاً ، وفي كتاب الأحكام باب أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا (ح 7172) مطولاً وفي كتاب العلم باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوله بالمواعظة والعلم كي لا ينفروا (ح 69) ، ومسلم في كتاب الجهاد باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (المنهاج ح 4500 ـ 4501 ـ 4503) مختصراً ، وفي كتاب الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام (ح 5182 ـ 5183 ـ 5184) مطولاً ، وأبو داود في كتاب الحدود باب الحكم في من أرتد (ح 4356) ، والنسائي في كتاب الأشربة باب تحريم كل شراب أسكر (ح 5611) ، وابن ماجة في كتاب الأشربة باب كل مسكر حرام (ح 3391) ، وللحديث ألفظ مختلفة ومنها ما جاء عند البخاري بلفظ حدثنا سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَدَّهُ أَبَا مُوسَى، وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ << يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا>> . فَقَالَ أَبُو مُوسَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَرْضَنَا بِهَا شَرَابٌ مِنَ الشَّعِيرِ الْمِزْرُ، وَشَرَابٌ مِنَ الْعَسَلِ الْبِتْعُ. فَقَالَ " كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ " . فَانْطَلَقَا فَقَالَ مُعَاذٌ لأَبِي مُوسَى كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَالَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِهِ (يتبع في الحاشية التالية) .

أن يتحول إلى مرض ووسواس قهري وإما بالمخالفة والإنقلاب حين يتم التجاوز . المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية والجماعات الحية التي دام تأثيرها كمذاهب العلماء وحلقات الدراسة مادامت إلا بهذا القانون النبوي العظيم <<بشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا>> .

أما اليسر فهو في التكاليف والمهام العملية.

وأما التبشير فهو في الخطاب ومقال اللسان ومقام البيان.

وأما التطاوع فهو في مقام الآراء في تحقيق الإجتماع والألفة.

فالراعي ييسر على رعيته في التكاليف ولا يكلفهم ما لا يطيقون، فلا يطلب منهم "كرائم أموالهم " كما جاء في الحديث الشريف، ولا يشق عليهم فيخونوه ويخدعوه، فالأب والأم والمعلم والسيّد والأمير والسلطان كل هؤلاء لا يستقيم لأمرهم تنفيذ أو دوام إلا بأن ييسروا على رعيتهم، لأن الحياة طويلة، والتكاليف دائمة ليست ليوم ولا يومين بل للعمر كله وبهذا الحال لا يتم التواصل إلا باليسير لا العسير.

وبالتبشير يتم دفع النفس للعمل، فهو وقودها لا تقوى إلا به، ولا تتواصل إلا بهذا المدد، ومن ذلك الذي يقال له " التشجيع "، وهي تسمية معاصرة لممارسات عملية كالهدية وقولية كالمديح تدفع صاحبها للإقبال ع لى العمل وبذل المزيد من الجهد، وهذا باب معطّل في العمل الإسلامي بسبب التربية الفاسدة في مجتمعات إسلامية معينة

== وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا . قَالَ أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي، وَضَرَبَ فُسْطَاطًا، فَجَعَلاَ يَتَزَاوَرَانِ، فَزَارَ مُعَاذٌ أَبَا مُوسَى، فَإِذَا رَجُلٌ مُوثَقٌ، فَقَالَ مَا هَذَا فَقَالَ أَبُو مُوسَى يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ . فَقَالَ مُعَاذٌ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ >> وفي رواية كذلك عند البخاري بلفظ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ . رضى الله عنهما . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ << إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ " . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﴿طَوَّعَتْ﴾ طَاعَتْ وَأَطَاعَتْ لُغَةٌ، طِعْتُ وَطُعْتُ وَأَطَعْتُ >> . انتهى .

وبسبب غزو الدين الصوفي لكثير من عقول المربين والعلماء .

لنر ما تقوم به التجمعات الجاهلية من مديح و"تشجيع" لرجالها وأعمالهم، ولنقارن هذا ما يحصل في الصف الإسلامي، وذلك لانتشار الحسد والتنافس الجاهلي بين أهل الإسلام، وكأن تقدم واحد مضر بالآخرين، ولم يعلموا أن تقدم مسلم إنما هو للإسلام وإن ضُرَّ مسلم هو للمسلمين جميعاً ، لكنها جاهلية الشر من الحسد والكبر والغرور.

بالتيسير يحصل الدوام وبالتبشير يحصل الاندفاع وكثرة العطاء ، والنفوس تُظْلِم بكثرة التقريع والغلظة، وتدبر إن لم تجد من يكشف لها حسن ما تعمل كما تجد من يصوّب خطأها ، وليس هذا من باب الرياء في شيء لا من قريب ولا بعيد ، فإن الرياء هو أن يعمل المرء عمله لغير الله، وذلك بأن يطلب رضاهم غير ناظر إلى وجه الله والدار الآخرة، أما فرح النفوس حين ترى تقدير الناس لأعمالهم مع أن عملها ما قام إلا لوجه الله تعالى فهذا شيء منتشر بين أخلص القلوب وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم كان يسوؤهم أن يروا الكراهة في نفوس إخوانهم لما يفعلون، ومن ترك الشر حياءً من الناس فهو مؤمن لأن الحياء من الإيمان، ومن عمل عملاً من الصالحات لإدخال البهجة على نفوس الصالحين من إخوانه فهو مؤمن لأن أصل الفعل هو <<الحب في الله والبغض في الله >>(1) ، وهذا من لم يدركه فهو جاهل صوفي أخرق.

فالتبشير وهو ذكر الحسنات والبشائر والفأل إنما هو وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، وهي وصية أليق بالرعاة والأئمة والقادة والعلماء وهي بحق لا تليق إلا بهم، وما كان يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضائل أصحابه، وما يظهره من فرح لما يعملون من خير شيء كثير جداً في سنته، ولذلك كانوا في تنافس لكسب حبه ووده وسروره.

---

(1) أخرج أبو داود بنحوه في كتاب السنة باب مجانبة أهل الأهواء والبدع (ح 4599) بلفظ : << أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله >> وفيه ضعف لأن في سنده روى لم يذكر ، وما رواه الطبري في الكبير والأوسط ، والإمام أحمد في صحيحة ، والإمام الألباني في الصحيحة برقم (1728) << أوثق عرى الإيمان المولاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله >> .انتهى .

وقوله صلى الله عليه وسلم: <<تطاوعا ولا تختلفا>> إنما هو لدرء أس باب الفتنة والضعف وذهاب الريح والقوة، وهذا لا يكون إلا بأن يطيع كل واحد صاحبه ويرى لقول صاحبه فضلاً على قوله، وإن من أفسد الأخلاق وأقبحها في الحياة ما يقال له " التصلب في الرأي " و" الإصرار على القول "، وإن من الشر أن يرى البعض أن هذا من قبيل الرجولة والبطولة أو أنه من قبيل الثقة في النفس، لا والله بل هو من باب الشر والشيطان، فإن الحكيم هو الذي حرّكْته التجارب وأدرك أن الحياة تتسع لأقوال الآخرين كما تتسع لرأيه، وأن قوة الفعل أن تدرك مآخذ قول أخيك وترى وجه حسنه وصوابه كما ترى مآخذ قولك وحسنه وصوابه، وإن هذا والله من باب العقل والتجربة والحكمة وسعة العلم.

الصغار مهما كبرت مناصبهم وأسماؤهم هم الذين لا يرون إلا أنفسهم ولا يثقون إلا بأقوالهم وأما الكبار فهم الذين يسَعُون الناس ويصبرون على متابعتهم والاستماع لهم واحتمال آرائهم والنزول عليها، ثم إن الاجتماع أهم م قصد يجب أن نسعى له، ومن أجله قد يتم التنازل عن بعض الحق من أجل ما هو عظيم جليل، إذ الاجتماع هو الشرط الأوليّ لتحقيق مصالح الإسلام ومقاصده.

ما أدوم الحياة وأجملها بهذه الوصايا لأن فيها متعةَ الروحِ وإبداعَاها ودوامَها، وما أشقى الحياة وأقساها وأظلمها حين تخالفها وتسير في الضد منها .



الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : <<مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلاً يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لاَ حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا ، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُمْ لاَ تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ ، وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلاً ، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا ، وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمَا أَكْمِلاَ بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا ، وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الأَجْرِ . فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينُ صَلاَةِ الْعَصْرِ قَالاَ لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ ، وَلَكَ الأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ . فَقَالَ لَهُمَا أَكْمِلاَ بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا ، فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَىْءٌ يَسِيرٌ . فَأَبَيَا ، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ>>(1) .

الحرص على النهايات ينبغي أن يكون بمقدار هِمّة البدايات وإلاّ خاب المسعى وضاع الجهد والعرق، والنفوس قد تنشط للبدايات لأسباب عديدة منها عدم إدراك النفوس ما ستلاقيه من تعب ونصب إذ تقبل على الأعمال برؤية الجمال فإذا أصابها لظى العمل وقسوته ارتدت وانتكست، ومنها أن بعض الأعمال تبدأ بصفة الجمهور وبنزعة القطيع ثمّ تبدأ التصفيات وصولاً للقلة الواعية، ومنها ما يصيب النفوس من كسل أو يأس، كسل في الإرادة والأعمال، ويأس من النتائج إن طالت الطريق، وكل هذا من أمراض النفوس وعد ثقتها بالحق نفسه، ﴿وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب من أدرك ركعة من العصر قبل المغرب (ح 557) ، وفي كتاب الإجارة باب الإجارة من العصر إلى الليل (ح 2315) .

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ فصلت، فالصبر هو وقود الثبات، وكما قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة ، " فالصبر يمد بالثبات، واليقين يمد بالأمل "، ولا علاج للنفوس إلا بالثقة على الحق وعدم الندم على ضياع الشهوات الدنيوية، والعاملون لدين الله تعالى من مجاهدين وعلماء ودعاة هم أحوج الناس إلى الصبر واليقين، فإن الطريق طويل طيلة الحيا ة إلى الموت، والطريق شاقّ محفوف بالإبتلاء، إبتلاء يصيب البدن وابتلاء يصيب العقل والمعاني، وهكذا المعالي لا تكون إلا بالكَبَد كما قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة ، وفي الآية أنه لا يكون النصر واليسر والفتح حتى تَصلَ ذروةُ الإبتلاء أقصاها كما قال الله عن الثلاثة الّذين خُلّفت توبتهم : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴿١١٨﴾ ﴾ التوبة ، والقصد أن الخط البياني مع البلاء في صعود وكلما ارتقى الإبتلاء درجة سقط قوم والتحق آخرون، فمن سقط يسقط لجهله وشهوته، ومن التحق فإنما لالتقاء عقله وقلبه مع هذه المعاني الراقية العظيمة، فإذا كانت النهايات لم يخلص إليها إلا ذو حظ عظيم كما قال الله تعالى، فهذا الدين عمل مع الله تعالى وهو دين الآخرة كما قال عن أصحابه : ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ ص .

في هذا الحديث التحذير من النكوص على الأعقاب قبل التمام، فإن عدم التمام يدمر البدايات، فتعساً لرجل عمل للجنة حتى إذا اقترب المغيب صار إلى أصحاب أعمال النار .

في واقعنا كم رأينا من كانت بدايته على خير ودين ونصرة للحق وأهله، وصدعاً بكلمة الحق حتى لت ظن أن هؤلاء هم وُرّاث المرحلة، فيُبسط لهم في قلوب الخلق حباً ثمّ إن هي غلوة طريق حتى أخذوا ذهاباً يميناً وشمالاً فبئس ما ضيعوا .

وفي الحديث إشارة أن السبق لا يُمدح إن لم يواصل، فالسابقون فضلهم بالثبات حتى اليقين، أما تجار التاريخ الذاهب والزمن الخالي وهم في عدوة أهل الباطل فهؤلاء ذمُّهم أولى من غيرهم لأنهم عرفوا الحق وأعرضوا عنه.

لقد علمتني الحياة قيمة هذا الحديث وهو صعوبة النهايات ومشقتها على النفوس، فإن الهمم يصيبها التعب كما يصيب الأبدان، والمرء يحتاج إلى تجديد همّته كما يحتاج إلى تغذية بدنه، وتغذية اله مم تكون بالتذكرة ورفقة الأصحاب، والحرص على مجالسة المبتدئين في قوتهم وإقبالهم وهدايتهم فلهؤلاء قلوب جديدة وهمم سابقة، إذ أن طول الأمد يخلق ويبلي.

أهل الجهاد هم أولى الناس بهذا الحديث، فإن الناس يعلمون أن النصر مع الصبر، وفي لحظات تهب رياح وتذهب رياح، فعندما أضاع الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى أصابهم ما أصابهم، وفي حنين حيث تداعت الصفوف وتضعضعت وصاح من صاح أن بطل السحر، ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قلة لا يصلون للمئة فحصل النصر وهبت رياحه حتى وقع ما يحب الله ورسوله والمؤمنون، ولذلك الحذر من حصول الغفلة أو التهاون أو اليأس، فكم من نصر بالغفلة والتهاون صار هزيمة وخزي وعار، وكم من هزيمة تحولت بدفع اليأس وحصول اليقين إلى نصر وتأييد، ثم ليحذر المجاهد أن يركن على تاريخه ويضع السلاح فإن في ذلك ضياع أجره وذهاب فضله.

وفي الحديث كذلك فضل اللاحقين إن ورثوا الأمر كما يجب، لأن كثيراً من اللاحقين إنما تأخروا لمعاني في قلوبهم أو لظروف في أحوالهم فلما حصل الخير ارتقت نفوسهم بمعاني حصلوها مع الإيمان ومراتب حصولها بالعمل والمواقف، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : <<استكملوا أجر الفريقين كليهما >> ، فهذا الفاروق ابن الخطاب الذي كان إسلامه عزّاً للإسلام وكان لإمارته فتح وصفه الحبيب المصطفى بقوله: <<لم يفر أحد فريه>>[1] ،

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب المناقب باب علامة النبوة في الإسلام (ح 3633) وفي كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب 6 (ح 3682) وفي كتاب التعبير باب نَزْعِ الْمَاءِ مِنَ الْبِئْرِ حَتَّى يَرْوَى النَّاسُ (ح 7020) وفي كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة (ح 7565) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه (يتبع في الحاشية التالية).

وذلك فضل الله تعالى يقع على أهله ومن يستحقه .



== (المنهاج ح 6146 ـ 6147) ، والترمذي في كتاب الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الميزان وا لدلو (ح 2289) ولفظ الحديث كما جاء عند البخاري حَدَّثَنَا يَسَرَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ جَمِيلٍ اللَّخْمِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم << بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ فَنَزَعْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَنْزِعَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطَنٍ >> . انتهى .

الحديث الثالث عشر

عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه اَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : << يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَاْسِ اَحَدِكُمْ اِذا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَاِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَاِنْ تَوَضَّاَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَاِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ كلها فَاَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَاِلاَّ اَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ>>[1] .

العمل قد يفسد في بدايته، وفساده في بدايته بتسويفه وتأجيله تحت ظن إمكانية إدراكه في زمن آت، فالعمر طويل!، وقد يفسد في وسطه بعدم تمامه وترك إكماله، وقد يفسد لفساد مقدماته، فالمقدمات الفاسدة تنشئ النهايات الفاسدة.

فالعمل الصالح لا يتم إلا بإرادة تمحو التسويف والتأجيل، وتنبيه حتى التمام، ويجبّ له مع علم به والشيطان يعمل عمله في رغائب النفس وشهواتها، وتذهب قوته وتأثيره بالعمل الصالح اللازم للفعل، فهذا الإنس ان حين ينام – والنوم راحة للبدن لابدّ منه لكنه يصبح رغبة وشهوة لها علاقة بالكسل إن طال وخرج عن حده– يعقد الشيطان على رأسه من الخلف ثلاث عقد، لا عقدة واحدة، وهذه طبيعة الحياة قائمة على التركيب، فلا يوجد شيء في الدنيا

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب التهجد باب عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّاْسِ اِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ (ح 1074) وفي كتاب بداء الخلق باب صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ (ح 3029) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافر باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (المهاجح 1816) ، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب الترغيب في قيام الليل (ح 1606) وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في قيام الليل (ح 1329) ، وأبو داود في كتاب التطوع باب قيام الليل (ح 1306) . انتهى .

متوحد يقوم بنفسه دون غيره، سواء كان من أعمال الخير أو الشر، سواء في الخلق أو النفس، وإذا كان الأمر كذلك فلا يصلحه ولا يتم بناؤه بفعل واحد بل لابدّ من تكرار له في حالات أو في مزجه في حالات معينة، وهذا كما في قدر الله تعالى فهو في شرعه كذلك –وسيأتي إن شاء الله تعالى شرح ذلك في باب الشرعيات كالدعاء–، وهذه العقد الشيطانية مع تركيبها إلا أنها تتلاءم مع المحل وإلا لما كان لها نفع، وهذا من كيد الشيطان ومعرفته بالسنن، وههنا ملاءمتها مع المحل بختمها بختم:<<عليك ليل طويل فارقد>>، فهي تتلاءم مع الزمان –"عليك ليل"– ووتتلاءم مع النفس –"فارقد"–.

هذا الفعل الشيطاني لا بد من هزيمته، وهزيمتُه إزالتُه، وهذا ككل الشر، وشرط هزيمته هو حصول التكافؤ، وهذا الشرط كثيراً ما يغفل عنه العاملون، إذ يظنوا أن مجرد وجود الفعل كاف لتحقيق الفعل، وهذا خطأ منتشر في عقول المسلمين في الشرعيات كثيراً كما هو منتشر في الكونيات فيما يتعلق بالعمل لدين الله تعالى وتحقيق النصر والهداية، والتكافؤ لابدّ له من التتابع حيناً كما لا بد له من التنوّع والتركيب حيناً آخر وقد يحتاج إلى الأمرين – التتابع والتركيب–، كما حصل مع الرجل الذي شكى للنبي صلى الله عليه وسلم استطلاق (من الإطلاق والإنفلات) بطن أخيه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقيه عسلاً [1]، فسقاه فلم يشف، ثم عاد شاكياً، فأمره بالزيادة وهكذا حتى حصل المقصود، فبمجرد جرعة من عسل لا تكفي لبعض الأمراض بل لابدّ من التكافؤ، فالبعض يظن أنه بمجرد لعقة من عسل لابدّ من الشفاء لقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۝٦٩﴾ النحل، بل أن بعض الأمراض لا

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الطب باب الدواء بالعسل وقوله تعالى ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ (ح 5684) وفي باب دواء المبطون (ح 5716) ومسلم في كتاب الطب باب التداوي بسقي العسل (المنهاج 5731 ـ 5732) ، والترمذي في كتاب الطب باب دو اء المبطون (ح 2082) ، ولفظ الحديث كما جاء عند مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : << جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخي استطلق بطنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اسقه عسلا " فسقاه . ثم جاءه فقال : إني سقينه عسلا فلم يزده إلا استطلاقا . فوإل له ثلاث مرات . ثم جاء الرابعة فقال " اسقه عسلا " فقال : لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صدق الله . وكذب بطن أخيك " فسقاه فبرأ >> . انتهى .

يكفي العسل لوحده، كما قال سلفنا قديماً –ومنهم ابن القيم في الطب النبوي–: إن الأطعمة غير المركبة ينفع لأمراضها الأدويةُ غير المركبة، لكن الأمراض المركبة لابدّ لها من الأدوية المركبة، فبعض الأمراض لا ينفعها العسل لوحده، إذ لابدّ من التكافؤ في شيئين: الكمية والنوع، وهذا الذي عينته بـ "التّابع والتركيب"، فهذا النائم لم ينفعه أن يذكر الله تعالى لحلّ كل العقد بل احتاج إلى التنوع والتابع، فالعقدة الأولى أزالها الذكر، والثانية لابدّ لها من ملائم مكاني وهو الوضوء، والثالثة لم ينفعها إلا الصلاة، وفي العمل الجماعي لابد من هذا الأمر وتذكُّرُه ودليله حديث الذين آواهم المبيت إلى الغار فلم ينفعهم إلا الدعاء بصالح أعمالهم، ولما ينجهم دعاء واحد منهم[1]، بل دعوا جميعاً، وكل واحد

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب البيوع باب إذا اشترى شيئًا بغير إذنه فرضى (ح 2215) وفي كتاب الإجارة باب من استأجر أجيراً فترك أجره (ح 2272) وفي كتاب الزراعة والحرث باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم (ح 2333) وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار (ح 3465)، ومسلم في كتاب التوبة باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال (المنهاج ح 6884 ـ 6885 ـ 6886)، ولفظ الحديث كما جاء عند مسلم عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: << بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر. فأووا إلى غار في جبل. فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل. فانطبقت عليهم. فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمال عملتموها صالحة لله، فادعوا الله تعالى بها، لعل الله يفرجها عنكم. فقال أحدهم: اللهم! إنه كان لي والدان شيخان كبيران. وامرأتي. ولي صبية صغار أرعى عليهم. فإذا أرحت عليهم، حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني. وأنه نأى بي ذات يوم الشجر. فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما. فحلبت كما كنت أحلب. فجئت بالحلاب. فقمت عند رؤوسهما. أكره أن أوقظهما من نومهما. وأكره أن أسقي الصبية قبلهما. والصبية يتضاغون عند قدمي. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منه فرجة، نرى منه السماء. ففرج الله منه فرجة. فرأوا منها السماء. وقال الآخر: اللهم! إنه كان لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال من النساء. وطلبت إليها نفسها. فأبت حتى آتيها بمائة دينار. فتعبت حتى جمعت مائة دينار. فجئتها بها. فلما وقعت بين رجليها. قالت يا عبدالله! اتق الله. ولا تفتح الخاتم إلا بحقه. فقمت عنها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منها فرجة. ففرج لهم. وقال الآخر: اللهم! إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز. فلما قضى عمله قال: أعطني حقي. فعرضت عليه فرقه فرغب عنه. فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعائها. (يتبع في الحاشية التالية).

حقق من الفرج بمقدار دعائه، ولم يقع الفرج الكلي إلا بدعائهم جميعاً، فإن هذا هو الملائم لما هم فيه، فهذا القانون والسنة لا يجوز أن تغيب عن أذهاننا في الجهاد والدعوة والدعاء وأي عمل من أعمال الدنيا أو الآخرة، والإنحراف في هذه القاعدة هو الذي يوقعنا في جهالة فهم قدر الله تعالى من جهة وجهل وعود الله تعالى وشرعه من جهة أخرى، فتكثر الأسئلة: لِمَ لَمْ تقع هذه النتيجة وقد حققنا شرطها؟، والصواب: أن سنة الله تعالى جارية بأن الفعل لابد من وقوعه إن تحققت شروطه، لكن هذا السؤال ينتج بسبب جهالة ما هي الشروط، فليس مجرد الدعاء يحقق الإجابة بل لابد من التكافؤ كما تقدم في حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وليس مجرد الجهاد يحقق النصر بل لابد من التكافؤ، ومن شروط التكافؤ هو معادلة الموانع، لأن القوة الكافية هي سلامة الفعل وعدم وجود الموانع كما قال ابن حزم رحمه الله تعالى.

فهذا الذي انحلت عقده كلها ووقع المطلوب صار هذا الفعل سبباً لفعل آخر لقوله صلى الله عليه وسلم: <<أصبح نشيطاً طيّب النفس>> وهكذا تتوالى الحياة مركبة، كل فعل يحتاج إلى ما قبله، وكل فعل يحتاج إلى شروط في نفسه، وكل فعل يحتاج إلى شروط تحيط به وتواكبه، ولذلك لا يقال اليوم: لِمَ لا ننتصر؟ ففي هذا السؤال عماية عن تاريخنا الذي ورثنا نتائجه، نتائج أفكار منحرفة وأعمال ضالة وكسل أحاط كل جوانب العمل أو أغلبها في حياة أمتنا. وفيه عماية عن شروط النصر الذاتية وفيه عماية عن الشروط الموضوعية التي تحيط بنا. كما لا يجوز لنا أن نسأل عن عمل صالح لا يحقق النتيجة النهائية، لأن النتيجة النهائية هي ثمرة لتجمع أعمال طويلة لم تكن وقتها كافية

== فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي . فقلت : اذهب إلى تلك البقر ورعائها . فخذها . فقال : اتق الله ولا تستهزئ بي فقلت : إني لا أستهزئ بك . خذ ذلك البقر ورعائها . فأخذه فذهب به . فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا ما بقي . ففرج الله ما بقي . وفي رواية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم . حتى آواهم المبيت إلى غار . واقتص الحديث بمعنى حديث نافع عن ابن عمر . غير أنه قال : قال رجل منهم : اللهم ! كان لي أبوان شيخان كبيران . فكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا . وقال : فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين . فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار . وقال : فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال . فارتعجت . وقال : فخرجوا من الغار يمشون >> . انتهى .

لإظهار النتيجة، فالشجرة العظيمة لا يتلفها قضمة نملة صغيرة، لكن هذه القضمة هي الوحدة الأولى لانهيار الشجرة فهذا النائم لا يسأل: ماذا سينفعك الذكر إذ لا يحل عقدك كلها ؟ لأن الذكر هو اللبنة الأولى لإزالة هذه العقدة.

هذه هي حكمة الحياة وهذه سننها ، ومع الفهم لدين الله تعالى وحرقة التجارب تستقر الحكمة في القلوب والعقول، ويبقى أمر: هل يئس الشيطان من أن يعقد على رأس كل نائم، وفي كل ليلة؟ الجواب معروف، لكن لِمَ ييأس أهل الإسلام من محاربته في كل صباح وكل يوم وكل لحظة؟ هذه هي المعضلة . كل يوم وفي كل لحظة أنت مدعو للمجاهدة والصبر والذكر والثبات والتذكر والتفكر والتعلم، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ الشرح.



الحديث الرابع عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: << يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي >>(1) .

كما أن الأمور الكونية لا تقع إلا بشرط التكافؤ بين المقدمات والنتائج، لابدّ من عامل الزمن كما نرى في نمو الخلق من إنسان وحيوان ونبات، وكما نرى في تحقق الشفاء للأمراض والجروح، فكذلك الأمر مع الأمور الشرعية، فإنه لابدّ من التكافؤ بتتابع الفعل، والتتابع لا يقع إلا مع عامل الزّمن، فوضع آلاف الأطنان والمكاييل من ا لمياه دفعة واحدة على النبتة الصغيرة لا يصنع منها شجرة باسقة يانعة، بل لابدّ من التتابع السُّنني، ويفسد هذه السنة العظيمة مرض الاستعجال، هذا المرض الذي إن جمع مع مرض اليأس يصفان كل هزيمة وفساد .

العاملون لدين الله تعالى من مجاهدين وعلماء ودعاة هم أحوج الناس لبصيرة السنن، والكثير من الشرعيات قد فقهها هؤلاء هذه الأيام لكن حاجتهم إلى سنن النفس والإجتماع والنصر والهزيمة والفعل هو في العدل من حاجتهم إلى ما يحقق حب الله تعالى من خلال أمره، فأمره يحقق الحب الإلهي وقدره يحقق الوعود ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الصف .

يظن الكثير من العاملين لدين الله تعالى أن عالم الغيب تحققه يقع من خلال القدرة الإلهية دون اعتبار لهذه السنن، إذ يحسبون أنَّ السُّنن قانون خاص للحياة الدنيا وللأرض دون الغيب والسماء، ولعمر الحق هذا انحراف

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الدعوات باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (ح 6340) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول : دعوت فلم يستجب لي (المنهاج 6869 ـ 6870) ، وأبو داود في كتاب الصلاة باب الدعاء (ح 1484) ، والترمذي في كتاب الدعاء باب ما جاء فيمن يستعجل في دعائه (ح 3387) ، وابن ماجة في كتاب الدعاء باب يستعجاب لأحدكم ما لم يعجل (ح 3853) .انتهى .

شنيع، فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ هود، إذ مقتضى هذا أن لا يقع شيء إلا من خلال سنته وسببه، فربنا خلق السماوات والأرض في ستة أيام وه و القادر على أن يخلقها بكلمة واحدة وهي -كوني- لكن كل شيء خلق من خلال سنته، وتلك الأيام في طولها الزمني ليست كأيام الأرض كما هو معلوم من كتاب الله ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ الحج، وصعود الملائكة بالأمر في أيام طول اليوم فيها خمسون ألف سنة كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾، مكان هذا الذكر لطول الأيام مقدمة لقوله : ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ المعارج، والمناسبة بينهما واضحة في ما نحن فيه لمن تفكر فيه والحمد لله رب العالمين. ولذلك لا يتحقق شيء إلا من خلال سنته، وهذا الإنسان خلقه الله في السماء من طينة الأرض وجرى ما جرى له في السماء من ابتلاءٍ كشف حقيقته وضعفه ومن عدوه وماهي مداخل هذا العدو فيه، كل ذلك لتجري الأمور من خلال سنتها، ومقتضى الحب من الإحسان لا يقع إلا من خلال السنة كما أن مقتضى البغض من الإهلاك لا يقع إلا من خلال السنة حتى لو وجد الموجب، وتأمل قوله تعالى في سورة النحل : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾، فالموجب للعذاب من الغضب الإلهي بسبب المعاصي قد وقع ولكن تأخر العذاب حتى تأتي سنته، وهذه الآية هي في نفس السورة (أي النحل) التي فيها قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾، فدل على أن الفعل الإلهي لا يقع إلا من خلال السنة، ومن جهْلِ الكفرة بهذا جعلوا التأجيل وعدم وقوع الفعل دليلاً على عدم استحقاقهم له فقالوا : ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴿٨﴾﴾ المجادلة ، وقال الله عنهم : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ الحج، وهذه المعاني الباطلة التي جعلت إقبال الكفار على المعاصي واستحقاقهم بها هي التي تقع في قلوب المسلمين وتدفعهم لترك الصالحات كما في هذا الحديث - حديث الباب- وهو أن أحدهم حين يدعو ولا يرى سرعة الإجابة يترك الدعاء والعمل، وقريباً منها هو الذي وقع في قلوب المنافقين وفي غزوة أحد فقالوا : ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴿١٥٤﴾﴾ آل عمران، فإن فيها معنى " لو كنا على

الحق لما تخلف النصر عنا " وإن كان هذا المعنى ملحق لا الأصلي، والقصد أن الفعل لابدّ له من سنة ومنها ظرفُه التاريخي لوقوعه، وتأخُّرُه لا يدل على عدم وجوده فالثمرة قوة كامنة في الشجرة حتى قبل ظهورها، وحين تبدو لا تخضر كزهرة تامة، والزارع يفهم ذلك كله ولا يترك العمل لخفاء الثمر أو لعدم نضجه بل يرعاه دائماً ويرقبه وهو موقن بوصوله إلى مطلبه يوماً، وهكذا العامل لدين الله تعالى فإنه ليقينه على الوعود الإلهية يرعاها وهي في علم الغيب وعداً ثم يرعاها وهي تنمو حتى تصل لكمالها كالدعاء، فإن المر يدعو ربَّه وبالدعاء يكون الإجابة لوعد الله الذي لا خلف فيه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾غافر ، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾ ﴾البقرة، ثم يرعاه بالزيادة والإجتهاد وكثرة السؤال وتحري أوقات وأماكن القبول حتى يصل إلى النهاية وذلك بوقوع الوعد على الوجه الذي رجاه السائل لربه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: <<يستجاب لأحدكم>> ثم قال : <<يقول دعوت فلم يستجب لي >> فأين الإجابة إذاً؟، الجواب في مثال حصول الولد بالنكاح، فإن الولد يكون بالنكاح، والمستعجل يقول : أين الولد ؟ فالمرأة لا ترعى الجنين لعدم رؤيته فيخرج سقطاً قد لا تراه وتظنه دم حيض والحق أنه استجيب له، لكن استعجل فبالتالي كان كمن لم يجب له ابتداء لعدم الإكتمال ولو بقي راعياً للإجابة الأولى لحصل المقصود بكمال القدر الإلهي المحبوب للإنسان، كما تقدم مثال الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، فلو قالوا : لم يُستجب لأولنا لأنهم لم يخرجوا بداعئه وإن كان حصِل الإجابة – فلو تركوا الدعاء لما خرجوا، فهكذا يستجاب له وإن لم يقع، فإن واصل وقع وإلا لم يستجب له، وهذا هو معنى الحديث: يستجاب لأحدكم إن رعى دعاءه وإلا فإن الإجابة الأولى غير كافية لحصول المقصود، وكذلك تأخر الإجابة قد لا يكون بسبب الحاجة للرعاية ولكن لا بدّ لهذا الفعل من زمن ملائم لسن ة الله فيه كما وقع مع يوسف عليه السلام، فإنه رأى رؤيا، ولحصول الرؤيا كان لابدّ لهذا الفعل من مقدمات زمنية وفعلية طويلة ليقع التأويل، والله لا يجري شيئاً في هذه الدنيا إلا من خلال السنن إلا ما يقع من المعجزات والكرامات وهي خلاف العادة، – ولو شئت لبسطت القول وقلت: حتى المعجزات والكرامات تقع من خلال السنن ولكن شرح ذلك يطول والكل مجمع أن الحياة جريانها على غير المعجزة والكرامة –، فالداعي يرى أن دعاءه الأول لم يجب، وإن كان في الحقيقة قد أجيب فبترك

الدعاء لباقي ما هو محتاجه فحينئذ لا يقع ما يريد لتخلف السبب وهو الدعاء، وهذان المعنيان هما على معنى واحد في ما نحن فيه من فهم عالم الغيب والوعود الإلهية مع الأفعال، كنصر المؤمنين واليسر بعد العسر والرزق بعد الفاقة أو قلة ذات اليد وغير ذلك من وعود إلهية مبسوطة في الكتاب والسنة.

ومن عجائب ما يراه المرء الناظر في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم هو اجتهاده صلى الله عليه وسلم في الدعاء يوم بدر اجتهاداً شديداً وأبو بكر الصديق يقول له : <<كفاك منا شدتك ربك، فإن الله منجز ما وعدك>>(1) وأبو بكر لم يعلم بالوعد إلا من خلال هذا الداعي العظيم –رسول الله صلى الله عليه وسلم–، فهل أبو بكر ذاكر لأمر نسيه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ – وهذا ليس ببعيد لجواز نسيان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم– ولكن ليس هذا هو الواقع– مع جواز وجوده كوناً– وإنما الواقع هو حاجة الوعد للمكاثرة والمتابعة حتى يتحقق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بهذا من أبي بكر، فأبو بكر نظر إلى الوعد بإطلاق ورسول الله

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وإباحة الغنائم (المناجح 4563) ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب في فداء الأسير بالمال (ح 2690) والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة الأنفال (ح 3092) ولفظ الحديث عند مسلم قال حَدَّثَنِي سِمَاكٌ، الْحَنَفِيُّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاس، يَقُولُ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : << لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ح وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ – وَاللَّفْظُ لَهُ – حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنِي أَبُو زُمَيْلٍ – هُوَ سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ – حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ " اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ " . فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ . وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ . قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ . فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ (يتبع في الحاشية التالية) .

صلى الله عليه وسلم رأى ما يجب عليه من حقوق لهذا الوعد، وما يحتاجه هذا الوعد حتى يقع، وهو وعد عظيم يحتاج إلى اجتهاد ملائم له حتى يقع، مع أن في هذا الحديث فضيلة عظيمة للصديق وهي شفقته على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيامه بهذا الإجتهاد الملائم لوقوع الوعد بالنصر، ولكن هيهات أن يترك الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم حق هذا الواجب أو أن لا يشارك فيه بالنصيب الأوفر وذلك بالدعاء والإستغاثة في طلب النصر.

هكذا المجاهدون والعلماء والدعاة والعبّاد ترقب قلوبهم البوادر ومطالع الوعود فيرعونها مع غفلة الناس عنها أو استهزاء المنكرين لها، كاستهزاء قوم نوح به وهو يصنع السفينة على اليابسة، ولكن هم يفهمون فهم القلوب الزائد عن العلم بالحد الشرعي كما قال تعالى عن سليمان تفضيلاً له على أبيه داوود عليهما السلام: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴿٧٩﴾﴾ الأنبياء، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ ﴿١٥﴾﴾ النمل. ليتذكر العاملون سنن السماء والغيب وليرعوها كما يرعون سنن الأرض فإن لهم شأناً معها، وليتذكروا أن رسول الله دعا ربه

== أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ . فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ " صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ " . فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ . قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ " مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأُسَارَى " . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ " . قُلْتُ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُوبَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلاَنٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَىِّ شَىْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَىَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَىَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ " . شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم . وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾ فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ >> . انتهى .

شهراً كاملاً لينج الله بعض أصحابه حتى استجيب له، ودعا في مكة ثلاث عشرة سنة حتى تحقق أول النصر بهداية أهل المدينة من الأنصار وجاهد عشر سنين حتى فتح مكة، فهذه ثلاث وعشرون سنة كاملة حتى تحقق الوعد، وعندما دعا على قوم مضت سنة الله في غير ما كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجود موجب آخر أنزل الله عليه –﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾آل عمران – كما في سورة آل عمران ومن تأمل تمام الآية في قوله : ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾آل عمران ، علم حقاً ما نحن بصدده، وعندما دعا ربه أن لا يجعل عذاب هذه الأمة بالقتال بينها لم يجب الله لدعائه لجريان القدر بخلاف ما يريد رسول الله لأمته وما يحبه لها .

ولولا أن الأمر مع هذه الأبواب أمر إشار ة وتنبيه لكان الشرح طويلاً، والله يغفر لي ولإخواني، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وما ضياع الأعمال إلا بالاستعجال –<<ولكنّكم تستعجلون>>(1) .



(1) أخرجهُ البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (ح 3612) وفي كتاب اللباس باب البرود والحبرة والشملة ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب الأسير يكره على الكفر (ح 2649) ولفظ الحديث عند أبي داود عَنْ خَبَّاب، قَالَ : <<أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا فَجَلَسَ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ فَقَالَ " قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَحَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ >> . انتهى .

الحديث الخامس عشر

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ>>(1) .

من فوت البدايات لم يدرك النهايات إلا بمشقة زائدة، ذلك لأن الأمور لا تؤتي ثمارها إلا في ما يلائمها ، وبالإدلاج –وهو المسير مبكراً– يبلغ المرء مراده، وإلا فإن نفسه قد تنقطع ولا يبلغ، والبدايات لا يقوى عليها إلا من له رشد لا يتيه عند الفجاءات، فالصدمة تقذف في النفس الهلع والإضطراب، وأهل الرسوخ لهم إفاقة، وعندهم ثبات في العقل والنفس فلا تعميهم الفجاءات عما يجب عليهم حفظه وعمله، وهذا رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم لو تاه عقله يوم الحنين ولم يصمد ثبات الجبال الرواسي منادياً : <<أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب، اللهم أنزل نصرك>>(2) وقد أرجع فضل الثابت في موطن الصدمة إلى نبوة صادقة وإلى نسب عريق فالنبوة رشد وهداية

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجنائز باب قول الرجل للمرأة عند القبر : اصبري (ح 1252) وفي باب زيارة القبور (ح 1283) ، وفي باب الصبر عند الصدمة الأولى (ح 1302) ، وفي كتاب الأحكام باب ما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له بواب (ح 7154) ومسلم في كتاب الجنائز باب باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى (ح 2136 ـ 2137 ـ 2138) ، وأبو داود في كتاب الجنائز باب الصبر عند الصدمة (ح 3124) ، والترمذي في كتاب الجنائز باب ما جاء أن الصبر في الصدمة الأولى (ح 988) مختصراً ، والنسائي في كتاب الجنائز باب الأمر بالإحتساب والصبر عند نزول المصيبة (ح 1868) ، وابن ماجة في كتاب الجنائز باب ما جاء في الثبر على المصيبة (ح 1596 ـ 1597) ولفظ الحديث عند مسلم مطولاً عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ << أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا فَقَالَ لَهَا " اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي " . فَقَالَتْ وَمَا تُبَالِي بِمُصِيبَتِي . فَلَمَّا ذَهَبَ قِيلَ لَهَا إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم . فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ فَأَتَتْ بَابَهُ فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَعْرِفْكَ . فَقَالَ " إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ " . أَوْ قَالَ " عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ >> . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر (ح 2930) وفي باب من قاد (يتبع في الحاشية التالية) .

والنسب العريق يمنع فعل العار من الهروب، وهذا شأن الحق الكامل وذلك في اجتماع الفضل في إناء من الفضل يناسبه لما ردَّهم إلا البحر كما قال بعضهم، وسقوط الناس لا يكون إلا عند بداية الملمة فيتيه عقله ويضطرب نفسه ويحار عن وجه الصواب فتكون حينئذ للعدو عليه صولة الإنتصار والعلو، ولذلك مدح الفاروق عمر رضي الله عنه الروم بقوله إنهم: <<أسرع الناس إفاقة بعد مصيبة >>(1) ، ومن كان هذا شأنه مع تحضير واستعداد لم تهزه المصائب ولم تعمه الفجاءات، وأما الأمة التي لا تصحو إلا بعد أن طارت الطيور بأرزاقها وبلغ غيرها بعيداً في الشوط فإن اللحاق عسير إن حصل وذلك بتقطع شسع النعال ولهث الأنفاس ودفع ضريبة الكسل والعجز، وقد دلت الحياة أن العدو إنما يرمي بكل قوته بالصدمة الأولى ليحقق الإنتصار السريع واستغلال عامل الفجأة فإذا وجد من يصبر له

== دابة غيره في الحرب (ح 2864) ، وفي كتاب المغازي باب قوله تعالى ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت . . . . ﴾ (ح 4315 ـ 4316 ـ 4317) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين (المنهاج 4591 ـ 4592 ـ 4593 ـ 4594) ، الترمذي في كتاب الجهاد باب ما جاء في الثبات عند القتال (ح 1688) ولفظ الحديث كما جاء عند مسلم عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ : <<أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا وَلَّى وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ فَانْكَشَفُوا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ " أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ " . قَالَ الْبَرَاءُ كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ . يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم>> . انتهى .

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الفتن باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس (المنهاج ح7208 ـ 7209) ولفظ الحديث عنده حدثني موسى بن علي عن أبيه ، قال : قال المستورد القرشي ، عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول << تقوم الساعة والروم أكثر الناس >> . فقال له عمرو : أبصر ما تقول . قال : أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : لئن قلت ذلك ، إن فيهم لخصالا أربعا : إنهم لأحلم الناس عند فتنة . وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة . وأوشكهم كرة بعد فرة . وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف . وخامسة حسنة وجميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك >> ولم أجده عن عمر . انتهى .

ويتلقى الصدمة الأولى بثبات انتكس وخاب، وهذه قريش أرادت تلك الضربة القاضية على المدينة ومن فيه ا من المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما ثبت لها الأصحاب بتثبيت الله لهم ارتدوا خائبين وحينها قال النبي صلى الله عليه وسلم : <<الآن نغزوهم ولا يغزونا >>(1) ، وذلك بأن قوة الإنطلاق قد ضعفت في قريش وتحولت تلك القوة إلى جهة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتلك سنة الله تعالى في التداول .

لقد نامت أمتنا كثيراً، نامت حتى انهارت قيمتها، ونامت حتى سبقها الغير في الإعداد والعتاد، فلما أصبحت وإذا طوارق الشرق حطت في بيوتها، وبعد سنين من الغزو وثبات الكفر في الديار صار البعض يتحدث عن " صحوة إسلامية "، وآخرون يتحدثون عن " الوعي "، وكل ذلك دليل على أن الخدر ما زال سارياً في البدن والنعاس في العيون، ومن تحرك فإنما يتحرك بارتعاش الألم، والصارخ فيهم متّهم بـ "إقلاق الأمن " و"فتّان الوحدة "، وفي الأمة من المصائب ما لو حلت في الدواب لانتصرت ولكن هيهات، فما لجرح بميت إيلام.

حتى نعادل الغير فلا ينفع الآن أن نمشي مشيهم بل لابد من أن نسارع ونجد وتعب، ونديم الصراخ المنذر المهدي، ونعمل بلا كلل دون التفات لأهل النوم الذين حسنوا كل فساد، وأسبغوا الشرعية على كل ضلالة، فالتكاليف عظيمة ولا يقوى لها إلا العظماء .

الصبر هو النصر والظفر، ولا يتحقق إلا بالإستشراف، وذلك بقراءة الدلائل الأولى والتعامل معها قبل أن تينع، ولذلك قال الله تعالى لنبيه معلماً وهادياً : <<و إما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء >>(2) وهذا الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه يعالج الردة في منبتها، والفاروق يطلب من الإمهال، والصديق يأبى، ويقول : "

---

(1)أخرجهُ الإمام أحمد في مسنده مسند سليمان بن صردٍ رضي الله عنه ، ولفظ الحديث عنده حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: <<انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ قَالَ : <<الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا >> . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة (ح1399) وفي باب أخذ العناق في الصدقة مختصراً (ح1457) وفي كتاب الجهاد باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة (ح2946) وفي كتاب إستتابة (يتبع في الحاشية التالية) .

والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه " لأنه يرى أن ما وراء العقل – و هو حبل رقه يُقاد به الجمل– يرى أن وراء هذا الشر ما هو أكبر منه، فق طع الشر قبل استفحاله هو عين السياسة والحكمة، فإنه إن ترك قوي واشتد أمره وصار عصياً عن الإزالة، وهذا ما شكى منه علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما طالبه من طالبه أن يقتص من قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد صاروا كثيراً ولهم المنعة والقوة، فإن معالجتهم بالقوة حينئذ مفسدة كما كان معالجة المنافقين في أول الإسلام في المدينة مفسدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:<<لو قتلته (أي كبير المنافقين) حينئذ لا حمّرت له أنوف – ولقال الناس : إن محمّداً يقتّل أصحابه >>(1) .

إن الذين يدعون مهلاً إلى إيقاف الجهاد حتى تتربى الأمة –زعموا– هم في حقيقة الأمر ودون أن يعوا إنما

== المرتد والمعاند باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوه إلى الردة(ح6924) وفي كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ح 7284) ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله . . . (المنهاج ح124) مطولاً ، وأبو داود في كتاب الزكاة (ح 1556 ـ 1557) والترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (ح 2607) ، والنسائي في كتاب الزكاة باب مانع الزكاة (ح 2442) ، وفي كتاب الجهاد باب وجوب الجهاد (ح 3091 ـ 3092 ـ 3093) وفي كتاب تحريم الدم (ح 3980 ـ 3981 ـ 3983 ـ 3985) ، ولفظ الحديث كما هو عند مسلم عن أبي هريرة قال: <<لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه. وحسابه على الله" . فقال أبو بكر: والله ! لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال. والله ! لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب: فوالله ! ما هو إلا رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال. فعرفت أنه الحق>> . انتهى . (1) أخرجهُ البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم . . . ﴾ (ح 4905) وفي باب ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. . . ﴾ (ح 4907) ، ومسلم في كتاب البر والصلة باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (المنهاج ح6526) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المنافقين (ح 3315) ، ولفظ الحديث كما جاء عند مسلم قال حدثنا سفيان بن عيينة قال: سمع عمرو جابر بن (يتبع في الحاشية التالية) .

يتركون للباطل أن يُقّوي نفسه ويرمي بجرانه في القلوب والنفوس أكثر وأكثر، ولو علم هؤلاء القوم أن ما يقولونه هو عين ما يحبه الأعداء لما قالوا هذه المقالة الشنيعة، فها هي دولة يهود اليوم حين نركن تحت دعوى الإعداد والتربية قد صارت إلى أمر لا يعلمه إلا الله من القوة، وإزالتها يكلف الكثير من الثمن والقوة والدماء والرجال، ولكن في بدايتها كم كانت تحتاج حتى ينتهي أمرها ولا يكون لها الوجود ؟؟ ولو قال أهل أفغانستان عندما غزاهم الروس هذه المقالة وتركوا الباطل يتجذر فهل سيكون أمرها أبعد من حال الشيشان؟ ! **واليوم أمريكا في العراق، ومن قرأ بعين الدين والتقوى لا بعين الهوى والدنيا علم صدق المقال على الحال والله الهادي، ومن يضلل فما له من هاد .**



== عبدالله يقول: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة . فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار . فقال الانصاري : يا للانصار ! وقال المهاجري : يا للمهاجرين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<ما بال دعوى الجاهلية ؟>> قالوا : يا رسول الله ! كسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار . فقال : <<دعوها . فانها منتنة>> فسمعها عبدالله بن ابي فقال : قد فعلوها . والله ! لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . قال عمر : دعني اضرب عنق هذا المنافق . فقال : <<دعه . لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه>> . انتهى .

الحديث السادس عشر

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ انْ لا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ وَضَعَهُ>>(1) .

إن الكمالات في الخلق مؤذنة بالنّهايات، فحين تأخذ الأرض زخرفها ويبلغ في الناس الوهم أنهم أسيادها المتحكمون في ها تكون نهايتها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا ﴿٢٤﴾﴾يونس، وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كمل له النصر وتم له الفتح فقال الله له : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾العصر، فكان في ذلك نعيه صلى الله عليه وسلم، وهكذا ليس بعد القمم إلا الأفول، وهذه السنة خير ورحمة لأهل الدين، فإن كان بهم البلاء واشتّد عليهم فلا يكون بعده إلا الفرج، فإن الكريم يعقوب عليه السلام لما اشتّد به الشوق إلى حبيبه يوسف وبكاه طويلاً شاكياً بثه وحزنه إلى الله تعالى، فلما بلغ الأمر كماله فابيضت عينه الطاهرة من البكاء الحزين كان بعد ذلك الفرج، وقال : ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يوسف، ذلك أنه ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾يوسف ، وهؤلاء الثلاثة الذين خلّف الله توبتهم فلما ضاقت عليهم الدنيا وضاقت عليهم أنفسهم جاءتهم التوبة، وإن كان بهم نعيم مع الإيمان فإن

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع (ح 6020) ولفظ الحديث عنده قال عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ ، وَكَانَتْ لا تُسْبَقُ، فَجَاءَ اعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ انْ لا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ وَضَعَهُ>> . انتهى .

الإيمان يمنعهم من العلو الذي يتم عنه القصم، كما دخل الحبيب المصطفى مكة على ناقته مطأطئ الرأس، إذ المناجل تصيب العوالي، كما السيل حرب للمكان العالي، فلا علو مع الإيمان، لأن البذاذة من الإيمان، وأما لأعداء الله فتلك سنة قاصمة، خاصة حين تجتمع هذه السنة مع أمرين هما من سنة الله تعالى مع أعدائه، سنة المكر وسنة البغتة، فلحوادث الزمان مكر في إلهاء الغافلين عن العواقب، إذ لا تفكر عندهم ولا اعتبار، والعجب أن كل الكفار على مدار التاريخ زعموا أنهم خارج هذه السنة، وأن لهم خصوصية الإستثناء من العواقب، لكن هيهات، وهاهم اليوم قالوا: "بنهاية التاريخ" بتحريض الغرور وإغواء الإستعلاء، ومكر الله بهم محيط، وبالبغتة حتى يتم الألم، فإن الإنتقال من حال إلى حال بلا تدرج مؤلم على النفس إن كان من نعيم كامل إلى جحيم وعذاب، فاللهم رحمتك.

إن هذه السنة هي مقتضى صفة ربنا -المتكبر-، فإن الله تعالى يأبى أن ينازع فيها، وهي قرينة العزة، فالرب يذيق العباد البلاء من التجوع والخوف ليعلموا أنه العزيز المتكبر.

وللمؤمن مع هذه السنة التي لو علمها الخلق على حقيقتها -لضحكوا قليلاً ولبكوا كثيراً- حال وعمل، ذلك بأن المؤمن العامل لدين الله تعالى لا يغره بهرج الكفار ولا علوهم ولا استطالتهم ولا غلبتهم، وحين يتساقط الضعفاء كالفراش في نار فتنتهم ودنياهم، ويسيروا في ركابهم ظانين أن الأمر قد انتهى، وأن الأمة زالت ولم يعد فيها قوة المجابهة والإعتراض يقوم الواثق بربه والعالم بسنته في التداول إلى الصدام والمدافعة لعلمه أن علوهم إلى زوال، وأن لكل شيء إذا ما تمّ نقصان، سنة تجري في الأمم والأشخاص والجماعات، فإن اجتمع مع هذه السنة قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾ الإسراء، ازدادت بصيرته أن مكر الله تعالى يعمل عمله.

ومما يرعاه المؤمن مع هذه السنة أن لا يأمن العثار مهما بلغ علمه وحكمته وقوته إذ العثار متحقق ولا شك فلا رهان على شخص لا يكبو وعلم لا يخطئ وحكمة لا تطيش لأن كل ذلك كائن ولا شك.

وإن من حال المؤمن مع هذه السنة أن لا يحسد الكافرين على غناهم وعلوهم، فإن هذا فعل الجهلة الأغبياء كما كان حال البعض مع قارون، ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾القصص ، والعجب أن هؤلاء لم يطلبوا معصيته ولكن طلبوا أن يكون لهم ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ ﴾لكن قاعدة أمنية الباطل إذ قالوا : ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾فرد عليهم أهل البصيرة : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾القصص ، ووقع المكر ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿81﴾ ﴾ ، وها هو عمر بن الخطاب يبكي حين تأتيه كنوز الأرض لما يعلم ما وراء ذلك من الحوادث.

إنها البصيرة لما عليه يد الله تعالى في الخفاء من السنة والتدبير، بصيرة تضحك سعيد بن جبير في موطن الألم حين يقول للحجاج –لعنه الله–: إني لأعجب من جرأتك على الله وصبر الله عليك . وبصيرة تبكي في موطن الفرح كما أبكت عمر الفاروق رضي الله عنه ح ين هطول الغنائم. إنها بصيرة النفاذ إلى العواقب، تلك البصيرة التي تحقق الرسوخ على المبادئ والخوف من العواقب ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾الأعراف .

وهذا الحديث الذي بين يدينا أن ناقة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن تسبق، فجاء أعرابي على بعير له فسبقها فشق ذلك على الصحابة أن تُسْبَق ناقة النبي صلى الله عليه وسلم فحين ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه السنَة الربانية النافذة في الخلق قدراً لا إنفكاك لهم عنه، وهذا دليل على أن هذه السنة ليست في البشر أفراداً وتجمعات فقط بل هي في الخلق عموماً، فما من قوة إلا وستخضع لما هو أقوى منها، وما من جميل إلا وسيتضاءل أمام جمال أرفع منه، وما من ثمين إلا وسيكون مقوماً لما هو أغلى منه، وهكذا تمضي هذه السنة في اتجاه التحذير بعدم الغرور بما أنت عليه فتطمئن أن لا نهاية لها، ولها اتجاه آخر أن القمم لا تتناهى فلا ثبات، بل لابدّ من البحث دائماً

عن قمة أخرى حتى يصل المرء إلى اليقين وإلى جنة الرحمن، فليحذر المرء من اليأس والقنوط كما يحذر من الغرور وكلاهما تفحم لمرض واحد لكن باتجاهين مختلفين.



الحديث السابع عشر

عن عُرْوَةُ الْبَارِقِيِّ رضي الله عنه قال : انَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :
<<الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ>>[1] .

للأمم شعارات ترشح من عمق أعمالها ، ترسمها عقيدة نافذة وأعمال دائمة، وكما أنه للأشخاص سمات من الخُلق، وألقاب وكنى فكذلك للأمم، شعارات ترسمها المشاريع الدائمة التي تستغرق الحياة، وهذه الأمة لها مشروع حياة يمتد معها عملاً إذا امتدت بها الأنفاس بقاءً، هذا المشروه هو "الجهاد"، مشروع يحقق لها الدوام والقوامة ويحقق لها الآخرة والشهادة على الخلق فيها .

لقد جعل الله في بعض ما خلق ميزات لها الخصوصية، كما جعل في الذهب والفضة خصوصية النقد والعيارية، فمهما غلت قيمة بعض المعادن وزاد ثمنها يبقى هذان النقدان لهما المعيارية دون غيرهما ، وهذا الحديث يبين خصوصية هذا المخلوق الحبيب إلى نفوس هذه الأمة، إنه الخيل، لأنه عنوان الجهاد والغزو، وصار هذا المخلوق كذلك عنواناً لقيم إنسانية استحقت لقب "الفروسية " ، هذه القيم تعبر عن قيم الفطرة السليمة من كرم وشجاعة

---

(1) البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (ح 2849 ـ 2850) وفي باب الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر (ح 2852) وفي كتاب فرض الخمس باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : <<أحلت لكم الغنائم >> (ح 3119) وفي كتاب المناقب باب 28 (ح 3643 ـ 3644) ، ومسلم في كتاب الإما رة باب الخيل في نواصيها الخير (المنهاج) 4822 ـ 4823 ـ 4824 ـ 4825 ـ 4826 ـ 4827 ـ 4828) ، والترمذي في كتاب الجهاد باب ما جاء في فضل الخيل (ح 1694) ، والنسائي في كتاب الجهاد باب ارتباط الخيل في سبيل الله (ح 2787) وفي كتاب الخيل باب فتل ناصية الفرس (ح 3576 ـ 3577 ـ 3578 ـ 3579) ، وابن ماجة في كتاب باب إتخاذ الماشية (ح 2305) وفي كتاب الجهاد باب ارتباط الخيل في سبيل الله (ح 2786 ـ 2787) . انتهى .

وعلماؤنا إن تحدثوا كثيراً عن اثر الألبسة والأطعمة على نفوس أهلها فإن الأمر يحتاج كذلك إلى حديث عن أثر عشرة الإنسان لهذا المخلوق الحبيب، مع علمي أن بعضهم سيقابل هذا الكلام ببسمة إستهزاء واستهجان لكنها على كل حال خير من عشرة ابنائنا للكلاب والفئران وأمثالها مما بدأ يغزو أمتنا تأثراً من سنن أتباع الشيطان.

هذا الحديث الجليل يبين مشروع الأمة الدائم، ذلك المشروع الذي يجمع لها خيري الدنيا والآخرة، أما خير الدنيا ففي المغنم، ذلك لأن المال قوام الحياة كما قال تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ۝٥﴾ النساء، فسمى المال قواماً للإنسان، وأما خير الآخرة ففي الأجر الذي تتحصله الأمة في هذا العمل، ولعله من الأمور البارزة هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم قط أنه دعا إلى تملك شيء من أشياء الدنيا، فلم يرغب باقتناء الذهب ولا الفضة ولا الدور ولا الضِياع ولكنه هنا حض على اقتناء هذا الخير من دنيا الناس وجاء في الحديث الحض على حبس هذا الملك والإعتناء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: <<من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإنّ شَبَعَهُ وريَّهُ وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة >>[1] ولذلك لأثر هذا المخلوق على حياة صاحبه وحياة الأمة التي ترعاه وتعتني به، ولست متبعداً إلى ما يحمل الحديث من معاني تتعدى إلى ما عرفه الناس من صناعات تقوم من مقام الخيل، أن من دلالات الحديث على أن الجهاد ماض فيجب إعداد عتاده ولوازمه قبل أن أنبه إلى "الخيل"هي عينها فيها فوائد عظيمة للأمة التي تعتني بها وترعاها، ولقد رأى الناس ممن خبروا الدول التي تقدمت في الصناعات وخاصة العسكرية أن عنايتهم بالخيل ما زالت قائمة، ولم يزيلوها كما تفعل الأمم الجاهلة، هذا مع علمي أن مثل هذه الأمور لا تقوم إلا بعناية الأمة بمجموعها بهذا الأمر، فإن لم يكن

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الخيل باب علف الخيل (ح 2853) والنسائي في كتاب الخيل والبق والرمي باب علف الخيل (ح 3581) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . انتهى .

كذلك لم يقو على هذا الحديث إلا أصحاب اليسار لما تحتاجه الخيول من رعاية مكلفة لا يطيقها أكثر الناس .



الحديث الثامن عشر

عَنْ أَسْمَاءَ رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: <<أَنفِقِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ>>(1) .

حركة الغيب مع عالم الشهادة ظلّ له، تسير حيث سار وتقف حيث تقف، وعالم الشهادة مستور بستار السنن الكونية، يقف عندها بعض الخلق دون بصيرة النظر إلى أثر حركاتهم على هذا الكون، ومن أجل خرق هذا الستار نظراً وبصيرة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننظر دائماً إلى <<فمن أعدي الأول؟ !>> فحين قال لهم: <<لا عدوى>> سألوا مستبصرين كما يروه من سنن جارية هي خلق الله فيهم فقالوا : فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخلطها البعير الأجرب فيجربها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <<فمن أعدي الأول؟ !>> ، ذلك لأن الواقف على السنن دون النظر إلى يد الله تعالى وسننه في إجراء الأقدار وتعلق ذلك بما يحبه لله تعالى من أفعال الخلق وما يبغضه إنما هو قارئ للكتاب من منتصفه أو بادئ بالعد من غير الأول، والمؤمن هو الذي يعلم أن الله هو الأول سبحانه وتعالى فكل شيء منه جلّ في علاه والذين يفقهون على سنن الحوادث الظاهرة دون النظر إلى يد الله وعالم الغيب هؤلاء لا يعلمون إلا ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ٧ ﴾ الروم، كما قال تعالى في سورة الروم، وقد قال سبحانه وتعالى بعد هذه الآية ما ينبه إلى يد الله وحكمته في خلقه فقال : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ (أي بسنن حكيمة قائمة على العدل، وإلى آماد ونهايات لها تعلق بهذا العدل) وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ (بغفلتهم عن سنة العاقبة والنهاية لكل شيء) ٨ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا (ظانين أن هذا يحقق لهم الخلود ويمنع عنهم جريان السنن الإلهية إذ لا تعلق للإهلاك

عندهم بما يحب الله ويبغض) وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ (بالتوحيد والشرائع) فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ (إذ أعطاهم ما أرادوا من سعيهم من قوة وعمارة واكتشاف) وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (بترك التوحيد والشرائع حيث حق عليهم الهلاك) ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ الروم، فهي يد الله سبحانه وهو الآخر، وكل شيء له تعلق بما يحبه ويبغضه وستبقى سنن التقلب والنهايات قائمة. وحديث العدوى ليس إنكاراً لسنة سريان المرض في الخلق بفعل المخالطة فهذا القول وإن قال به بعض السابقين إلا أنه لو قال به واحد اليوم لقيل له : هل تقبل أن تتزوج امرأة مريضة بالسيدا (مرض الإيدز: نقص المناعة)؟ أو هل تقبل أن تزوج عرضك لواحد مصاب به، حينها ستعرف جواب قلبه وعقله لا مناكفة لسانه.

والقصد أن يعلم الخلق أن المرء يستطيع أن يعلم حركة الغيب لما يجري على الأرض من أعمال وأخلاق، فإن كان في الأرض هداية فإن حركة الغيب هي امداد هذه الهداية كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ محمد ، والله قال : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ الإسراء.

وفي الغيب حركة يرصدها أهل الإيمان وهي محط نظرهم، وأعظمها ما يقع في نفس الرحمن من فرح وحب ورضا أو غضب وسخط وبغض، وإذا أردت أن تعرف نفس الله تجاهك فانظر إلى ما في نفسك وقلبك عن الله، هل تحبه؟ هل أصبحت تطلب رضاه؟ هل أنت راض عنه؟ هل ظنك فيه حسن؟ هل تراعي أمره وتنفي معصيته؟ فالله يحب من يحبه ويرضى عمن رضي عنه، وهو عند حسن ظن عبده به وهكذا هي هذه القضية العظيمة، فالعطاء يقابل بمثله وكذلك المنع، والإحصاء يقابل بمثله وكذلك البسط، وما من فعل في هذه الدنيا إلا ويقابله حركة

في عالم الغيب تكون آثارها في الدنيا والآخرة، وفي قوله تعالى عن بيعة الصحابة رضي الله عنهم للنبي : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴿١٠﴾﴾الفتح، وعن الصدقة أنها تقع في يد الله تعالى قبل يد الفقير(1)، وعن نهيق الحمار أنه رأى شيطاناً(2) وعن صياح الديكة أنها رأت ملكاً (3)، وهكذا يموج عالم الغيب بحركة الملائكة – يستغفرون للذين آمنوا– ويحضرون حلقات الذكر، و ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ و ﴿إِذْ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾الأنفال، والله ينادي <<إنّي أحبّ فلان فأحبّوه >>(4) وتموج الأرض بهذه الحركة نمواً <<فينفخ فيه الملك >>(5) وإيجاداً لشيء لم يكن وبركة لموجود ضعيف ومَحْقاً لمغرور متكبر، فتهتز الأرض زلازل وبراكين

---

(1) أخرجهُ أبو نعيم في حلية الأولياء (83/4) وقال عنه : غريب من حديث وهب بن منبه وهو عن فضالة بن عبيد الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الل عليه وسلم : << إن الصدقة لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ، وإن الله ليدفع بها سبعين بابا من مخازي الدنيا ؛ منها الجذام ، والبرص ، وسيئ الأسقام ، سوى ما لصاحبها من الأجر في الآخرة >> . (2 ـ 3) وأخرج البخاري في كتاب بداء الخلق باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال وقال عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : << إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا >> (ح 3058) ، وعند الإمام أحمد في مسنده مسند المكثرين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : << إِذَا سَمِعْتُمْ نُهَاقَ الْحَمِيرِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا وَإِذَا سَمِعْتُمْ صُرَاخَ الدِّيَكَةِ بِاللَّيْلِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا >> . (4) أخرجهُ البخاري في كتاب بداء الخلق باب ذكر الملائكة (ح 2970) وفي كتاب الأدب باب المِقَةِ من الله تعالى (ح 5580) وفي كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبري ونداء الملائكة (ح 6931) ، ومسلم في كتاب الأدب باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده (المنهاج ح 6647 ـ 6648 ـ 6649) ، زالتلامذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة مريم (ح 3161) ولفظ الحديث عند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : << إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ – قَالَ – فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ . فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ – قَالَ – ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ (يتبع في الحاشية التالية .

عذاباً وابتلاءً، وها هو رسولنا صلى الله عليه وسلم يستأذنه ملك الجبال أن يطبق على أهل مكة جبليها (**الأخشبين**)(1) ويقف هذا الغيب منتظراً إشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو قال "نعم" لتحركت

== فَيَقُولُ إِنِّي أُبغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ – قَالَ – فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ – قَالَ – فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ>>. (5) أخرجهُ البخاري في كتاب بداء الخلق باب ذكر الملائكة (ح 3208) وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته (ح 3332)وفي كتاب القدر باب 1 (ح 6594) وفي كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعباده المرسلين (ح 7454)، ومسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي ، في بطن أمه . . . (المنهاج ح 6665 ـ 6666 ـ 6667 ـ 6668)وأبو داود في كتاب السنة باب في القدر (ح 4708)والترمذي في كتاب القدر باب ما جاءأن الأعمال بالخواتيم (ح 2137 ـ ب 2137) وابن ماجة في المقدمة باب في القدر (ح 76) ولفظ الحديث عند مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : <<إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا >>. انتهى . (1) أخرجهُ البخاري في كتاب بداء الخلق باب إذا قال أحدكم : آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (ح 3231) ، وفي كتاب التوحيد باب ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾(ح 7389) مختصراً ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين (المنهاج ح 4629) ، ولفظ الحديث عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ : <<أَنَّ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَىَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا>> . انتهى .

الأرض وزلزلت زلزالها، وحينها سيقول العميان "سحاب مركوم" ويشبهه من الوقوف على السنن الظاهرة وهي حق ولا شك، دون النظر إلى بكاء مظلوم أو دعوة مستجابة أو معصية واقعة، وأما أهل البصيرة فترتجف قلوبهم خوفاً من غضب الله ويفزعون للتوبة والصلاة كما هي سنته مع الآيات الكونية كالكسوف والخسوف وشدة الرياح وغيرها .

هكذا هي الحقيقة الكونية، فحين يتحدث الناس عن الأمطار وسنن نزولها وإصابتها للخلق، هم يصيبون في تفسير جريان السنة ولكن يقفون عن بلوغ الحقيقة، وهي السؤال عن الأولوية، وحين يفسرون حركة زلازل الأرض وينسون السؤال: فمن فعل أول الأمر؟، ولا يعني السؤال عن الأولية أي أولية السنن بالتكوين الأول للخلق فقط بل أولية كل خلق، فمن نفخ الروح في الحيوان المنوي؟ ومن أنشأ كل خلية فيها روح الحياة؟، وهكذا فكل ذرة في الأرض هو خلق جديد لابد له من أولية تنشؤه من العدم تدل على يد الله تعالى ثم تجري فيه السنن التي خلقها الله تعالى .

هذه الحقيقة الكونية الباهرة العظيمة لها التطابق التام مع حب الله تعالى وبغضه، حب ينشؤه طاعة من عبيده، وبغض ينشؤه معصية من أعدائه، حب ينشئ الحب والعطاء والإحسان، ومعه الإبتلاء ليزداد القرب ويحصل الطهر والغفران، ومعصية تنشئ العداء والمقت والمَحْق، ومعها الإبتلاء ليزداد الغرور والعلو والعلو ليتحقق الإيلام والمكر .

إن أردت صلة الله فَصِلْ من أمرك بصلته، وإن أردت حبه فأحب من أمرك بحبه، إن أعطيت الفقير ستجد أنك أعطيت حسنة في يد الله تعالى <<لوجدت ذلك عندي>>[1] ، وإن زرت مريضاً يتجد أنك وضعت

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب البر والصلة باب فضل عيادة المرض (المنهاج ح 6501) ولفظ الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : << إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي . قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي . قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي >> . انتهى .

قدمك على عتبة الرب <<لوجدت ذلك عندي>>، وهكذا بصائر المؤمنين يعيشون سنن الخلق والتكوين، ويعملون بقيم الحق وشرائعه، والغيب عندهم حاضر ويرجعون كل أمر إليه ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ النساء .

<<أنفقي ولا تحصي>> بل مادام أن يد الله تتلقاها فسترعاه <<كما يربي أحدكم فلوه >>(1) حتى تأتي الحبّة كجبل أحد، فما إحصاء العبد إلا تضييقاً عليه لا على يد الله تعالى، وهذا قانون لعمر الحق هو سعادة البشرية في الدنيا والآخرة لو فعلوه، فالخير (لا تحصيه) بل افتح وكاءه ودعه يفيض ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۝٢١٩﴾ البقرة، والعفو ما زاد عن حاجتك، وما قتل الناس وأفسدهم إلا الحرص والمنع، فبه يقتل الناس بعضهم بعضاً،

ويتباغضون ويتقاطعون، وبالعطاء ومنه التضحية يتم النماء والبركة لأن الحركة هي التي تصنع الحياة، وبالركود يقع المرض والموت والكساد .

نكتة: الكلاب تلد في البطن الواحدِ الكثيرَ، والخراف لا تحمل أكثر من اثنين، ولكن أين أعداد الكلاب في الأرض من الخراف، هل تعرف السبب؟

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب (ح 1410)تعليقاً ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ وقوله جل ذكره ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ (ح 7430) ومسلم في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (المنهاج 2339 ـ 2340) والترمذي في كتاب الزكاة باب ما جاء في فضل الصدقة (ح 661) والنسائي في كتاب الزكاة باب الصدقة من غلول (ح 2524) ، وابن ماجة في كتاب الزكاة باب فضل الصدقة ، ولفظ الحديث عند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : << مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ـ وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ ـ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ >> . تَابَعَهُ سُلَيْمَانُ عَنِ ابْنِ دِينَارٍ ـ انتهى .

الجواب: "الناس لا يضحون بالكلاب" .



الحديث التاسع عشر

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : <<إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ الْمِائَةُ لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً>>(1) .

الرغاء كثير والفعل قليل، وحين يزمع الناس على الركوب تكون للرواحل الصبورة الكلمة الفصل، فالبهرج لا يجدي في الأسفار والمشقات بل هو نافع لأهل الخمول والكسل ومحبّي الإقامات على الذل والعفونة، و شتّان بين ما يوضع في القواعد والأساسات وبين ما يعلق في العوالي للزينة والمنظر، فللقواعد الحملة متون قوة وصبر وجلد، مع أنها للحمل وللزينة البهرج واللمعان والصوت العالي الجميل، مع أن العيون بها معلقة، ولكن العبرة بالنافع لا باللامع.

قوام الإبداع "بالتخصص"، هذ ه الكلمة المعاصرة الدالية على مقدرات خاصة وخبرات مميزة في باب من أبواب الحياة المعرفية والعملية، هذه القدرات والخبرات يصنعها الانقطاع لهذا الباب المعرفي والعملي، إنقطاع الإخلاص والتفرغ والبذل والتضحية ليصل إلى الإبداع وتحقيق المنافع اللازمة للأمة والجماعة، وإذا كان الأقدمون قالوا عن العلم : إن أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، وإن أعطيته كلك أعطاك بعضه، وأنت مع هذا البعض على خطر عظيم، فهذه قاعدة حق في كل العلوم المعرفية والعملية إذ يموت المرء وفي قلبه شيء من (حتى).

المشاركة في العلوم، أي الإصابة فيها بنصيب لا يصل لح د " التخصص " خير للمرء لكنه لا ينفع الأمة إلا

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الرقائق باب رفع الأمانة (ح 6017) ، والإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وعند ابن القيسرين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذخيرة الحفاظ (623/2) ولفظهُ عنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : << إن الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة أو متى ترى فيها راحلة ، قال : وقال : ما نعلم شيئًا خيرا من مائة مثله إلا المؤمن >> . انتهى .

بمقدار وضْعه في تحقيق الإبداع الذي ينتجه التخصص، إذ تحقيق المنافع الباهرة للأمة المتقدمة التي لها حق القوامة والشهادة لا إبداع من دون تخصص، لأن الإبداع هضم للسابق وبناء جديد يتم به السفر الطويل لتحقيق المهمات اللازمة.

المشاركون كثر، والأمة لا تتحقق إلا بمجموعها دون عزل لأحد مهما كان صغيرا أو ضعيفاً، لكن النفع الذي يتحقق به الإبداع ورحلة الشهادة والقوامة لا يكونان إلا للمميزين والمبرزين، وهؤلاء قلة ونُدرة بما يملكون من فطرة مميزة وإرادة حية قوية وجلد مثابر، وهؤلاء على الأمة أن ترعاهم وتوفر لهم سبل الحياة وما يحتاجون من أجل تفرغهم لما هم فيه وإلا ضيّعت الأمة نفسها بتضييعهم، كما أن عليها أن توفر المناخ الملائم لظهورهم، إذ الحقائق لا تظهر إلا في ميادينها، وجماعات الجهاد والعلم والدعوة والفكر في رحلتها الطويلة لتحقيق الشهادة مدعوة لرعاية هؤلاء واكتشافهم ووضعهم في بيئتهم الملائمة.

في الأمم والمجتمعات ليس مطلوباً تميز الكل ولا أن يكون الكل عالماً وقائداً وذكياً فلا يوجد أمة حققت أهدافها بمثل هذا الشرط، لكن شرط في القيادة ورعايتها، ونحن نلحظ أن مهمات الأمم تحققها الإرادة المميزة التي لها الفرادة عن بقية القوم والأمة، ومن خلال هذه القيادة –الراحلة– يسير القطيع وراءها، وبالتالي يحكم على الأمة من خلال هذه القيادة والرأس لا من خلال أفرادها الذين هم في عرض الناس، إذ الناس هم الناس، لا تكاد تجد فيها راحلة، ومن طلب غير هذا الأمر إنما هو طالب النار من الماء وهو من باب تعليق أمر على العدم لا غير، ورسو لنا الذي يقول هذا الحديث هو الذي حمل أمته التكاليف، والقائد الفريد هو الذي يحقق الإمكان من الموجود لا أن يذهب في وديان التقريع ليسقط التكاليف، فشتان من يعلم هذا الحديث ويعمل به ويفهمه حق فهمه على وجهه الصحيح وبين من يستخدم عجز الكثير أو جهلهم ليرفع التكالي ف عن الأمة ويعلق مشروع الأمة في السعي إلى أهدافها على غير شرط صحيح وذلك بأن يصبح الكل عالماً قادراً فيصبح الكل " رواحل ".

في رحلة الجماعات لتحقيق الشهادة بالجهاد والعلم والدعوة سيعاني المميزون كثيراً من عدم مستوى الكثير من القواعد فالخاسر هو الذي يهرب من التكاليف ويبتعد ساباً الجهل والتخلف أو العجز وعدم الإستجابة، وأما الذي تتحقق له مهماته فهو الذي يتعامل بواقعيه وإدارة حكيمة مع هذه القواعد، والذين يتصورون مجتمعاً أو جسماً كاملاً من الوعي والبصيرة مر يوماً على ظهر الأرض هم واهمون.

هكذا الناس كثير والرواحل قليلة لكن لابدّ من الرحلة والحال قد يكون كحال الرجل مع المرأة حين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج>>[1].



(1) أخرجهُ البخاري في كتاب النكاح باب باب الْمُدَارَاةِ مَعَ النِّسَاءِ . وَقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم " إِنَّمَا الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ "(ح 4786) واللفظ له ، وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته (ح 3331) ، وعند مسلم في كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء (المنهاج ح 3629 ـ 3630 ـ 3631 ـ 3632) بالفاظ مختلفة متقاربة ومنها قولهُ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : << إن المرأة خلقت من ضلع . لن تستقيم لك على طريقة . فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج . وإن ذهبت تقيمها كسرتها . وكسرها طلاقها >> ، والترمذي في كتاب الطلاق باب م جاء في مداراة النساء (ح 1188)، والنسائي في كتاب النكاح باب المرأة الصالحة (ح 3232) ، وابن ماجة في كتاب النكاح باب أفضل النساء (ح 1855) . انتهى .

الحديث العشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<إِذَا أُسْنِدَ الأمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ>>[1] .

دوام أي أمر في تدبيره وإدارته، ونسق الوجود وجماله في نصب كل شيء في مكانه، والشيء اليسير ينمو على يد أهله العالمين به وبرعايته، وباليد الجاهلة تسقط الأمم العظيمة والجماعات الشاهقة القوية، فهذا هو مفتاح النجاح : **القيادة.**

ماذا عسى آلاف الأسود أن تفعل إن قادها أخرق أو جبان، إن قادها أخرق كان سعيها فساداً عليها وعلى الآخرين، وإن قادها جبان كانت قوتها كأن لا شيء، لأن قيمة الشيء لا بمجرد وجوده، إذ وجود الشيء بلا إثارة له كعدمه، ولا في وضْعِه في الفساد لأن ضرره حينئذ هو المحقق لا نفعه، والحياة قائمة على التنوع والتعدد ولا يصلحها إلا الاجتماع والتكامل ولذا لابدّ من قيادة تدير هذا الاجتماع وتوحد قواه، تستمد هذه القيادة قوتها من أفرادها واجتماعهم كما أن هذه القوى تتلاءم وتؤدي دورها تحت ه ذه القيادة وإدارتها ، ومن غير هذه القيادة تتشتت القوى أو تتضارب، وحين تولى هذه القيادة ليد أخرق جاهل بما في يده فهذا يدل على جهالة القوى وفسادها ، إذ تسلط الجهلة على رقاب الخلق يدل على أمور منها : أن هذه الجماعة هي صورة عن قيادتها كما أن هذه القيادة صورة عن الجماعة – ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾الأنعام – كما في سورة الأنعام، وهذه الآية يدل ما قبلها عليها حين قال سبحانه : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعٗا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا ١٢٨﴾الأنعام، فإن الله تعالى عاب على

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الراقائق باب رفع الأمانة (ح 6015) ولفظهُ : << إِذَا ضُيِّعَتِ الأمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ >> قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : << إِذَا أُسْنِدَ الأمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ >> . انتهى .

الجن استخدامهم لحمير الإنسان مطايا وجنوداً، فصار الجن كثرة باستخدامهم هؤلاء الحمير، ولكن المصيبة كانت في هؤلاء الحمير حين رضوا هذا الذل والاستبعاد وجعلوا في ذلك متعتهم ورغباتهم وهكذا هي حقيقة الحياة بين المستكبر والذليل، فإنه لا يقبل أحد الذل إلا من هو مستمتع به ملائم لنفسه الخانعة الجاهلة، فالجماعة الجاهلة الخانعة هي التي تقبل هذا النوع من القيادة، ومن الأمور التي تدل على تسلط القيادة الجاهلة على الجماعة هو عجز هذه الجماعة وجبنها ، فإن الساعي الجاهل يصل لمقصوده الذي يريده، أما العاجز العاقل فهو منكوس على رأس ه لا ينفعه عقله ولا علمه، ونعوذ بالله من عجز العاقل كما نعوذ بالله من جلد المنافق، وحين يُسند الأمر إلى غير أهله فحينئذ تكون النهاية، فلا علم وعقل ولا قدرة ينفع هذه الأمة أو الجماعة، إذ العبرة بالإدارة لا غير، والذين يطلبون من هذه الأمة أن تنهض وقد تسلط عليها الفاسدون العملاء والجهلة فهؤلاء يريدون الحياة من رميم العظام، ويطلبون الجمر من الرماد، والأمم والجماعات لم تتحول إلى قوى فاعلة وحاضرة في عين التاريخ إلا من خلال القيادة العالمة العاملة القوية، وإنه من عجائب الأمر أن يرتب الإنسان حياته المالية والأسرية (فيما يظن) ويترك أعظم ما يحتاجه من إحسان وتدبير ويتركة فاسداً، وإن أعظم ما يحتاجه هو قيادة مجتمعة التي يتعلق بها الأحكام العامة، فالأحكام العامة هي التي تضبط كل الأمور وتحدد قيم المجتمع والجماعات، فهل يستطيع المرء أن يأكل الحلال خاصاً في مجتمع قيمه العامة تسير وفق الجاهلية؟ ! أم هل يستطيع أن يضبط قيم أسرته وتربيتها في مجتمع محكوم بقيم الجاهلية؟ ! هذا ما ينبغي على الأمة أن تفهمه، وفي هذا الحديث سمى النبي صلى الله عليه وسلم الأمر والأمانة فقال : <<إذا ضيّعت الأمانة >>(1) ولما سئل عن الأمانة قال صلى الله عليه وسلم: <<إذا أسند الأمر إلى غير أهله >> فدل على أن هذا الأمر هو

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب العلم باب (2) مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ فَأَتَمَّ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ (ح 59) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ " أَيْنَ ـ أُرَاهُ ـ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ " . قَالَ هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ " فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ " . قَالَ

كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ " إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ". انتهى .

الأمانة، فهو أمانة الله للعالم كما أنه أمانة الله لهذه الأمة، وحين نجمع هذا الحديث مع قوله صلى الله عليه وسلم :

<<تقوم الساعة وليس على وجه الأرض رجل يقول : " الله >>(1) علم أن نمو التوحيد في العالم إنما هو بقيادة أهل التوحيد للعالم، وانتشار الشرك وغلبته في العالم إنما هو بقيادة الشرك لهذا العالم، فإن جمعنا هذا مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات، ومع قوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب ، علمنا أن العبودية لله تعالى لا يستقر لها قرار إلا بقيادة العابدين لأمور هذه الحياة، ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ النساء .

إن مصادمة المجاهدين لفراعنة العالم من أجل إزالتهم وتوسيد هذه القيادة لأهلها إنما هو من أعظم العبادات ذاتاً وسبباً، ذاتاً لعظيم أمر الله الجهاد ومافيه من إيمان واحتساب، وسبباً لما في إزالة هؤلاء المفسدين من الخير على التوحيد وأهله، بل وعلى العالم أجمع مؤمنهم وكافرهم .

(في هذا الحديث العلاقة بين الأرض كوناً مع السماوات وبين هذا الإنسان وعمله، فهل من مدّكر ؟) .

إن الجماعة المسلمة المجاهدة في سعيها لإقامة الشهادة على الخلق مدعوة لتوسيد الأمر في داخلها لأهله، ولا يجوز التفريط في هذا القانون تحت أي دعوى، لا المال هو ركن الإمامة ولا العشيرة ولا السابقة ولا مراعاة الخواطر، كل ذلك دعاوى فارغة أمام الأهلية، وإن أول مطلب إلهي للجماعة إن تحركت أن تولي الأمر لأهله، فإن الملأ من بني إسرائيل من بعد نبي الله موسى عليه السلام عندما طلبوا الإذن بالجهاد واستجاب الله لطلبهم، طلب الله منهم تولية طالوت، وقد احتجوا بحجج الباطل، فلا مال له ولا تقدمة في عشيرته، وبالتالي لا محبة له سابقة في القلوب ومع ذلك

---

(1)لم أجده بالفظ المذكور ولكن وجدتهُ عند البخاري في كتاب فضائل المدينة باب الإيمان يأرز إلى المدينة (ح 1876) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (المنهاج ح 373 ـ 374) ولفظهُ عنده عَنْ أَنَسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالَ فِي الأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ>> . ، وابن ماجة في كتاب المناسك باب فضل المدينة (ح 3111) . انتهى .

لم يراع الحق لهم هذه الحجج بل قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴿٢٤٧﴾﴾ البقرة.، والعجيب أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يقبل مطلب صحابته في تولية غير أسامة رضي الله عنه تحت دعوى صغر السن أو غير ذلك بل نظر إلى أهليته وقال: <<**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه** (أي زيد) **وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة**>>(1) هذا مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما راعى نفوس أصحابه رضي الله عنهم في أمور كثيرة لكن هذا الباب لخطورته لا مراعاة للنفوس به.

إن شئت المال فخذ، وإن شئت الثياب فخذ، وإن شئت الجلوس في صدور المجالس فخذ أما إذا شئت الإمارة فلا لأنها: **أمانة ولا تعطى إلا لأهلها**.



(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأيمان والنذر باب قول النبي صلى الله عليه وسلم <<وأيم الله>> (ح 6627) وكتاب فضائل الصحابة باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم (ح 3451) ، وفي كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أُسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه (ح 4108 ـ 4109) وفي كتاب الأحكام باب من لم يكترث بطعن من لا يعلم في الإمراء حديثاً (ح 6650) ولفظهُ عنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ : << بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمْرَتِهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ " إِنْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ، فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَىَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَىَّ بَعْدَهُ >> ، ومسلم في كتاب الفضائل باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما (المنهاج ح 6214 ـ 6215) ، والترمذي في كتاب المناقب باب زين بن حارثة رضي الله عنهُ (ح 3816) . انتهى .

الحديث الحادي والعشرون

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : <<امَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم انْ يَاخُذَ الْعَفْوَ مِنْ اَخْلاَقِ النَّاسِ>>(1) .

لا يَسَعُ الناس إلا السَّعة، إذ أرواح الخلق ضيقة تذهب بقليل المعاناة، والتفريق بين الجماعة المجاهدة والتكاليف التي تحَمّلْها لنفسها استعداداً منها لا تحمّل للمجتمع الذي تعيش في وسطه، فإن فعلت لابد أن ينقلب عليها المجتمع لا محالة، والله هو رب الخلق وله حق العبودية على هذه المجتمعات قال في كتابه : ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ محمد، ولذلك لم يطلب الله شيئاً من عبيده إلا العفو، وهو ما زاد عن حاجتهم، سواءً كان من أموالهم أو أوقاتهم أو قواهم، ولا يمكن لجماعة مهما كانت على الحق في نفسها أن تحقق النصر في مجتمع من المجتمعات إلا إن كسبت قلب وروح هذا المجتمع، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا بأن يتيقن هذا المجتمع أن هذه الجماعة لا تصادم حياة الناس وكسبهم ودنياهم، فإنهم إن رأوا أن سبيل هذه الجماعة هو سبيل الخراب والفقر والخوف انفضوا عنها ولا شك، ولذلك كان من حجج قريش في عدم اتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا : ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآۚ ﴿٥٧﴾﴾ ، والله أكذبهم في هذه الدعوى وقال : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ، كما في سورة القصص، ولم يصدقهم فيها

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب التفسير سورة الأعراف باب ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الْعُرْفُ الْمَعْرُوفُ (ح4277) ، وأبو داود في كتاب الأدب باب في التجاوز في الأمر (ح 4787) .

فدلّ على أن الدين هو الذي يحقق للناس سعادة دنياهم ولا يدمرها كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ قريش .

هذه الحقيقة تخالف ما يطرحه البعض من تقديم دين الله تعالى على صورة توافق أهواء ا لناس وشهواتهم، إذ دين الله لا يقدم للناس إلا مع حقيقة الإيمان بالغيب وتحمل الأوامر الشرعية على حقيقتها حتى لو خالفت ما عليه والناس من رغبة في الشهوات والأهواء، ولكن لا يقدم دين الله للناس وهم يرون أصحابه يتوعدونهم بالذبح ويضيقون عليهم سبل الحياة، وكأن المجتمع لا يكفيه ما يفعله بهم طواغيت الأرض من استبعاد وإفساد وجعل المال <<دولة بين الأغنياء منهم>>(1) حتى يأتيهم آخرون يريدون أن يقضوا على البقية الباقية عندهم وفيهم، وهذا الأمر

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (ح 4343 ـ 4344 ـ 4345) مطولاً، وفي كتاب الأدب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: <<يسروا ولا تعسروا>>(ح 6124 ـ 6125) مطولاً، ومسلم في كتاب الجهاد باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (المنهاج ح 4500 ـ 4501 ـ 4503) مختصراً، وفي كتاب الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام (ح 5182 ـ 5183 ـ 5184) مطولاً، وأبو داود في كتاب الحدود باب الحكم في من أرتد (ح 4356)، والنسائي في كتاب الأشربة باب تحريم كل شراب أسكر (ح 5611)، وابن ماجة في كتاب الأشربة باب كل مسكر حرام (ح 3391)، وللحديث ألفظ مختلفة ومنها ما جاء عند البخاري بلفظ حدثنا سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَدَّهُ أَبَا مُوسَى، وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ <<يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا " . فَقَالَ أَبُو مُوسَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَرْضَنَا بِهَا شَرَابٌ مِنَ الشَّعِيرِ الْمِزْرُ، وَشَرَابٌ مِنَ الْعَسَلِ الْبِتْعُ. فَقَالَ "كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ" . فَانْطَلَقَا فَقَالَ مُعَاذٌ لأَبِي مُوسَى كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَالَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا . قَالَ أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي، وَضَرَبَ فُسْطَاطًا، فَجَعَلاَ يَتَزَاوَرَانِ، فَزَارَ مُعَاذٌ أَبَا مُوسَى، فَإِذَا رَجُلٌ مُوثَقٌ، فَقَالَ مَا هَذَا فَقَالَ أَبُو مُوسَى يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ. فَقَالَ مُعَاذٌ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ>> وفي رواية كذلك عند البخاري بلفظ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما. قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ <<إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ(يتبع في الحاشية التالية) .

يستدعي بيان مسألة مهمة وهو أن الجهاد لا يكون إلا ضد الملأ والطواغيت فهم الذين يوجه لهم سلاح القتل والقتال، وأما المستضعفون فلهم الحسبة، وهذا العمل الجليل (الحسبة) لا ينبغي أن تقوم به هذه الجماعات أصالة إلا بما يحقق رفع الظلم الذي تفعله الطواغيت ضد المستضعفين، وأما انشغال جماعات الجهاد الصلاة بعمل الحسبة فإن الحاكم العادل سيبغضه نصف شعبه إن عدل فكيف لو لم يكن حاكما بل كان متطوعاً، مع ما في عمل الحسبة من أمور هي أشبه بعمل القاضي وأحكامه وهذا قلما يتحقق من غير تمكن.

<<إيّاك وكرائم أموال النّاس>> هذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرائه ذلك لأن الرحلة طويلة والتضييق إن طال انقلب إلى سخط وغَضَب وبغضاء، بل الأمر ضربة وضربة، فواحدة تضحكهم وتفرحهم، وأخرى مما يتحملون يرون فيها أثر الجد والنشاط ليفزعوا لأخرى إن دعوناهم إليها مرة ثانية، وخير الأعمال أدومها وإن قل، وأما الذين يشقون على الناس فسيشق الله عليهم، وكفى بمشقة الله عليهم أن يعاديهم أهلهم وأمتهم.

الحياة الدعوية والجهادية ليست قصة هرمية تسير إلى نهاية مغلقة، بل هي بناء متوازن في أبعاده لأنه لا ينتهي إلى عقدة حاسمة، ولو كان الأمر كذلك لصح أن نرمي ثقلنا وثقل الناس في هذه العقدة الحاسمة لنرتاح بعدها، لكن الأمر ليس كذلك، بل هي عقد متتالية، وحلقة وراء حلقة، ولذلك فإن النبتّ لا أرضاً قطع ولا ظه راً أبقى(1) كما في الأثر، وأصحاب الأرواح السريعة يذهبون بسرعة، يأتون يرددون الكثير ويملؤون الوديان صراخاً ثم ينفضون

== خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ " . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﴿ طَوَّعَتْ ﴾ طَاعَتْ وَأَطَاعَتْ لُغَةٌ، طِعْتُ وَطُعْتُ وَأَطَعْتُ>> .انتهى .

(1) أخرجهُ ابن حجر في فتح الباري كتاب الراقاق باب القصد والمداومة على العمل ولفظهُ عنده عن عبد الله بن عمرو موقوف : <<ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا الى انفسكم عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى>> انتهى .

سراعاً كذلك. الرحمة على الخلق وتكليفهم ما يستطيعون وفتح أبواب الراحة والنزهة لهم تحبب فيك الخلق وتحبب فيك الخالق فإن الراحمون يرحمهم الرحمن(1) ، والأمر مع الجماعة هو أمر الرحمة والسعة نمشي مشي أضعفهم كما هو

شأن المرء مع الصلاة، فإنه يخفف ما يستطيع في الجماعة وأما إن فرغ إلى خاصة نفسه وصلاته فليطل كما يحب، ثم ليت الناس في زماننا يقومون فقط بعُشر ما كان عليه الناس قديماً، إذاً لنجوا .



(1) أخرجهُ أبو داود في كتاب الأدب باب في الرحمة (ح 4941) ، والترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء في رحمة المسلمين (ح 1931) ولفظهُ عنده عن عبد الله بن عمرو، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : << الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله >> . قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح . انتهى .

الحديث الثاني والعشرون

عن أسماء رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : >>الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ<< [1] .

أجمل الكلمات ما دلت على الحقائق، وروعة البيان في كونه إبانة عن صدق الحال وإلا فهو لغو وباطل، وإن آلاف الكلمات لا تشبع جائعاً ولا تستر عارياً ولا تنصر مقاتلاً، والفساد ليس في وجود الشيء لكن قد يكون في العبارة المعبرة عنه، حينها يكون الوهم والكذب، ورحلة العاملين لدين الله تعالى هي رحلة إكمال أي رحلة الصدق والحقائق.

الشعارات والعناوين لا تحقق النصر ولا تدخل الجنان، فلو أن المشرك سمى نفسه موحداً وانتسب إلى إمام الموحدين إبراهيم ما كان ليدخل الجنة إلا بالحقيقة التي معه ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ العاديات، وإذا كان أمر الآخرة هو أمر الرحمة التي هي أوسع وأرحب من العدل فإن الدنيا هي جار السنن التي قوامها العدل، وهي لا تحابي أحداً ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۝٦٢﴾ الأحزاب، فإن ميزانها هو ميزان الحقائق، أي الوجود، فمن غير صخر لا تبنى البيوت، ومن غير رشد لا تدوم الجماعات، والذين يبحثون عن شعار جميل أو إعلام مبهرج دون اهتمام بالحقائق سرعان ما ينكشف الغبار ويظهر المستور.

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب النكاح باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى عن افتخار العزة (ح 5319) ومسلم في كتاب اللباس باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره ، والتشبع بما لم يعط (المنهاج ح 5548 ـ 5549 ـ 5550) ، وأبو داود في كتاب الأدب باب في المتشبع بما لم يعط (ح 4997) ، ولفظ الحديث عند مسلم عَنْ أَسْمَاءَ قالت : جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ : إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ مِنْ مَالِ زَوْجِي بِمَا لَمْ يُعْطِنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : >> الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ << . انتهى .

<<ثوب الزور>> وثوب آخر هو أخوه، واحد يكذب به على الناس ويوهمهم بالحيلة اللفظية، وآخر يرتد على نفسه لأنه "متشبّع" فيتجشأ من غير طعام إنما هو الهواء ولا شيء بعده، فهذان الثوبان المصنوعان من الكلمات، ومن الكلمات فقط ماذا عساهما أن يحققان من ستر العورات أو دفع البرد والمهلكات؟ ! وماذا لو صار عتاد المجتمع وقوامه هو الكلمات، يقتاتون بها ويتحاربون بها وعليها، ويناmون على أنغامها ووسائدها، فهل لهذا المجتمع دوام أو تقدم؟ !

جماعات الحق عمادها الصدق الذي به تحقق صدق انتمائها لدين الله، وبه تحق ق احترامها لنفسها واحترام الآخرين لها، حينها يصبح لكلماتها قوة الحقائق، فالصدق لا مساومة فيه، فلا يجوز الكذب بحال على الأمة ولا على الإخوان وهذا ركن الحياة والشهادة على الخلق.

<<ثوب الزور>> يصنع الوهم الخادع في المرء فيجلس على جذع شجرة حطمة ويظن نفسه أنه يمتطي جواداً سابقاً، فيطلق صرخات المقاتل والتهديد، ويضع الخطط والمقررات دون وجود عمد المقدمات لها، وهو لا يقوى على نفخة هواء من خصم يتعامل مع سنن الحياة وحقائقها، ولذلك من واجبات أي جماعة وحركة أن تعي واقعها، وأن تعرف حلقتها التاريخية، إذ الوعي على موطن رج لك في دورة التاريخ شرط تحقيق النصر الملائم للمرحلة، فالتاريخ حلقات، حلقة من حلقات الصعود أو الثبات أو الهبوط، ففي الصعود تحافظ على الاندفاع، وفي الثبات تحافظ على التوازن، وفي الهبوط تمنع الإنهيار، فمن الجهل الفاضح أن يتكلم أحد عن الفتوح – الجهاد الهجومي– وه و في حلقة إيقاف الهبوط والإنهيار، وتحقيق المطلوب من أي مرحلة هو النصر، فخالد بن الوليد رضي الله عنه في مؤتة حين انحاز بأصحابه محافظاً عليهم من الفناء إنما حقق النصر الملائم لواقعه، ولم يحققه إلا لوعيه على حلقته التاريخية حينئذ، وهذه هي لغة الحقائق لا "لغة الزور"، وهي التي تنفع حتى لو كانت مؤلمة وصعبة على النفوس وآمالها.

مع رحلة الجهاد والدعوة لنحذر من الشعارات الكبيرة فهي "أعلام زور" لا تثبت أمام الرياح والعواصف وتصبح أحمالاً ثقيلة على كاهل الجماعة والأمة، تعاني منها أكثر من معاناتها لأعدائها، لأن مطالبها كبيرة لأقوام يقابلها ويعادلها.

ومع هذه الرحلة لنحذر من الإنتفاخ الكاذب، إذ حاله حال "الحمل الكاذب" وهو عين "التشبع"، وهو انتفاخ ورمي عماده المرض والرهق لا الصحة والقوة.

مع هذه الرحلة حجر صغير خير من صراخ عال، وخيط عنكبوت خير من "ثوب زور".

ليأتي الناس إلينا وقد عرفوا ما لهم وما عليهم، وقد وعوا ما سيلاقونه وما سيقدمونه، فلا مخبآت مكتومة، ولا مفاجآت في طريق العمل والشهادة على الخلق، لأنه طريق معبّد مرسوم قوامه الصدق والأمانة.

في الحديث (حديث الباب) روعة البيان سامقة بجمال مثمر، وجذر قوي عميق، فأي جمال عظيم هذه في قوله: <<متشبع>> و<<لابس ثوبي زور>>، إذ الناس لا يعرفون سرك الكامن في بطنك، فادعاء المرء الشبع لا دليل للخصم يكذبه، ولكن هيهات إنما هو "لابس" وهذا أمره للعيان لا يخفى، فمهما ادعيت باطناً فإنما هو للعين مكشوف، إذ لا تقل "عندي" لأن الميدان سيكذبه، شئت أم أبيت.

ثم تأمل <<ثوبي>> لا واحد، وقد تقدم سره. والله أعلم.



الحديث الثالث والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

<<سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ . وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا>>[1] .

في الدوام مع القلة النجاح محقق، والحمل الكبير لا تعجز عنه قرية النمل، والجدُّ بنى سلاسل عظيمة من حجارة صغيرة لأرضه، يجمعها بجد يومياً من بعد صلاة الفجر وفي نفس طويل وأما الحفيد فعجز أن يبني بيت دجاج لأنه ينتظر أن يجمع مليون دينار ليبني قصراً عالياً في لحظة واحدة.

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (ح 6464) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب لن يدخل احد الجنة بعمله (المنهاج ح 7048 ـ 7949 ـ 7050ـ 7053 ـ 7054) ، وأخرجهُ الترمذي في كتاب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ (ح 2148) ولفظ الحديث عنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ : <<أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ>> . فَقُلْنَا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ أَنْ تُخْبِرَنَا . فَقَالَ : لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى : <<هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا>> . ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ : <<هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا>> . فَقَالَ أَصْحَابُهُ فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَقَالَ : <<سَدِّدُوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَىَّ عَمَلٍ وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَىَّ عَمَلٍ>> . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا ثُمَّ قَالَ : <<فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ>> . حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ عَنْ أَبِي قَبِيلٍ نَحْوَهُ . قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَابِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ . وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ . وَأَبُو قَبِيلٍ اسْمُهُ حُيَىُّ بْنُ هَانِئٍ . انتهى.

على أرجل ملفوفة بقماش مخرق مرقع، ودواب هزيلة، وصلوا إلى الصّين، وبسرج ليلية تعبة وأقلام لا يكاد يكمل الكلمة حتى يغمس في حبره، وعلى ورق مرة من جريد النخل وأخرى على حيوان كانت كنوز العلم تسير في حمائل الأطفال والعرائس، كل ذلك صنع على قاعدة : <<القصد القصد تبلغوا >>، وفي زمن "الكمبيوتر" والطائرات النفّاثة والسيارات السريعة ما زال الناس يرتكسون في مقاعدهم لأنهم يجلسون ينتظرون "اللحظة المناسبة" التي يتمنونها من "الفراغ" و"القوة" ليتحقق لهم كل شيء، فكانت النتيجة: **لا شيء**.

لعلك لا تملك قدرة توصلك وعلماً كافياً، لكن يكفيك: <<سدّدوا وقاربوا>> إذ الكمال وهمٌ في العقول لا وجود له في الأعيان، والذين ينتظرون الكمال إنما يقتاتون الوهم.

يقولون غداً، ففي غد يكون الفراغ الواسع الذي يمكن به أن تبدأ الرحلة، لأن اليوم ضيّق، وينسون أن غداً ليس فيه لحظة زائدة عما عليه اليوم، ولذلك إن كنت مشغولاً في الصباح فجدّ في المساء، <<اغدوا وروحوا>> إذ يكفيك ما عندك الآن مع قلته.

نم حتى يتعبك جنبك، واضطجع في ليلك ما استطعت وأحببت، لكنّك ستجد في نهاية الليل لحظة قبل الفجر تعطيها لعمل تبنيه فتجده أمامك كبيرا بعد ذلك.

كل شيء يمكن المساومة عليه، إن لم يعجبك العمل صباحا فاعمله مساءاً، وإن لم تستطع اليقين فيكفيك غلبة الظن، لكن إياك والتفريط في ا لدوام، بل <<القصد القصد >> فهذا إن فرطت فيه لم تبلغ ولن تبلغ مهما ملكت من القدرات . الدين عميق، وكذا الكون، والرحلة طويلة لأنه لا نهاية لها إلا بالموت فالعلاج الوحيد لهذه المعضلة هو أن تحمل الخفيف وتداوم المسير.

هذه قاعدة الإنجاز، وقاعدة النجاح، بل هي اكسير الثبات والوجود، وحين يتبارز الناس يكون للدؤوب الكلمة الفصل.

<<شيئًا من الدلُجة>> إذ النفس حال إقبالها، والجسم في لحظة نشاطه، والأرزاق لم توزع، ولم ترحل الطيور بعدُ بأرزاقها وحينها يكون القطاف من رأس الثمر، وهو أغلاه وأجمله وأغناه، ولذلك يكون "الشيء" مع قلتها أفضل من حمل بعير من "البقايا" والمخلفات، لأن روحها ذابلة وعطاءها ضعيف.

لا فرق بين الغدو والرواح لكن لا بد من "شيء من الدلجة" حينها تكون <<بيعتان في بيعة>>(1) وللقط ثمن غالٍ للحقوق بالبعير إذ هو المقصود.

في العمل: سدّد وقارب.

في الوقت: غدو ورواح وشيء من الدلجة.

في الإدارة: القصد القصد.

حينها يقيناً ستصل بإذن الله تعالى.

رحلة العاملين مع العلم والجهاد ليست مرحلة تقطع ثم نحط الرحال بل هي رحلة وراء رحلة، في العمل ومع المحبرة إلى المقبرة، وفي الجهاد ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴿٣٩﴾ ﴾ الأنفال، ورحلة العابدين ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الحجر، فما أطولها من رحلة لابدّ من قطعها،

---

(1) أخرجهُ الترمذي في كتاب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في النهي عن بيعتين في بيعه (ح 1235) ولفظ الحديث عنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: <<نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ>>. وَفِي الْبَاب عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ مَسْعُودٍ. قَال أَبو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وعلق عليه بقوله: وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ. أَنْ يَقُولَ أَبِيعُكَ هَذَا الثَّوْبَ بِنَقْدٍ بِعَشَرَةٍ وَبِنَسِيئَةٍ بِعِشْرِينَ وَلَا يُفَارِقُهُ عَلَى أَحَدِ الْبَيْعَيْنِ فَإِذَا فَارَقَهُ عَلَى أَحَدِهِمَا فَلَا بَأْسَ إِذَا كَانَتِ الْعُقْدَةُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا. قَال الشَّافِعِيُّ وَمِنْ مَعْنَى نَهْيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ أَنْ يَقُولَ أَبِيعُكَ دَارِي هَذِهِ بِكَذَا عَلَى أَنْ تَبِيعَنِي غُلَامَكَ بِكَذَا فَإِذَا وَجَبَ لِي غُلَامُكَ وَجَبَ لَكَ دَارِي. وَهَذَا يُفَارِقُ عَنْ بَيْعٍ بِغَيْرِ ثَمَنٍ مَعْلُومٍ وَلَا يَدْرِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ صَفْقَتُهُ، والنسائي في كتاب البيوع باب بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ أَبِيعُكَ هَذِهِ السِّلْعَةَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ نَقْدًا وَبِمِائَتَيْ دِرْهَمٍ نَسِيئَةً (ح 4641).

وما أرحم قائدها وراعيها: إنه **محمد بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم.**

بناء الجماعات غير بناء الأفراد، فالأفراد يبنون على قاعدة <<كن في الدنيا كأنك غريب >>(1) فهو يعيش مقتنصاً اللحظة كالطير يمر على الماء فيأخذ حسوات ويسير، لكن مع الجماعات تبنى الكتائب كما تبنى الكتب، تبنى لتدوم، وترصّ بمتانة الثبات والدوام، وإلا فهي نسمة ذاهبة لا تقوى على مهمات الحياة وتكاليف الدين مع الأمم الأخرى، فالإتقان أساس ذلك، والتأمل العميق –<<سدّدوا وقاربوا >>– فهو بذل المستطاع مع العلم، وليس رمياً في الهواء ولا من وراء الغيب، بل بقياس الدقة التي هي أقصى قدراتك، وإلا فما تبنيه مجرد ركام حجارة لا تكن مغروراً، فالعلم يسبق العمل "سدّد وقارب ثم اغد ورح "، وأما الغادي والرائح في كل اتجاه لا يدري أين مذهبه ولا مقصده فهو راجع بخفّي حنين ولا شك.

حدّد وجهتك، اجمع الأدوات، ثم ابدأ المسيرة، وكلما كلّت رواحلك أرحها قليلاً مع عين ترصُد، وروح تتطلع إلى هناك: حيث <<ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر>>(2) فهناك تستريح.

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الرقاق باب باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ " (ح 5937) ولفظ الحديث عنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ . رضى الله عنهما . قَالَ : << أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ " . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ >> ، والترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في قصر الأمل (ح 2333 ـ 2334) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ح 3244) وفي كتاب التفسير باب ﴿فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين﴾ (ح4779) ومسلم في كتاب صفة الجنة ونعيمها باب صفة الجنة (المنهاج ح 7063 ـ 7064 ـ 7065 ـ 7066) ، الترمذي تفسير القرآن باب ومن سورة السجدة (ح 3197) ، وابن ماجة في كتاب الزهد باب صفة الجنة (ح 3228) ، ولفظ الحديث عند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : << قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ >> . مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . انتهى .

<u>**نكتة:**</u> إن أعظم المعلومات والقدرات التي يجنيها الإنسان في حياته هي خلال الفترة الأولى من حياته، فهو يتعلم اللغة وروحها، ويتعلم أسماء الأشياء الكثيرة، كما يتعلم العجائب من حقائق الأشياء وماهيتها، ويتعلم الآداب والأخلاق، والكثير الكثير، ولو تفكرنا لوجدنا أن هذه الكمية الهائلة من العلوم إنما تلقاها بروية وهدوء وعلى قاعدة <<القصد القصد>> في تتابع يومي وفي كل لحظة، وبالصبر وعدم التواني، فهلا تعلمنا من هذه الحقيقة في تحصيلنا وحياتنا وجهادنا وسعينا ؟!



الحديث الرابع والعشرون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما قَالَ : اَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ : <<كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، اَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ>>[1] .

محنة القلب مع الحنين لما فات وانقطع يدفعه الحنين للآتي، وحال الدعاة والعابدين والمجاهدين مع مملكة الدنيا وأشيائها إنما هو <<لا يصلّينّ أحد منكم العصر إلا في بني قريظة>>[2] ، وإن صاح بك صائح "الصلاة" فقل له: <<الصلاة أمامك>>[3] وعلى دابتك سر "العَنَق" فإذا وجدت فجوة فنُصّ* ولا تقف على الأطلال باكياً

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الرقاق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :<<كن في الدنيا كانك غريب ، او عابر سبيل>> (ح 5937) ولفظهُ عنده عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : << كن في الدنيا كانك غريب، او عابر سبيل >> وكان ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا اصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك ، والترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في قصر الأمل (ح 2333) ، وابن ماجة في كتاب الزهد باب مثل الدنيا (ح 4114) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الخوف باب صلاة العصر والمطلوب راكباً وإيماء (ح 946) ، وفي كتاب المغازي باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قرضية ومحاصرته إياهم(ح 4119) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب المبادرة بالغزو ، وتقديم أهم الأمرين المتعارضين (المنهاج ح 4577) ، ولفظ الحديث عند البخاري قال عَنِ أبنِ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الاَحْزَابِ : <<لاَ يُصَلِّيَنَّ اَحَدٌ الْعَصْرَ اِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ>> . فَاَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَاْتِيَهَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي ، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ . (3) أخرجهُ البخاري في كتاب الوضوء باب إسباغ الوضوء (ح 139) وفي باب الرجل يوضى صاحبه (ح 181) ، وفي كتاب الحج باب النزول بين عرفة وجمع (ح 1664 ـ 1669) وفي باب الجمع بين الصلاتين بالمزدلفة (ح 1672) مطولاً ، ومسلم في كتاب الحج باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر (المنهاج ح 3076) وفي باب الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة . . . (يتبع في الحاشية التالية) .

ولا على ما حصلت مغتراً، فما في هذه الدنيا إلا "فانٍ وابن فانٍ"، والذكريات مكانها القلوب فإن نزلت إلى الأرجل صارت ثقال سفن معوقة.

ما تعطلت الإرادات إلا بالخوف على فوات ما في اليد شغفاً به، مع نسيان أن ما هو آتٍ هو أجمل وأفضل، فالعناء محتمل إن كان في النهاية غنيمة وراحة، وشعثاء السفر غبار زائل تذهبه غسلة ماء واضطجاع جنْب الحبيب المنتظر ثم يعود مجرد ذكرى.

الباكون الحريصون على "منجزات" دعوتهم وجهادهم وأعمالهم وقد اطمأنوا إليها وتلاءموا معها ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ ﴿١٦﴾﴾ الحديد، في ظلها فبردت جنوبهم إليها واهمون، فما هي إلا دنيا ذابلة، مع أن الطريق طويل والواجبات أمامهم، لكنه جهل "الإقامة" في ظل شجر بارد موقوت.

الهجرة حال دائم، واتخاذ الضيعة مرغب بالإقامة فكيف يلتقيان؟ ! فالمهاجر متخفف، حامل لمتاعه دوماً، أينما سمع هدفه طار إليها، أو واحة علم طارت نفسه لها شعاعاً، فكيف لعالم أو مجاهد أن يقيم والهيعات كثيرة والواحات دونها بيد.

"الاغتراب" همّ المميزين في أزمانهم، في رحلتهم مع المعالي، وبخطاً يقترفونه دوماً هو محاولة الإقتراب من هذه

(المنهاج ح 3087 ـ 3088 ـ 3089 ـ 3090 ـ 3091) ، وأبو داود في كتاب المناسك باب الدفعة من عرفة (ح 1925) والنسائي في كتاب مناسك الحج باب النزول بعد الدفع من عرفة (ح 3024)، ولفظ الحديث عند عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضى الله عنهما انَّهُ قَالَ : رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ عَرَفَاتٍ فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الشّعْبَ الأَيسَرَ الَّذِي دُونَ الْمُزْدَلِفَةِ انَاخَ ، فَبَالَ ثُمَّ جَاءَ فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ الْوَضُوءَ ، فَتَوَضَّا وُضُوءًا خَفِيفًا . فَقُلْتُ الصَّلاَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : <<الصَّلاَةُ امَامَكَ>> . فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى اتَى الْمُزْدَلِفَةَ ، فَصَلَّى ثُمَّ رَدِفَ الْفَضْلُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ جَمْعٍ>> . انتهى. * قال الشيخ في حاشية المسودة : وصف دفع النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى مزدلفة بقول أسامة رضي الله عنه : كان يسير العنق ، فإذا وجد فجوة نص ، وقال له في الطريق : يارسول الله أتصلي ؟ فقال : << الصلاة أمامك >> . انتهى .

الأزمان واجتناب دنياهم، فتزداد الآلام ويحصل الإفتراق، وحينها يكون المرض، ومع العابدين تكون "الغربة" علاجاً، فبينهم وبين أزمانهم علاقة يعرفون أنها "عابرة" لا تقيم، وأنها "غريبة" لا تتأقلم، يربطها الحنين إلى ما هو آت من الجنان ولقاء الرحمن، وإلا فحدثوني عن أئمة الزمان من الرسل وأتباعهم كيف قدروا أن يحتملوا جهالات عصرهم، وظلم قومهم، وضعف همم الخلق عموماً؟

اجعل بينك وبين كل شيء في هذه الدنيا مسافة في عقلك وقلبك ونفسك، لأنه الأروح لها إن فارقته، وأنت لابدّ مفارقه أو مفارقك، فالتعلق في الدنيا رأس الخطايا، وإن أول معصية في الأرض بين أبناء آدم عليه السلام إنما كانت بسببها والتنافس عليها، إذ يتصور الإنسان واهماً أنه لا يمكن أن يعيش بدون هذا الشيء من أشياء الدنيا، فيغلبه الهاجس المرضي كمجنون ليلى، ويسيطر هذا الشيء على روحه حتى تشربه كما أشرب بنو إسرائيل العجل، مع أنه لو تفكر قليلاً لعلم أن الكثير من الناس يعيشون بدونه، وهم في استغناء عنه، وهذا الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنى وأنه ليس بكثرة العرض، ولكنه غنى النفس.

"الاغتراب" للعابد العالم والمجاهد ليس مرضاً ولا رهقاً يحمله، بل هو اختيار عقلي وقلبي، فهو ليس مقهوراً بزمن، ولا بوطن، ولا بعرض فيها، بل الزمن بالنسبة إليه رحلة عمل، فلا تشغله اللحظة إلا بمقدار ما ينجز فيها من عبادة فهو يسبح ربه ويسجد له ويجاهد فيه ويزداد فيه علماً وبصيرة، حينها يصبح الزمن هارباً وهو يلاحقه، لا حملاً ثقيلاً يرهقه وهو يهرب منه، وأما "الوطن" حيث حلت فيه أول تعاويذه فبالنسبة إليه رحلة ذكرى لوطن قادم فينتظره، له فيه أهلون هم ينتظرونه كذلك، فهو عابر سبيل ينظر ولا يحمل، ويتأمل ولا يثقل، ويلمس لكن رجله في الغرز سائرة لا تقيم.

غريب أو عابر سبيل: غريب حاضرك مع الدنيا، عابر سبيل مستقبلك إلى الآخرة.

غريب في ما أنجزت مع الدنيا، عابر سبيل إلى واجبك الذي هو آت.

وهكذا تتواصل الرحلة، لا ترهق بماض، ولا يثقلك حاضر، ولا تنقطع الآمال. إياك أن تندم أنك ضيعت وقتاً أو جهاداً في مكان ما، فتقول : عملت هنا فلم أقطف، وبنيت هناك ولم أُقِم، فهذه الدنيا مسارح عجيبة، فقد زرع رسول الله ثلاثة عشر عاماً في مكة وكانت الثمار في المدينة، ورمى علماء كثر البذر في أرض فحملتها رياح البركة إلى أرض أخرى وزمن آخر، فها هو ابن تيمية ينبت بذره الآن شجراً مثمراً عالياً، وها هو سيد قطب تجنى غراسه بعد موته، وتفكر في إبراهيم عليه السلام وهو ينادي ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴿٢٧﴾ ﴾الحج، في أرض قفرة، صحراء لا زرع ولا ماء، فأسمع الله الخلق أذانه واستجاب ت له أمم لا يعلمها إلا الله بعده، وها هي العيون تشرئب إلى ذرية إسحق والأسباط، والعين تكاد تميل عن هذا الرضيع وأمه في البيداء، إسماعيل وأمه هاجر، ولكن كان لكلمة الغيب فصل آخر، فالخير لا يضيع – أحصاه الله ونسوه– ، فلا عليك أن لا تحصيه وهو في يد الله تعالى التي تنميه رحمة وقبولاً .

اهتم بنفسك أن تكون غريبا أو عابر سبيل، وأما شأن الأرض فهو فعل الرب : ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴿١٧﴾ ﴾الرعد ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : <<ما لي وللدنيا، إنما أنا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح وتركها >>(1) والله يقول: ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿4﴾ ﴾ الشرح، و ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴿٣﴾ ﴾الكوثر. فالله يقول الحق وهو يهدي السبيل.



(1) أخرجهُ الترمذي في كتاب الزهد باب 44 (ح 2384) ولفظ الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً . فَقَالَ : << مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا >> . قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ >> . انتهى .

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : <<الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ>>(1) .

مِلاَط الوصول بين الركائب باتفاق الحِمْل، فإذا اتفق الهم سميت على وحه الوحدة وإلا فهي غبار ريح، والجنود لا تنبت من الأرض بل تجنّد بالحمل، فحمل من معدنه وحمل من صانعيه وبد صاحبه، وبناء الجماعات يتم ببناء أرواحها، وهي الهموم والغايات، فالعلم رحم بين أهله وكذا التقوى والجهاد، يتواصلون بينهم بالهدية والسلام والدعاء والحب، وبناء في أبدانها، فالميدان يجمع أهله حين تنصب الأقدام على طريق الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة، وعلى طريق الإعداد الذي هو دين الله رغم أنف المخنثين.

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴿٦٣﴾ ﴾الأنفال، والتأليف هو الجمع على وجه الجمال وروعة المعنى، فحين تتفق الحروف في اجتماعها على معنى يكون تأليفاً، وكذا الناس حين يجتمعون على هم واحد ومقصد متفق يكونون على ألفة ومحبة، وبذلك تقع مقاصدهم ويبلغون أهدافهم، ومخطئ من ظن أن هذا الحديث يتحدث فقط عن أمر قد قضي وانتهى والناس يعيشون على وضع لابد لهم فيه بل الحق أن هذا الحديث مع حديثه عن ذلك إنما يتحدث عن أثر ما يجنّد المرء فيه من تربية

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ولفظهُ عنده عَنْ عَائِشَةَ ، رضى الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : << الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ >> ، ومسلم في كتاب البر والصلة باب الأرواح جنودٌ مجندة (المنهاجح 6650 ـ 6651) ولفظهُ عنده مطولاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِحَدِيثٍ يَرْفَعُهُ قَالَ : << النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ >> ، وأبو داود في كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس (ح4834) . انتهى .

أهله له ومن تربيته لنفسه، فهي "مجنّدة" والتجنيد كالعلم الذي هو بالتعلم والصبر الذي هو بالتصبر، فما جند المرء نفسه له فهو جندي له، وبهذا يحدث اللقاء على وحدة الطريق والهدف، وقد حصّل الصحابة رضي الله عنهم أهدافهم لوعيهم العميق لما يحمل القائد من هدف ومقصد، وبالتالي صمدوا أمام محن الطريق لحبهم لقائدهم وحبهم المتبادل بينهم، وهذا عمر رضي الله عنه يقول : <<ما رأيت أن شرح الله صدر أبي بكر فعلمت أنه الحق >>(1) وذلك في قتال الصحابة للمرتدين، وهذا مرجع يتعلق بأمر القلوب والأرواح لا كما يعلم المحجوبون بالألفاظ والشعارات الجوفاء .

الجماعة المسلمة جماعة محنة وابتلاء، ومكر أعدائها بها شديد – ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾إبراهيم–، وتصفيتها من الدرن خلوصاً بها إلى الطهر هي سنة الله تعالى بها، فحالها كأنها على نار وشدة، ومن كان هذا حاله فلا يصمد إلا بحمل ثقيل من الإيمان والتقوى، وتدريب شاق على المهمات وخاصة ما يتعلق في داخل الجماعة نفسها، فالمرء حين يرى وجوهاً يعرفها ويألف بها ويأنس معها فإن نفسه تثبت وتؤوب إن أصابها الفزع، أما إن نظر فرأى وجوها منكرة لا يعرفها، ومختلفة متدابرة فإن الغربة تشتد عليه والمحن تتضاعف وحينها يقع المحذور من الفرقة التي هي رأس الشقاء والهزيمة، وقد وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من المحن العلمية والعملية الشيء الكثير، لكن حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وألفة قلوبهم الطاهرة لقلبه الطاهر، وأنس أرواحهم الخالصة بذكرى الدار الآخرة مع روحه التي هي كذلك بل

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ح 6741) ولفظهُ عنده عن أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : << لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ لأَبِي بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " اُمِرْتُ اَنْ اُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللَّهُ . فَمَنْ قَالَ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللَّهُ . عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، اِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ " . فَقَالَ وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ،فَاِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ اِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ . فَقَالَ عُمَرُ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ اِلاَّ اَنْ رَاَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ اَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ اَنَّهُ الْحَقُّ . قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ عَنِ اللَّيْثِ عَنَاقًا . وَهْوَ اَصَحُّ >> . انتهى .

هي أعلاها وأسماها في ذلك، كانت هذه المحن تمر عليهم فتزيدهم صلابة وقوة، ففي أُحد تجد الصحابة يشتدون بالإلتصاق من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال لو كان مع غيرهم لوجدتهم مجرد أشباح ذاهبة، وفي صلح الحديبية حيث الفتنة العلمية، فرسول الله صلى الله عليه وسلم بشرهم بالفتح، وفهموا من ذلك أنهم سيدخلون مكة هذا العام، فما أن عقد الصلح على صورة لم تخطر على بالهم، ورأوا فيها تنازلاً عن تولي ا لمؤمن لأخيه، وتنازلاً عما عقدوا العزم عليه من الإحرام للعمرة، فثارت نفوسهم، واشتد الأمر عليهم حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالإحلال فلم تقو أبدانهم ونفوسهم على ذلك، وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباناً خوف هلاكهم من هذه المعصية، ثم لما خرج إليهم وحلق أمامهم وأحل من إحرامه، قاموا يحلون ويحلقون حتى يكاد الرجل يدمي صاحبه من الغضب(1) ، فمثل هذه المحنة الشديدة لم يكن ليثبت لها جند إلا إن أحبوا صاحبهم وتعلقت أرواحهم به

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب . . .(ح 2529) ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب في صلح العدو (ح 2765) مختصراً ، ولفظ الحديث عند البخاري قال عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، حَتَّى كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ " . فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ. فَقَالَ النَّاسُ حَلْ حَلْ. فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا " . ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَىٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَىٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا

فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ " . فَقَالَ بُدَيْلٌ سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ. قَالَ فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا قَالَ إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلاً، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ . وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ. قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم. فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ قَالُوا بَلَى. قَالَ أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ قَالُوا بَلَى. قَالَ فَهَلْ تَتَّهِمُونِي. قَالُوا لاَ. قَالَ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي قَالُوا بَلَى. قَالَ فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ. قَالُوا ائْتِهِ. فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى وُجُوهًا ، وَإِنِّي لأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ امْصُصْ بَظْرَ اللاَّتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ فَقَالَ مَنْ ذَا قَالُوا أَبُو بَكْرٍ. قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ. قَالَ وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا قَالُوا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَقَالَ أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ " . ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَيْنَيْهِ. قَالَ فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ ، فَاقْبَلُوهَا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " هَذَا فُلاَنٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ " . فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا

رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ. فَقَالَ دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " هَذَا مِكْرَزٌ وَهْوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ " . فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. قَالَ مَعْمَرٌ فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ " . قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ هَاتِ، اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " . قَالَ سُهَيْلٌ أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ. فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ وَاللَّهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلاَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ " . ثُمَّ قَالَ " هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ " . فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي . اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ " . قَالَ الزُّهْرِيُّ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ " لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا " . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ " . فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لاَ تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ، إِلاَّ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا . قَالَ الْمُسْلِمُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ " . قَالَ فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَىْءٍ أَبَدًا . قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " فَأَجِزْهُ لِي " . قَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ. قَالَ " بَلَى، فَافْعَلْ " . قَالَ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مِكْرَزٌ بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ. قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ أَىْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ. قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ " بَلَى " . قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ " بَلَى " . قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ " إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهْوَ نَاصِرِي " . قُلْتُ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ " بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ " . قَالَ قُلْتُ لاَ. قَالَ " فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ " . قَالَ فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى. قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى. قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهْوَ نَاصِرُهُ، (يتبع في الحاشية التالية) .

لاتفاق الحال وأنس السمات مع السمات.

لابدّ من بناء خفي للأرواح، من تسبيح واستغفار وقيام ليل ودعاء بالغيب، ولابد من بناء عملي لها بالعلم

== فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ قُلْتُ لاَ. قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. قَالَ الزُّهْرِيِّ قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً. قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لأَصْحَابِهِ " قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا ". قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ. رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ. وَهْوَ مُسْلِمٌ فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا. فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلاَنُ جَيِّدًا. فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ فَقَالَ أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ. فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الآخَرُ، حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَآهُ " لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا ". فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ ". فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ. قَالَ وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلاَّ لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلاَّ اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهْوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ

>> . انتهى .

والإعداد وبالهجرة، حتى تأتلف القلوب وتتعارف وتصبح " جنوداً " لا " غبار طريق "، وحتى يعرف الناس بعضهم بعضاً تعارفاً كمعرفة الإبن بأمه والأخ بأخيه والابن بأبيه، وبمثل هذه العلاقة لا تزيد المحن الجند إلا اتحاداً وقوة، فإن الأم لا تدع ابنها حتى لو أخطأ أو مرض أو ضعف، وكذا الأب والأخ، وهذه هي " صبغة الله "، وهي لا تذوب ولا تزول مهما تقادم عليها الزمن، فها نحن نرى على مدار التاريخ حب المحدثين لإمامهم أبي هريرة حباً خاصة ومثله لأمنا عائشة رضي الله عنها وأنس بن مالك، حيث تجتمع الصبغة ويتوارث أهل هذه " الصبغة " الحب جيلاً بعد جيل كما يتوارث الناس الأنساب، بل أشد، وكذا نرى حب العلماء لعمر وابن مسعود ومن سار على دربهم حباً خاصاً لاتفاق " الصبغة " التي يتوارثونها، صبغة تسري في الأرواح، وما من مجاهد يذكر أمامه خالد بن الوليد أو أبا عبيدة عامر بن الجراح وأمثالهما إلا ونراه قد انشرحت نفسه وعرف ذلك من قسمات وجهه وذلك لاتفاق "الصبغة" التي تلاءمت معها النفوس واشتركت بها .

إنها مهمة "التجنيد" وهي مهمة الأنبياء وأتباعهم من أجل صناعة "صبغة الله" في أرواح الخلق فاللهم اجعلنا من أهلها .

في هذا الحديث العظيم تنبيه أن المؤمن لا يحبه إلا مثله وكذا الكافر، فالذين يطلبون رضا الكافرين عنهم، وأن يقولوا فيهم كلمة إنصاف هم واهمون، إذ هذا لن يكون حتى تتعارف الأرواح بما تؤمن به، وكم من حديث قال فيه الرجل لنبينا صلى الله عليه وسلم كلمة بغض وكراهية، فهو أبغض الخلق إليه، فما أن يؤمن الرجل حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين، لأنها الأرواح وما تحمل، ولذلك الزاني يحب مثله وكذا المرابي والمشرك والفاسق، والمؤمن يحب مثله، فالذاكر يحب الذاكرين وكذا المصلي والمجاهد والعالم وذلك لاتحاد الصبغة وتلاؤم الأرواح.



الحديث السادس والعشرين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : <<لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ>>(1) .

اليد الأولى للاكتشاف والثانية لماذا يا مغتر؟ ! أهو أمن الجاهل من حيّات الطريق وعقاربها ؟ ! أم أنه ظن السوء أنه يمكن أن تنقلب الضواري حملاً وديعاً ؟ ! فيا لجهالات المغترين بالبريق الزائف عن ماضي أجدادهم وتاريخهم وما أصابهم ! !

ثم يا أيها المغتر تفكر : هذا " جحر " مخفي داخله ولذلك أذن لك أن تمد يدك الأولى مكتشفاً، فمالك قد نمت آمناً في وكر سباع وجماع أفاع لها ضباع تحت الشمس مكشوف ؟ !

في حيرة تحقيق الشهادة على الخلق تندفع الحيات والعقارب والسعالي تؤزها شياطينها بحرارة الخبث وسم الكراهية للحق لتقتنص الركب وأهله – ولا يزالون– سعياً وراء سعي، ومكراً وراء مكر – بل مكر الليل والنهار– حتى إذا أصابوا غرة من غافل أو ضعيف لدغوا نشراً للسم فيه وفي الجماعة، وحينها يتعطل الركب أو يضعف، هؤلاء هم " جحور "الباطل التي يجب على الجماعة أن تردمها، ثم يطين عليها فلا يكون لها روح ولا بقاء، وهذا الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾الأحزاب ، وبهذا قمعت الجحور وردمت في الصدر الأول.

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأدب باب لا يلدغ لمؤمن من جحرٍ مرتين (ح 6133) ومسلم في كتاب الزهد والراقائق باب لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين (المناجح 7423 ـ 7424) ، وأبو داود في كتاب الأدب باب في الحذر من الناس (ح 4862) ، وابن ماجة في كتاب الفتن باب العزلة (ح 3982) . انتهى .

لحكمة عظيمة جرت أحداث السماء بين أبينا آدم عليه السلام وعدوه إبليس لتقع العبرة أن العداء هو العداء ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ فاطر، وقد ذكر الله أمر الشيطان وعداءه فلم يذكر طريقاً للتعامل معه سوى الاستعاذة منه وتوقي طرقه ومكره، فهو عدو لا يأتي منه إلا الشر، فهذا هو طريق الحكمة مع "الشياطين" الذين يتقون في "الجحور"، فإن للظلمة والرطوبة التي يعيشون في أجوائها ميزة علمتهم المكر الذي يستدعي "الكمون" القائم على الصبر الطويل في انتظار اللحظة الملائمة لبث سمومها والإيقاع بضحاياها.

من أعظم هؤلاء شراً وسمّاً هم أهل "التقية"، فهي جحر الأفاعي الرطب المظلم الخبيث، ربوا على الحقد وقيح الحكايا الباطلة، وأشربت قلوبهم "النواح الحقود" يبيتون على طوى الذل والخنوع حتى إذا سنحت لهم فرصة "اللدغ" نشطوا لها لا يردعهم دين ولا خلق، يتحالفون مع الكفر الصريح ليشفوا نار غليلهم من المسلمين، هذا دأبهم وسيرتهم مع كل حلقات التاريخ، فيا لتعاسة الذين لا يقرؤون التاريخ ويعتبر ون به، بل يمرون عليه مرور الجهل قائلين : هذا زمان يختلف، وقد تغير الناس، ولكل زمن ظروفه، وما علموا أن القيم والعقائد هي هي لم تتغير وإن تزينت بزي جديد وبلباس خادع متطور.

إن المؤمن شرطه " الاعتبار " فمن لم يعتبر بما يصيبه لن يعتبر بما قُصّ عليه عن غيره، فإن كانت الندوب التي في جسمه لا يلتفت إليها فكيف له أن يرى ما يقع مع الآخرين؟ ! هذا "الاعتبار " هو الذي يجعله يراكم المعارف والتجارب ويضعها نصب عينه في مسيرته ورحلته مع العبودية لرب العالمين، أما أولئك الذين يظنون أن شرط الإيمان " الغفلة " فهؤلاء حقيق بهم الزوا ل وغلبة الأعداء عليهم، بل اتخاذهم مطايا لتنفيذ مخططات الأعداء بهم، وإن من أخطر الذنوب التي يقع فيها المؤمن هو أن يكون يدَ شرٍّ لأعداء الله تعالى وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، وحال هؤلاء كحال المبتدع إذ لا توبة له، لأنه يظن أنه على حق وصواب، بل يموت في سبيل هذا، وهو في الحقيقة يخدم أعداء الله، وهذه " البدعة " الكبرى وهي التي تتعلق بالعمل لدين الله هي التي يجب أن نتكلم عنها أكثر من غيرها من البدع " الشخصية " والفردية، إذ البدع الفردية مردها على صاحبها، أما البدع التي تتعلق بالعمل الإسلامي فهذه ضلالاتها

تعود على الأمة بمجموعها، وهذا الذي يقع، فإن كثيراً من العاملين لدين الله تعالى إنما يخدمون الشيطان وجنده، بل هم من " دوابهم " ومطاياهم وهم لا يشعرون، وسبب ذلك " الغفلة " وعدم الاعتبار والنظر.

العمل لدين الله تعالى لا يتفاعل ولا يقدم ثماره دون نظر للتاريخ وأحداثه، ولا بالغفلة عن الواقع وظروفه، وليس هناك من حدث معاصر منبت عن تاريخ له، بل كل عامل يحمل موروثه الذي يهتدي به ويتفاعل معه ويسترشد به، وما وقع للأجداد يجب أن يكون حاضراً للأحفاد وكما قال ابن مسعود: <<السعيد من اتعظ بغيره>>[1] ولذلك "فالحية لا تلد إلا حية" وتربية الذئاب وسط الحملان لا تقبلها وديعة بل كما قالت الأعرابية: "ومن أدراك يا ابن الذئب أن أباك ذيب" وهذه طوائف جحور "التقية" الخبيثة عاشوا مئات السنين وسط المسلمين فهل انتفعوا بذلك أم إن الحفيد لم يزدد إلا حقداً عما كان عليه جده؟! وها هم اليهود الذين عاشوا بين آبائنا وأجدادنا هم شر يهود على المسلمين وأكثرهم عقراً لإخواننا في فلسطين، فالتاريخ حمل على الكواهل رغم أنف أهل "الغفلة" من مدعي السياسة والكياسة، ومن عجائب الواقع أنه ما من "علماني–لا ديني" خرج من طوائف "جحور التقية" إلا ويبقى وفياً

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب بداء الخلق باب ذكر الملائكة (ح 3208) وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم ودريته (ح 3332) وفي كتاب القدر باب 1 (ح 6594) وفي كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ (ح 7454)، ومسلم في كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ... (المنهاج 6665 ـ 6666 ـ 6668 ـ 6669)، وأبو داود في كتاب السنة باب في القدر (ح 3708)، والترمذي في كتاب القدر باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم (ح 2137) وابن ماجة في المقدمة باب في القدر (ح 76)، ولفظ الحديث عنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: << أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَ " إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ الْكَلاَمُ وَالْهَدْىُ فَأَحْسَنُ الْكَلاَمِ كَلاَمُ اللَّهِ وَأَحْسَنُ الْهَدْىِ هَدْىُ مُحَمَّدٍ أَلاَ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ أَلاَ لاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ أَلاَ إِنَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ وَإِنَّمَا الْبَعِيدُ مَا لَيْسَ بِآتٍ أَلاَ إِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ أَلاَ إِنَّ قِتَالَ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ أَلاَ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ لاَ يَصْلُحُ بِالْجِدِّ وَلاَ بِالْهَزْلِ وَلاَ يَعِدِ الرَّجُلُ صَبِيَّهُ ثُمَّ لاَ يَفِي لَهُ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ صَدَقَ وَبَرَّ. وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ كَذَبَ وَفَجَرَ. أَلاَ وَإِنَّ الْعَبْدَ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا >>. انتهى.

لطائفته، ينقلب عليها بالمنفعة والنصح والإنتصار، إلا هؤلاء الخبثاء "الدواب والمطايا" الذين خرجوا من أهل السنة إلى ردة العلمانية واللادينية فإن شرهم على المسلمين أعظم من شر اليهود والنصارى والمشركين، فسبحان الله كم هو ضرر "الدواب" هؤلاء وكم هي غفلتهم وجهالتهم؟ !

ثم ليعلم أن الجهاد لا ينفع مع "الغفلة" ولا "العماية" بل يكون الجهاد شراً وفساداً في الأرض من غير بصيرة وهداية وتذكرة، و "الجهاد" خاصة ليس بالأمر الهين الذي يجوز فيه مثل هذه الأغلاط من "النوم على الأقارب والأفاعي"، فإن "المجاهد" في صدره حمية وفي يده بندقية وأقل غلط في ذلك هو الفساد والدماء وإهلاك الحرث والنسل –﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ البقرة.



الحديث السابع والعشرون

عن زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ ـ رضى الله عنه ـ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا>>(1) .

ليس في الركب إلا مجاهد، لا فرق بين حمل السلاح أو أعان حامله أو سدّد المسار، فإن كانت تلك تهمة فهي تهمة حق، وإن كانت منافسة على الأجور والدرجات فالقسمة سواء، فالركائب لا تدوم ولا يطمئن أهل وها إلا بالمدد وحماية الظهور واطمئنان على الأهل والمال والولد، فهذه طريق لا طرد فيها لأحد، ولا تفضيل فيها لأحد باعتبار الصنعة إنما التفضيل بإتقان الصنعة، والإخلاص لها، ومداد التقوى الساري في القلوب، فعجيب لمن يتكلم عن الشجاعة وهو لا يعرف أفنانها ولا همومها، فهل الخائض قتالاً في أعداء الله مقتحماً بفرسه في غمراتهم أشد شجاعة ممن بات على ثغر الحرائر ليس هناك سواه، ملق بسامعته لتلتقط أدنى حس أو خبر، يخاف أن تؤتى الذمام من قبله؟ ! لا والله، وهذا هو أبو بكر رضي الله عنه أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذ كر عنه كثير قتال في بدر مثلاً كما ذكر من شأن حمزة رضي الله عنه، وكان موقعه على غرز رسول الله وخيمته، كما كان موقعه في الهجرة يحميه ويحوطه بنفسه، وبذلك عرف له الفضل، وها نحن نرى اليوم أن من قدّم ماله في سبيل الله معرض للإبتلاء أشد ممن هو آمن مع سلاحه مقاتلاً، والمواطن لها رجال، فمن جهالة البعض اختزال مواطن الجهاد في موطن واحد، بل العدل والعقل هو النظر إلى الحياة وما فيها من سبل وفجاج، وإكبار الناس الواقفين على ثغور هذه السبل

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل من جهز غازياً أو خلفهُ بخير (ح 2843) ومسلم في كتاب الجهاد باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركب أو غيره (المنهاج ح 4879 ـ 4880) ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب ما يجزىء من الغزو (ح 1628 ـ 1631) ، والنسائي في كتاب الجهاد باب فضل من جهز غازياً (ح 3180 ـ 3181) . انتهى .

والفجاج، فالمجاهد المقاتل ما كان له أن يقوم لولا إمام المسجد، وما كان له أن يقوم لولا من يعلّم طفله سورة الفاتحة والإخلاص، وما كان له أن يقوم لولا من يحميه في ظهره بالدفاع عنه وعن عرضه بالبيان وسحر المقال، وها هي دول الشيطان تنفق الملايين لصرف الناس عن دينهم لا بالحرب فقط ولا بالسلاح فحسب ولكن بإغواء الكلمة والصورة .
فالقائم لهم أشد في نحورهم من رامي النبل كما قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وكما ينزل الله الملائكة لنصر المجاهدين المقاتلين فهو ينزلها كذلك لتلك المعاني كما قال البراء رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان: <<أهجهم وجبريل معك>>[1] والركب المجاهد في مسيرته مطلوب أن يعرف مقامات الناس وفضلهم في أماكنهم، <<فالساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل>>[2] كما قال المصطفى من حديث صفوان، وغرور الناس في صنعتهم مفسدة للركب وهي أشبه بدعوى الجاهلية وحقيق أن يقال لمن تطاول على إخوانه بنسب الصنعة أن يقال له كما يقال للمفتخر بنسب الآباء، ثم قد علم من فنون الحروب أن الجبهات المقاتلة لا تسع كل الناس، بل إن زاد أهلها عن الحد صاروا عبئاً على الناس، فبهذا يعلم أن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه. ألا فليعلم أن مكشوف الظهر لا يدوم،

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأدب باب هجاء المشركين (6153) وفي كتاب بداء الخلق باب ذكر الملائكة (ح 3213) وفي كتاب المغازي باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجهُ إلى بني قريظة ، ومحاصرته إياهم (ح 4223) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه (المنهاج 6337 ـ 6338) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب النفقات باب فضل النفقة على الأهل (ح 5353) وفي كتاب الأدب باب الساعي على الأرملة (ح 5547) وفي باب الساعي على المسكين (ح 5548) ، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (المنهاج 7393) ، والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في السعي على الأرملة واليتيم (ح 1969) ، والنسائي في كتاب الزكاة باب فضل الساعي على الأرملة (ح 2576) وابن ماجة في كتاب التجارات باب الحث على المكاسب (ح 2140) ، ولم أجد بزيادة حرف الفاء ولكن بلفظ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ وَأَحْسِبُهُ قَالَ، يَشُكُّ الْقَعْنَبِيُّ ـ كَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ>> . وهذا أحد لفظي البخاري .انتهى.

ومهموم البال لا يصمد، والجائع لا يقوم، ومن غير وقود يستحيل ما في النار رماداً لا يشتعل، فلابد للركب من كلمة حانية تنافح عنها، وحادٍ يدفع العيس حتى يقال له : << رفقاً بالقوارير >>(1) وتاجر يؤمن جيش العسرة عثماني القلب والنفس، وصاروخ في الجيش خير من ألف فارس، وحكيمة كأم سلمة تقول لحبيبها إن دخل عليها مهموماً من تخلف الناس: <<يا نبيّ الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك>>(2) فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً . وهكذا تتوزع المهمات بحسب القدرات وما قدر الله فيها للخلق، كل يعلم أن ما هو فيه خير وأن غيره في خير كذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ثم إن فضل الأعمال لا تعرف من قبل الأطفال، فهؤلاء صغار تبهرهم البهارج والألوان، وتفزعهم الأصوات العالية، يظنون أن الماء إنما هو من هذا المقبض الحديدي الذي يديرونه فين زل ماءً، ولا يرون أنابيب المياه الخفيه التي هي ناقلة له، ولا يرون منابع المياه وراء الجبال، فهذه نظرة الأطفال وتلك أحكامهم الجاهلة، ومثل هؤلاء إن صارت الأحكام إليهم وأكثروا الصراخ وقادوا المسيرة فعلى الركب السلام، إذ لا تصلح المسيرة إلا بقيادة هادية رشيدة ولو

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأدب باب ما يجوز من من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (ح 6149) وفي باب ما جاء في قول الرجل (ويلك) (ح 6161) ، وفي باب دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً (ح 6202) وفي باب المعريض مندوحة عن الكذب (ح 6209) ، ومسلم في كتاب الفضائل باب رحمة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء (المنهاج ح 5990 ـ 5991 ـ 5992 ـ 5993 ـ 5994 ـ 5995) ، ولفظ الحديث عند البخاري قال عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ : <<وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ>> قَالَ أَبُو قِلَابَةَ فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ>> . (2) تقدم تخريجه . انتهى .

تأملنا ما كان يقوله رسول الله لأصحابه وحثه أن يلزموا أماكنهم وصنعتهم لرأينا عجباً، فقد كان يثير الفضائل المكبونة، ولا يفتخر الناس بشيء علموه وانتشر أمره إلا وأشار إلى غيره من الفضائل مما تخطئه العين ولا تنتبه له، ذلك لأنه البصير بما هي عليه الحياة، وكفى بقوله : <<دياركم تكتب آثاركم >>(1) و <<اعمل من وراء البحر>>(2) .

أما أنها تهمة حق وأن الركب كله مجاهد، فعجيب لأولئك القوم الذين ملؤوا نفوس الشبا ب بحب الجهاد والشهادة، وصاغوا أمرها بأحلى كلام وألقوا فيها الخطب والدروس ثم لما كان الجهاد وناره وفتنته انقلبوا ذامين شاتمين متبرئين، ألستم أنتم ممن بغّض في نفوس الشباب الكفر وأهله؟ ! ألستم أنتم ممن عددتم قبائح الكفار وظلمهم؟ ! ألستم أنتم الذين قلتم إن أهل الإسلام هم قدر الله في عذاب المشركين؟ ! ثم ألستم أنتم من علّم الناس الولاء والبراء ؟ ! أبعد هذا كله ماذا كنتم تنتظرون من هؤلاء الشباب سوى الإنغماس في غمرات الموت ونكاية الأعداء ؟ !

نعم: "يداك أوكتا وفوك نفخ"(3) فإن نكثت، فتلك سنة الله في البعض: يقل الصالحون حتى لا يبقى إلا كما

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب فضل كثر الخطا إلى المساجد (المنهاج ح 1517 ـ 1518) ولفظهُ عنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَهُمْ : <<إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ>> . قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ . فَقَالَ : <<يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ>> . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الأدب باب في قول الرجل ويلك (ح 5699) ولفظهُ عنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ . رضى الله عنه : <<أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْهِجْرَةِ . فَقَالَ : <<وَيْحَكَ إِنَّ شَأْنَ الْهِجْرَةِ شَدِيدٌ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ>> . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : <<فَهَلْ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا>> . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : <<فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا>> ، وأبو داود في كتاب الجهاد باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو (ح 2477) . (3) ذكر هذا القول صاحب كتاب اللطائف في الفضل السابع التوبة . انتهى .

يبقى في الإناء بعد الشرب، وإن صبرتم فتلك سنة الله في آخرين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ آل عمران، فاختر أي السبيلين يا مسكين.



الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ>>(1) .

كل فعل لا يقع بإرادة يقظة محكوم بفساده، إذ ضبط القوة في مواطن الطيش حكمة العقلاء، فالصلاح لا يقع لجماعات الحق إلا باجتماع القوة والحكمة، فإذا انفرد أحدهما عن الآخر لم يقع، فقوة في يد سفيه مهلكة ومفسدة، وحكمة في رأس ضعيف كرأس بلا بدن، وفي رحلة الشهادة على الخلق لا يوجد إلا العلم، ولا خصومة إلا في الله كما دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم في قيام: <<اللهم بك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وفيك خاصمت وإليك حاكمت>>(2) وهذه الكلمات هي جماع فعل المؤمن لا يشذ عنها عمل ولا حركة ولا قول ولا

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأدب باب الحذر من الغضب (ح 6114) ومسلم في كتاب البر والصلة باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، وبأي شيء يذهب الغضب (المنهاج ح 6584 ـ 6585 ـ 6586 ـ 6587 ـ 6588)، وأبو داود في كتاب الأدب باب من كظم غيظاً (ح4779)مختصراً . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب التهجد باب التهجد في الليل (ح1120) ، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء إذا انتبه من الليل (ح6317) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ (ح7385) وفي باب قول الله تعالى ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرة﴾ (ح7442) وفي باب قول الله تعالى ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ (ح7499)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل (المنهاج ح1805 ـ 1806 ـ 1807)، أبو داود في كتاب الصلاة باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء (ح 771)، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب ذكر ما يستفتح به القيام (ح1618)، ولفظ الحديث عند مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ : << اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ حَقٌّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ (يتبع في الحاشية التالية) .

سكنة، والإنفعالات النفسية الطارئة السريعة لا يسلم من باطلها إلا القليل من الحق، لأنها فالتة عن زمام الحكمة والتدبر والدراسة، فإذا اجتمع معها نسيان المر للتاريخ وغفلة عن الحاضر وتجهل بالعواقب ا زداد شرها، فإن كانت مع القدرة فحينئذ هو الفساد بعينه، ومن هنا فردّاتالأفعال ليست بشيء إن اتسمت بسمة السرعة والفجأة، بل لابد من التأني لحصول الوعي والقراءة الصحيحة.

<< لَيْسَ الشّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ>> ، فهذا إنسان قدر على الفعل لكن هل أمن الردع والعاقبة، فليس العبرة بأن تقدر على الفعل، لكن من العبرة أن يكون عندك القدرة على تلقي نتائج الفعل وهو الذي يسمى بالردع، فهذا هو العقل والحكمة، ففي حالة الغضب يكون الإندفاع الذي يؤمن حصول الضرر للخصم، اندفاع مع البغتة، لكن بعد ذلك وبعد أن تؤوب القُوَى إلى ميزانها الصحيح دون مرجح آخر فكيف سيكون الحال، أو حين يجمع الخصم جرا ــــو عتاده، ويؤمن لنفسه أسباب هلكتك فماذا سيبقى لك حينئذ سوى الهزيمة؟

الغضب تركز النفس حول نقطة عابرة، وحدث سريع، فتشتعل مع ذهول عن ماض يجب أن يعتبر، وقد تقدم أن الاعتبار شرط الإيمان وهو بحث كذلك، فإن المرأة تكفر عشيرها، إذ يحسن لها الدهر كله، ثم إن أردت شيئاً من زوجها قالت: ما رأيت منك خيراً قط، وهذا من قلة الإيمان والعقل، وكذلك الغضب.

ثم ليعلم أنه ليس كل اندفاع نحو الخصم صواب وحق، فهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول لمسلمة بن الأكوع رضي الله عنه <<ملكت فاسجح>>(1) إذ في ذلك عبرة أن حركة الهجوم هي حركة واعية حتى في النصر وهزيمة

== خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا اَخَّرْتُ وَمَا اَسْرَرْتُ وَمَا اَعْلَنْتُ اَنتَ الْمُقَدّمُ وَاَنّتَ الْمُؤَخّرُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اَنْتَ وَلاَ اِلَهَ غَيْرُكَ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ اِلاَّ بِكَ >> . انتهى . (1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب من رأى العدو فنادى بأعلى صوته : يا صباحاه ، حتى يسمع الناس (ح 3041) وفي كتاب المغازي باب غزوة ذات القرد (ح 4194)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد وغيرها (المنهاج ح 4653) ولفظ الحديث عند مسلم عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ يَقُولُ: <<خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالأُولَى وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَرْعَى (يتبع في الحاشية التالية) .

الخصم، إذ العقل والحكمة لا يتيهان في ظرف من الظروف، ولا يغيبان، لا بفعل غضب ولا هزيمة ولانصر، إذ لكلك واحد من هذه الحالات سكرته وجهالته.

<<الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ>> فيحكم قيادتها، يدفعها حين يكون الإندفاع حكيماً، ويلجمها حين يكون الانكفاء حكيماً، فهي بيده، يقيدها بقيد الحكمة والعقل، فلا تنفلت منه كانفلات الكلب العقور وأوابر الدواب.

في رحلة الجهاد وأنت تملك بعض "الشدة" تُستفَزّ لفعل لا قوام له سوى الغضب، ولا يحقق سوى المنفعة للخصم كما يستز الثور الأحمق في لعبة الموت، فيحرك الخصم له بعض القماش وقد وضع أسياف الموت في جنبه، ففي هياجه الغبي وحركته هلكتُه وموته، والداعي والمجاهد بصير بما عليه من قوة، وبصير بما عليه الخصم من قوة، ولذلك هو يحكم قيادة أفعاله لا لتنفجر كالقنبلة لا تحقق وراءها سوى الخراب، بل هو يبني وحين يهدم يكون في سبيل البناء، وكل فعل لا يقدم الإسلام إلى الأمام فتركه واجب، وإني أخاف أشد الخوف من تلك العقلية التي تعجز عن البناء فتهرب إلى الموت، وهذه عقلية صبيانية يحكمها الغضب الجاهلي وسعار الانتقام تحت دعوى محبة الجنة والرغبة في الدار الآخرة، وهذه إن كانت محتملة من الصغار فإنها جريمة كبرى من القادة والأئمة ورعاة المسيرة لأن هؤلاء لا تحكمهم اللحظة الزمانية الراهنة بل يحكمهم منطق التاريخ بعمقه الطويل، والمستقبل الذي قوام التعامل معه مقولة علي

== بِذِي قَرَدٍ – قَالَ – فَلَقِيَنِي غُلاَمٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا قَالَ: غَطَفَانُ قال فَصَرَخْتُ ثَلاَث صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهْ. قال فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لاَبَتَىِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ بِذِي قَرَدٍ وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي وَكُنْتُ رَامِيًا وَأَقُولُ: أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ فَأَرْتَجِزُ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلاَثِينَ بُرْدَةً – قَالَ – وَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَالنَّاسُ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ فَابْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ فَقَالَ: <<يَا ابْنَ الأَكْوَعِ مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ>>. – قَالَ – ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ>>. انتهى.

رضي الله عنه: "واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً"(1).

السير نحو الموت خيار جائئ في حالتين فقط: أولاهما: حين لا يكون سوى الموت خياراً، فإما أن تموت ذليلاً وإما أن تموت شهيداً فحينها تتحقق المقولة الأخدودية الخالدة : <<يا أماه اصبري فإنك على الحق >>(2) وحينها يقتحم الأخدود، وهذه لا فرق فيها بين القادة والقاعدة بل هي خيار للجميع والمختلف عنها ناقص، و الثانية: للقواعد المجاهدة ممن رصدوا للنكاية من منظور شرعي ومصلحة راجحة، ثم إن هذا الفعل ليس إلا استثناء لا قاعدة.

الغضب يولد حركات انتقام، وهي حركات لا قيمة لها في حركة الشهادة على الخلق إلا ما كان لله تعالى، وهي حركات مكشوفة للناس أن أبعادها شخصية ودوافعها الهوى وبالتالي تفقد الدعوة نورها الساري فيها أن القوم إنما ينتصرون لدين الله الذي يحملون همومه وقضاياه، وحركات الغضب حركات فيها الطيش والانفلات عن قيود الشرع والدين وغلبة الصغار الذين هم أشد صراخاً وفيهم قلة عقل من غيرهم، وهذه بمجرد وقوعها فإنها كالشرر الذي لا يعرف العقلاء مواطنه ولا آثاره ونتائجه، وكل ذلك شر وبيل في رحلة الشهادة على الخلق.

الغضب يعني غياب الإدارة العالمة ويعني غياب الوعي عن النتائج، ويعني غلبة الهوى، ولا يُمدح إلا إن كان لله تعالى فهو حينئذ محكوم بقيم الشرع والعقل، ولكن كثيراً ما يتقنع الغضب الشهواني بقناع الشريعة وتلك بدعة

(1) ذكرهُ الشيخ الألباني رحمهُ الله في كتاب إصلاح المساجد وقال : ليس لهُ اصلٌ (ص 68) . (2) ذكره الذهبي في كتاب العرش ص (70) وقال حديث حسن ، ولفظهُ عنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<مررت ليلة أسري بي برائحة طيبة، فقلت لجبريل ما هذه <<الرائحة الطيبة ؟>> فقال ماشطة بنت فرعون، كانت تمشطها، فوقع المشط من يدها فقالت باسم الله ، فقالت ابنة فرعون : أبي، قالت: ربي ، ورب أبيك، قالت أقول له إذا، قالت قولي له، فقال له: أولك رب غيري ؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السماء فأحمي لها بنقرة من نحاس، فألقى ولدها، واحدا، واحدا فكان آخرهم صبي، فقال يا أماه اصبري فإنك على الحق >> . انتهى .

عظيمة من بدع الأمم والجماعات.



الحديث التاسع والعشرون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَذْفِ. وقَالَ: <<إِنَّهُ لاَ يَنْكَأُ الْعَدُوَّ وَلاَ يَقْتُلُ الصَّيْدَ وَلَكِنَّهُ يَكْسِرُ السِّنَّ وَيَفْقَأُ الْعَيْنَ>>(1) .

من استمرأ الهوان ذهبت إلى غيره العوالي، وجاء رجل إلى الإمام أحمد فقال : جئتك "بجويجة"، فقال له : إبحث لها عن رجيل، فحين يقع الصراع على أساس القيم والدين فليس إلا النهايات مطلب صحيح، وإلا فا لهلكة، والذين يشرعون في الصدام ولا يتوقعون السحق هم جهلة بسنن الحياة ومسيرة التاريخ، فالذين يفقؤون العين ويكسرون السن ويُبْقون على قوة خصمهم بعين يتركونها وأسنان قاطعة أخرى سيرتد عليهم جهلهم وتنقلب غفلتهم دماراً سيندمون عليه .

حين ترمي حجراً على خصمك لتقيس قوته وتقول : أريد أن أؤلمه لأرى ردة فعله، وأنت تتعامل بمنطق الجهاد والقتال فأنت بحق سفيه حقيق بك الدمار والهلكة، فمثل هذه الأمور لا تحتمل هذه اللعبة السخيفة ولا هذه

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الذبائح والصيد باب الخذف والبندقة (ح 5479) وفي كتاب التفسير باب ﴿إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ (ح 4841) وفي كتاب الأدب باب النهي عن الخذف (ح 6220) ، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو ، وكراهة الخذف (المنهاج ح 5023 ـ 5024 ـ 5025 ـ 5026 ـ 5027) وأبو داود في كتاب الأدب باب في الخذف (ح 5270) والنسائي في كتاب القسامة باب دية جنين المرأة (ح 4830) مختصراً ، وابن ماجة في كتاب الصيد باب النهي عن الخذف (ح 3226 ـ 3227) . ولفظ الحديث كما جاء عند مسلم قال عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ قَرِيبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ – قَالَ: فَنَهَاهُ وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : نَهَى عَنِ الْخَذْفِ وَقَالَ : <<إِنَّهَا لاَ تَصِيدُ صَيْدًا وَلاَ تَنْكَأُ عَدُوًّا وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ>> . قَالَ فَعَادَ . فَقَالَ أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْهُ ثُمَّ تَخْذِفُ لاَ أُكَلِّمُكَ أَبَدًا >> . انتهى .

الاحتمالات العقلية التي هي أحق بالكلمات والحروف لا بالأرواح والدماء وموازين القوى.

حين تقرأ تجارب بعض العاملين لدين الله تعالى ترى جهالتهم ال عجيبة في سنن المواجهة والصراع، فهم يرمون "حجارة" يؤلمون بها الخصم من خلال استعراض صور وكلمات وأعداد لا عدة لها، فما هي إلا أن يصاب الخصم بـ"السعار" وتلك طبيعته، فيبطش بطشته المؤلمة التي لا تبقي ولا تذر، ولا يدري هذا المسكين "المستعرض" برمي الحجارة أن هذه طبيعة الحياة وقانون الوجود.

إياك أن تؤلم خصمك استعراضاً بلا نكاية، فالحياة لا تحتمل هذا اللعب، فإما الفعل السنني الملائم وإلا فالترك هو الواجب، فالذين يرمون النمر ويجرحونه دون الإجهاز عليه سيبكون على هذه الإثارة الغبية في العاقبة.

<<الخَذْف>> لعبة الصغار، صغار العقول، فيها متعة الاستعراض والتمثيل في باب من أبواب الحياة لا ينفع فيه إلا الجد، ولا قيمة فيه إلا للقتل والنكاية، والأسلحة إن شرعت من أغمادها يعني أنك سمحت لخصمك أن يأخذك بأشد ما يملك، فلا تقولن حينها لم أتوقع ذلك، أو أن ردة فعله فوق اللازم، فهذه تخمينات الجهال الصغار الذي لا مكان لهم في الحروب إنما هم لاعبون بل لاعبون صغار جهلة، ومن عجائب البعض أنهم يلقون الكلمات الكبار استعراضاً وتهديداً وليسوا من أهلها وإنما جلّ فعلهم أن يثيروا الخصوم إثارة التدمير والهلكة.

<<الخَذْف>> منهج عقلي فاسد، يتعامل مع الاحتمالات القريبة كفقء العين وكسر السن، مع أن المطلوب هو النكاية وقتل الصيد، ومنهج يتعامل مع الجد الذي لا جد بعده بلعب صبياني جاهل، وهو "تشيئ" أي جمع بين أشياء متعارضة، فـ(الخَذْف) قد تريد منه اللعب والإستعراض والمتعة، لكن بأدوات مؤذية لا تتناسب مع روح اللعب والمتعة والإستعراض، فتفقأ عين أخيك وتكسر سنه، وقد تريد منه (الخَذْف) القتال لكن بأدوات لا تصل إلى مستوى جد القتال لأنه لا يقتل الصيد ولا يكسر السن، فإما أن تريد اللعب فتلعب بأدوات اللعب، وإما أن تريد الجهاد والقتال، وللقتال أدواته وآلاته، أما هذا "التشيء" فهو لا يتناسب مع سنن الحياة وضروراتها، ولكن كثيراً ما يرى هذا "التشيئ – الخذف" في حركة الجماعات والأمم، فيؤذون أنفسهم وإخوانهم، فبالله عليكم ماذا تقولون فيمن يستعرض الصدور

العارية صراخاً وتهديداً أمام الجيوش المدججة بالسلاح والحقد ؟ فهل هؤلاء إلا لاعبون لع بة الدماء والأرواح في غير طريقها ؟ وهل أرواح المسلمين تهون لهذه الدرجة؟ وهل الدماء رخيصة لتكون سبيلاً لإثارة شفقة العلم الذي لا يعرف إلا لغة القوة والخوف؟ !

يا أهل الإسلام إياكم و (الخَذْف)، وأعرضوا قدر الاستطاعة عن الإستعراض الرخيص والمناورات الخاوية في أبواب الحياة وخاصة باب الجهاد والقتال والدعوة إلى الله تعالى فإن الأمر جد كله لا لغو فيه وباطل.



الحديث الثلاثون

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ : <<نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ>>[1] .

الوعود الإلهية جليلة عظيمة، وهي تكاليف شرعية على الأمة، يجب أن تسعى إليها لتبلغها، ولكن هيهات أن تكون تكاليف النهايات هي حمل البدايات، فظالم لنفسه من لم يعرف قدره ووسعه، إذ في ذلك هلكته، فمن حكمة العقلاء وهي سنن الأنبياء معرفة ظروف الحلقة التاريخية التي يعيشونها، وما هي متطلباتها ووسعهم فيها، وتجاوز ذلك ما لم يكلفه الله تعالى، وفي المعصية الزلل والهزيمة، فلا يصلح للخلق إلا ما كلفهم الله به، ولم يكلف الله تكليفاً إلا وشرطه القدرة، وتكليف ما لا يستطيعه المرء خارج عن حكمة الشرع والعقل.

السيرة النبوية هي النموذج الحي في إمكانية بلوغ الغايات العظيمة والنهائية من البداية، ودون التخلي في كل مراحل المسيرة عن قيم الحق ومبادئه، وكان الشرط المصاحب لكل النجاحات في كل مراحل السيرة هو تجنب الهلكة وذلك في ترك التكلف، إذ وضع النفس في الموضع الغلط هو الذي يحقق السحق والهزيمة والتعوق، فحين جاء السيل هادراً في الأحزاب لم يواجهوه بشواخص بارزة، ولم يخوضوا حرب مواجهة كبرى مع الجميع في موقعة واحدة، بل هو بناء صبور بحسب الوسع والقدرة، وحين يدعون إلى مرحمة بلا خيانة لم يترددوا في اغتنامها، وحين يحضر موطن الحرب فلا هذر ولا مخاتلة، وحين يكون الحوار فلا وجود إلا للكلمة الحسنة والموعظة الرقيقة، فلا يذهبون بعيداً والماء تحت أقدامهم، فلم تستفزهم الوعود العظيمة بفتح فارس والروم أن يرموا أنفسهم في قضايا أعظم من وسعهم في كل مرحلة، بل كان التعامل مع كل مرحلة ضمن ظروفها لا من خلال الوعود الإلهية بأخذ المشرق والمغرب، ولعل في حادثة صلح الحديبية عبرة وعظة في التوفيق بين الوعود وبين القدرات الظرفية، إذ كان الوعد بالفتح حاضراً، فظن

---

[1] أخرجهُ البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه (ح 6749) .

الصحابة أن حضور الوعد يعني الذهاب إليه مباشرة مع تجاوز الظرف التاريخي، وفي ذلك مصادمة للسنن التي أوجب الله على البشر العيش من خلالها، والهدي النبوي هو هدي السنن، والهدي معناه عمل البشر الملائم للتكوين ، وبذلك يقع النجاح، هذه قضية يجب على العاملين لدين الله تعالى أن يفقهوها، وهو أن الشرع ليس فيه قط ما يسمح بتجاوز سنن الخلق والتكوين في النفس والمجتمع والطبائع، إذ يظن البعض أن الشرع يعطي صاحبه والعامل به قوة خاصة تجعله يتجاوز السنن التكوينية، وكأن الحياة م ع المسلمين هي الكرامة المتواصلة الخارقة للعادة، ولعمر الله هذا هو أبطل الباطل، ومما يؤسف له أن الحديث الدائر حول الوعود الإلهية وبركات الشرع كله يدور حول هذا الإطار، وهو أن السنن التكوينية تكسر وتتغير للعامل بالشرع والعابد لربه والذاكر له، فيا ويح هذا التص ور كم أفسد من عقول وكم أوقع المسلمين في الهزيمة والهلكة، ويسبغ البعض على هذه التصورات الباطلة آيات قرآنية يضعونها في غير موضعها كقوله تعالى : ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ البقرة، وكقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ غافر(1)، ويتجاوزون معنى الغلبة والنصر الملائم للظرف، فإن الله سمى نجاة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من القتل في حادثة الهجرة نصراً فقال : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾ التوبة، وسمى خروج إبراهيم عليه السلام م ن النار سالماً نصراً فقال : ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ الأنبياء ، وسمى نجاة نوح عليه السلام وهلكة قومه نصراً فقال : ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ العنكبوت، وقد فعل سبحانه، وهكذا النصر والهزيمة أمران اعتباريان بحسب الحلقة التاريخية وليس لهما مفهوم مطلق في الوجو د، والمقصود هو التنبيه على أن العامل لدين الله تعالى لا يجوز له أن يحمل حملاً أثقل مما آتاه الله من الوسع والقدرة اتكالاً على الوعود

---

(1) أصل الآية مكتبة بلفظ: (إنا لننصر رسلنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة) والظاهر أنهُ سهٌ من الشيخ حفظه الله و الصواب ما أثبتناهُ والله أعلم . انتهى .

النهائية العظيمة، فإن السنن التكوينية لا تحابي أحداً وعبادة الله لا تعطي المرء حالة خاصة ولا قدرة خاصة يقفز بها عن هذه السنن التي من عدل الله أن تجري على الكل بلا محاباة، والحق معناه موافقة التشريع للتكوين، ف الخبر موافق للحدث، والأمر موافق للغايات، وبهذا عرف العقلاء صدق النبوة المحمدية وما أتت به.

التكلف هو الذهاب أبعد من القدرات، وأبعد من المطلوب، والمطلوب في الشرع موافق للقدرات، والذاهب بعيداً وإن سار قليلاً فمآله الانقطاع والهزيمة، ومن سيئات هذا التكلف عند الطوائف العاملة لدين الله تعالى أنه أدنى إلى شر سلبي عند طائفة بأن جعلها تتنازل عن بعض المبادئ والقيم، إذ من تحمَّل فوق الطاقة حاله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: <<اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ >>(1)، وحين سُئل عن شر ا لمغرم –والمغرم هو الدَّين الذي تحمله المرء– قال<<إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ >> ، وهكذا هؤلاء الناس حملوا أنفسهم فوق طاقتهم فتحالفوا مع الكفر وتنازلوا له عن الكثير من الدين والحق، ففي سبيل الوصول للوعود من النصر والتمكين فعلوا الكثير من الشر وضاعت قيم الحق التي قاموا من أجلها تحت وطأة الهدف من التمكين، حتى صارت صورتهم في أذهان الناس على صورة غيرهم من أهل الجاهلية لسلوكهم سبيلهم، وهذا التكلف عند طائفة اخرى وذهبوا دون تحقيق الوعود، وإنّما غرّهم ثقتهم بأنفسهم المبنية على الوهم لا الحقائق، وعجيب من هؤلاء أن يوجبوا على الله أن يحقق عليهم الوعود في المكان والوقت الذي يريدونه دون احترام للسنن أو عمل كافٍ

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام (ح 832) وفي كتاب الإستقراض باب من استعاذ من الدي ن (ح 2397) مختصراً ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منهُ في الصلاة (المنهاج ح 1325) ، وأبو داود في كتاب الصلاة باب الدعاء في الصلاة (ح 880) ، والنسائي في كتاب السهو باب نوعٌ آخر (ح 1308) ، ولفظ الحديث أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ : <<اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ>> . قَالَتْ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: <<إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ>> . انتهى .

لموجباتها . فاللهم رحماك.

التكلف معصية في الشرع ومعصية في القدر، فلهم في الدنيا الهلكة والفساد، وفي الآخرة حالهم حال المبتد ع

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ الكهف.



الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَهُ ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ ﴾ ﴿260﴾ البقرة. >>(1) .

إنّي لأُشهِد الله وملائكته ومن قرأ كلامي هذا أنني ما قلبت حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم إلا وتأخذني قشعريرة النور، فأتخيل نفسي وكأن بين يدي جوهرة تخرج منها أنوار جميلة من كل جهاتها لا أدري من أين آتيها، فتصيبني الحيرة للحظات بل ومرات لأيام فأقول لنفسي دعك من الكتابة، وقف عند التأمل فحسب، فإن ما ستكتبه ظلمة تجلل بها هذا النور، وماذا ستبلغ في كتابتك من هذه المعاني مع هذه الحِزم الرائعة البديعة، لأني حين أترك القلم مع الحديث أعود على نفسي بالتحقير والتأنيب: ماذا فعلت؟ أين في كلامك ما أحسست به من المعاني، فأجد كلاماً فارغاً مُحبَطاً لا روح فيه، ليس أمام الحديث، بل أمام ما أحسست به فقط من المعاني التي غشيتني من نوره فا للهم يا رحيم اجز عني وعن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعن العالم أجمع نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خير ما جزيت نبياً عن أمته خيراً، وبرحمتك يا خير الراحمين وخير الغافرين احشرني تحت لوائه يوم القيامة. آمين.

ماذا أقول في هذا الحديث النواراني العظيم؟، هل أقول لكم أني مع هذا الحديث تخيلت رسول الله صلى الله

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب التفسير باب ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾(ح 4537)، ومسلم في كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب تظاهر الأدلة (المنهاج ح 380) وفي كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (المنهاج ح 6094) وابن ماجة في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (ح 4026) . انتهى .

عليه وسلم بقامة مديدة من عظمة وإمامة، على ربوة من قيادة وحكمة وعلم، يستعرض من مسيرة العظماء من إخوانه، فيسدد، ويقدم ويؤخر في المسيرة، قاطفاً لأمته خير الخيرين وأعظم الهدايتين، مرشداً ومعلماً ورحيماً ورؤوفاً؟!.

ماذا أقول لكم: تأملوا معي غوص هذا الكلام في ثنايا النفوس، لا النفوس التي تعيش على هامش الحياة بل الغوص في النفوس التي تمتلئ بجواهر المعاني ودرر الحكم وتجارب السنين وأنوار الإيمان.

هل أقول لكم: قفوا صحبي على مطيكم وانظروا طويلاً:

<<يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد>>: في لحظة عصيبة، تفجر فيها الأمل من نفس طاهرة وهي ترى وحوشاً بهيمية تتدافع نحو النجاسات لتلغ فيها، وتعرض عليها الطاهرات فتتأفف منها، وتجادل بألفاظ الحق ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ هود، فيلتفت الرجل الطاهر بغيظ مرهق، وأيد تلوح في الهواء، وبدن يهتز كجمرة، يريد أن يصرخ مستنجداً بوادي رجال فلا يرى إلا يديه الفارغتين، فيتأوه مع صرخة مؤلمة، وجارحة لجوفه وفؤاده، مع دمعة حزن وقهر وغيظ، فتخرج منه كلمات تعبة مهدودة: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ ﴾ هود، لقد قصها القرآن ولم يعاتب صاحبها، وكيف يُعاتَب المذهول بالقهر، قهر النجس المتمكن للطاهر الضعيف؟

توقف أيها المراقب: هذا حديث مراتب، إنه حديث المعاني، حديث الأرواح الصاعدة المتسابقة في صعد النور العلوية الرفيعة، فإياك أن تتعامل معها حديث الحدود فتذهب عنك روعتها وبهاء قسماتها.

نعم لم يكن يملك لوط عليه السلام قوة، لكنه كان يأوي إلى ركن شديد وهو الله القوي العزيز.

إنه الإرشاد النبوي اللطيف، إرشاد لك أيها السائر على درب الأنبياء في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله تعالى، إنه إذا ضاقت بك السبل، وأطبقت عليك الحوادث من كل أقطارها، وغشيتك الغمرات العاتية، حينها تذكر

ركنك الشديد فتأوي إليه وتلتجئ إليه : <<اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ منك إلا إليك>>(1) باكياً شاكياً منيباً أواهاً ضعيفاً .

أخي: لا تثريب على النفوس إن ضاقت وأغلقت عليها الأمور، فالفرِج يقول غالطاً : <<اللهم أنت عبدي وأنا ربك>>(2)، والحزين ينسى كما نسيت أم موسى عليه السلام ما أوحى الله لها : ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ ، لكن الشوق إلى فلذة كبدها وحشاشة نفسها ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾ فترسل أخته لتتبع أثره أين يكون مستقره : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۝١١﴾القصص، ما عوقبت ولا قيل لها : أنسيت وعد الله أن نرده إليك حتى أرسلت أخته وراءه، لا يا عبد الله هذه مواطن لا تثريب فيها على السالكين وقد علم الله من أهلها حبهم لدين الله تعالى وانتصارهم للحق، وإيثارهم

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الوضوء باب فضل من مات على وضوء (ح 247) وفي كتاب الدعوات باب إذا بات طاهراً (ح 6311 ـ 6313) وفي كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (166) ﴾(ح 7488)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (المنهاج ح 6820 .. 6821 ـ 6822 ـ 6823 ـ 6824)، وأبو داود في كتاب الأدب باب ما يقول عند النوم (ح 5046 ـ 5047 ـ 5048)، والترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراش ه (ح 3394) تعليقاً، وفي باب (117) (ح 3574) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الدعوات باب التوبة (ح 6308 ـ 6309)، ومسلم في كتاب التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها (المنهاج ح 6887 ـ 6888 ـ 6889 ـ 6890 ـ 6891 ـ 6892 ـ 6893 ـ 6894) ، والترمذي في كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والإستغفار (ح 3538)، ولفظ الحديث عند مسلم عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، – وَهُوَ عَمُّهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: <<لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ . أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ>> . انتهى .

للدين على ما سواه، ألم يقل الحبيب المصطفى لما أمر بالصدقة فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس بن عبد المطلب فقال الحبيب: <<ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله ، وأما خالد بن الوليد فإنكم تظلمون خالداً ، قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله ، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي عليه صدقة ومثلها معها >>(1) ، فانظر أخي الفقيه كيف ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفعل الواحد إلى مراتب متعددة بحسب الناس ومنازلهم، فأما ابن جميل فعوتب، وفي المعاتبة تقريع وتأنيب، وأما خالد بن الوليد ففي ربوة أخرى إذ كيف يمنع الرجل زكاة ماله وهو الذي حبس كل ماله للجهاد ! ! إذا دعوا أمر فإن من أتى العوالي لا يسأل عن أدنى منها ، وأما العباس فهو العم الذي لا يعاتب وفي الوسع تحمّل ما يأتي، فدعوه وأنا أدفع لكم ما وجب عليه بل ومثلها معها ، وهكذا هي حكمة النبوة ونورها وهديها ، لا يفقهها الصغار الجهلة الذين يقفون عند الظواهر فحسب.

<<ولو لبثت في السّجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي>>: يوسف عليه السلام هو أكرم الناس فهو الكريم بن الكريم بن الكريم، لبث في السجن بضع سنين ظلماً وعدواناً ، ليس له من ذنب إلا أنه بهيّ الطلعة، حاز على نصف الحسن الذي كان في أبيه آدم عليه السلام، لم يوافق عصبة المكر من النساء على الفاحشة، فكان الحل الشيطاني لهذه المعضلة هو سجنه، ولائحة الإدعاء : أنت رجل جميل وطاهر، وكأنهم يقولون: نحن نعلم ما عليه القوم في بلدنا مصر من الفاحشة لكن طهرك يفضح هذه القذارات، إذاً لنسجنن حسنك وطهرك وهكذا كان .

ومرت عليه السنون صابراً محتسباً، ومن لم يذق القيد ووحدة السجن ظلماً ما كان له أن يتكلم أو يقول في هذا الباب، فالسجين يمضي أيامه خلف الباب ينتظر حساً ليشعر أنه حي:

إذا جاءنا السّجان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدّنيا

نعم: يقف خلف الباب لعل شيئًا من الحياة تدخل عليه في وحدته، فكيف إذا جاءه من يقول له : إن الملك يريد أن يراك ويسمع منك؟ !

أي ثبات جبلي في نفس هذا الكريم بن الكريم بن الكريم؟!

أي اطمئنان حازه هذا الصدر فلا يتحرك له قدم لهذه الدعوة الملكية، بل يقول وهو في مجلسه، ولم يفك حبوته:

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴿٥٠﴾﴾.

فإن سألك أين المفتي فقل له:

﴿مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾﴾ يوسف.

هذه قضية، قضية تاريخ يجب أن يعاد فتحه من أوله، فأنا لا أنتظر عفواً مغموساً بالكذب يثبت الجرم الشائع على الألسن مع إقرار القلوب بكذبه.

أيها الملك: لقد مرّ الكثير من الماء من تحت قدميك وأنت لا تشعر، فإن أردت كتاباً جديداً فأعد كتابة التاريخ بلا تزوير ومن بدايته.

يوسف عليه السلام لم يكن واقفاً خلف الباب، بل كان واقفاً في النور.

هنا يأتي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ل يقول: <<لو دعيت لأجبت >>، إنه خيار آخر، خيار التشريع والإمامة والإقتداء، إذ الحبيب يعلم أن ما سيفعله سيكون تشريعاً لأمته، وهو الرحيم بها، لا يحملها إلا ما يحمل الضعيف فيها.

خيار يوسف عليه السلام خيار لنفسه، ومن كان كذلك فليضع نفسه حيث قدر، وأما خيار محمد صل ى الله عليه وسلم فهو خيار لأمته، ومن كان كذلك فإنه لا يختار إلا اليسر، فحين تكون لوحدك كن أبا بصير إن شئت، أشعل حروباً كما تريد، واقطع على الكافرين كل سبلهم، واجمع حولك أمثالك من أهل الصعلكة الإيمانية فالتحف السماء نهاراً والنجوم ليلاً، وافترش رمال الصحراء لجنبك، لكن ليس هذا خيار دولة، ولا خيار القائد لأمة، بل خياره أن يعطي الكافرين ما يحبون من مطالب ليس فيها معصية، ويضع معهم العقود والصلح، ويغضب السابقون

ويصرخون: مالكم . . . هيا الحقوا بنا، ولكن ما كان لقائد أمة ولا حاكم دولة أن يجري هذا الجري ويسبق هذا السبق في قرارات أمته كاملة، بل يتمهل ليلحق الجميع، ويكون الخيار واسعاً للكل .

يوسف الكريم لم يجب، ومن حقه أن ينبش كل القضايا، وأن تكشف كل الأمور، وأن يجلس في السجن مختاراً، لكن خيار الحبيب وهو يكتب صلح الحديبية فينازعه سهيل بن عمرو على حق له وأنه محمد رسول الله فيقول سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، فيقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: <<والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبدالله >> ذلك هو الذي قال : <<لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها>>(1) . إنه خيار الإمامة والقيادة لا خيار المنفرد

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الصلح باب كيف يكتب : هذا ما صالح فُلان بنُ فلانَ بنُفلان . وأن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه (ح 2698) ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية (المنهاج ح 4605 ـ 4606) ، وأبو داود في كتاب المناسك باب المحرم يحمل السلاح (ح 1832) مختصراً . ولفظ هذه الرواة عند البخاري في كتاب الصلح حيث قال البخاري عَن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيث صَاحِبِهِ قَالَ : <<خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، حَتَّى كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " اِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ " . فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى اِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ صل ى الله عليه وسلم حَتَّى اِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ . فَقَالَ النَّاسُ حَلْ حَلْ . فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَ دِهِ لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ اِلاَّ اَعْطَيْتُهُمْ اِيَّاهَا " . ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِاَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ اِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ س هْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ اَمَرَهُمْ اَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَ نْهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، اِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ اَهْ لِ تِهَامَةَ، فَقَالَ اِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَىٍّ نَزَلُوا اَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه

وسلم " إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ " . فَقَالَ بُدَيْلٌ سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ. قَالَ فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا قَالَ إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلاً، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَىْءٍ. وَقَالَ ذَوُو الرَّأْىِ مِنْهُمْ هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ. قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم. فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَىْ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ قَالُوا بَلَى. قَالَ أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ قَالُوا بَلَى. قَالَ فَهَلْ تَتَّهِمُونِي. قَالُوا لاَ. قَالَ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَىَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي قَالُوا بَلَى. قَالَ فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ. قَالُوا ائْتِهِ. فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَىْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ امْصُصْ بَظْرَ اللاَّتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ فَقَالَ مَنْ ذَا قَالُوا أَبُو بَكْرٍ. قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ. قَالَ وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا قَالُوا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَقَالَ أَىْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَىْءٍ " . ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَيْنَيْهِ. قَالَ فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَىْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، فَاقْبَلُوهَا. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ دَعُونِي آتِيهِ. فَقَالُوا ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم " هَذَا فُلاَنٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ " . فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاَءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ. فَقَالَ دَعُونِي آتِهِ . فَقَالُوا ائْتِهِ . فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ " . فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. قَالَ مَعْمَرٌ فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ " . قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ هَاتِ، اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " . قَالَ سُهَيْلٌ أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ . كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ. فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ وَاللَّهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلاَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ " . ثُمَّ قَالَ " هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ " . فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي. اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ " . قَالَ الزُّهْرِيُّ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ " لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا " . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ " . فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لاَ تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ، إِلاَّ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا . قَالَ الْمُسْلِمُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَىَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ " . قَالَ فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَىْءٍ أَبَدًا . قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " فَأَجِزْهُ لِي " . قَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ. قَالَ " بَلَى، فَافْعَلْ " . قَالَ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . قَالَ مِكْرَزٌ بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ . قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ أَىْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ . قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ " بَلَى " . قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ " بَلَى " . قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ " إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهْوَ نَاصِرِي " . قُلْتُ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ " بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ " . قَالَ قُلْتُ لاَ . قَالَ " فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ " . قَالَ فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى. قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى. قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ،

اِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ولَيس يَعْصِي رَبَّهُ وَهْوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ اِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ اَلَيس كَانَ يُحَدِّثُنَا اَنَّا سَنَاْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى، اَفَاَخْبَرَكَ اَنَّكَ تَاْتِيهِ الْعَامَ قُلْتُ لاَ. قَالَ فَاِنَّكَ اٰتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. قَالَ الزُّهْرِيّ قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ اَعْمَالاً. قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لاَصْحَابِهِ " قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا ". قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ اَحَدٌ دَخَلَ عَلَى اُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ. فَقَالَتْ اُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، اَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ اَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ اَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَاَوْا ذَلِكَ، قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَاَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَاَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ اِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ اَبِي سُفْيَانَ، وَالاُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ اُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم اِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ اَبُو بَصِيرٍ. رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ. وَهْوَ مُسْلِمٌ فَاَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا. فَدَفَعَهُ اِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَاْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ اَبُو بَصِيرٍ لاَحَدِ الرَّجُلَيْنِ وَاللَّهِ اِنِّي لاَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلاَنُ جَيِّدًا. فَاسْتَلَّهُ الاٰخَرُ فَقَالَ اَجَلْ، وَاللَّهِ اِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ. فَقَالَ اَبُو بَصِيرٍ اَرِنِي اَنْظُرْ اِلَيْهِ، فَاَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الاٰخَرُ، حَتَّى اَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَاٰهُ " لَقَدْ رَاَى هَذَا ذُعْرًا ". فَلَمَّا انْتَهَى اِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَاِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ اَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ اَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي اِلَيْهِمْ ثُمَّ اَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " وَيْلُ اُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ اَحَدٌ ". فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ اَنَّهُ سَيَرُدُّهُ اِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى اَتَى سِيفَ الْبَحْرِ. قَالَ وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ اَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِاَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ اَسْلَمَ اِلاَّ لَحِقَ بِاَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ اِلَى الشَّاْمِ اِلاَّ اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ، وَاَخَذُوا اَمْوَالَهُمْ، فَاَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ اِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا اَرْسَلَ، فَمَنْ اَتَاهُ فَهْوَ اٰمِنٌ، فَاَرْسَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم اِلَيْهِمْ، فَاَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ اَنْ اَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ اَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا اَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ>>. انتهى.

المتحلل من التبعات.

ثم تأمل الأدب النبوي الرفيع، فحين ذكر ما قال لوط عليه السلام لم يذكر نفسه، إذ في ذكر نفسه تزكية لها وتفضيلاً لها على أخ من إخوانه، وهو كذلك صلى الله عليه وسلم، أما حين ذكر اليسر قال : <<لَبِثْتُ . . . لأَجَبْتُ >>، فقد ذكر ههنا نفسه إذ ليس في ذلك تقدمة ولا تفضيلاً، فصلى الله على الحبيب عدد خلق الله وعدد رزق الله ومداد كلمات الله وزنة عرش الله.

<<وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَهُ ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ ﴿260﴾﴾ البقرة. >>أخي الفطن: هل رأيت أيوب عليه السلام وهو يغتسل عارياً فتنزل عليه أسراب الجراد ذهباً، فقفز عليه السلام إلى ثوبه يبسطه ليجمع فيه الذهب الآتي من السماء، فيناديه ربه : <<يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ !>> إذ قد حزت ما هو أفضل من الذهب هذا، وإنه لسؤال من ربنا، سؤال الحب والوداد وهو الودود، وحوار المحبين ليكشف الحبيب عن كنون صدر حبيبه، مناجاة تمت والعبد عار في موطن الحياء، فيرد العبد الحبيب بجواب الحب والالتفاتة التي تحمل كل الدلّ والطمع الحميد : <<بلى وعزتك، ولكن لا غنى لي عن بركتك>>[1]، فلن يخطر على بالي قط أني سأشبع مما يأتيني منك؟ فليس الباب معك باب الحقوق بل باب البركة، إذ كل ما يأتي منك فيه معنى لا أجده في غيره، لأنها البركة الربانية.

إنه حديث المحبين وحديث البسمات والغوص بعيداً عن الحدود والظواهر.

تأمل الفرق بين القلوب الصدئة التي تقول: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴿٥٥﴾﴾ البقرة، وبين القلب

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الغسل باب مَن اغْتَسَلَ عُرْيَانًا وَحْدَهُ فِي الْخَلْوَةِ، وَمَنْ تَسَتَّرَ فَالتَّسَتُّرُ أَفْضَلُ (ح 280) ولفظ الحديث وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : << بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ >> . انتهى.

الذي قيل له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾. فرد: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ ﴿٢٦٠﴾﴾ البقرة.

تأمل الفرق بين من قال : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾، فلما قيل لهم : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ المائدة، ردّوا باضطراب غير سويّ:

1. ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾
2. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾
3. ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾
4. ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ المائدة.

فالأكل أولاً ثم . . . وماذا ؟ : ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ وبين قول عيسى عليه السلام : ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ﴾.

1. ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾
2. ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾
3. ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ المائدة.

فانظر مراتب الطالبين للزيادة مع ثبات الأصل، وبين من علق الإيمان على شرط باطل، أو إضطراب في تصديقه حتى يرى.

إبراهيم عليه السلام آمن وسار في درب الإيمان ولكن لا غنى له عن البركة، وكذا من كان على درب الإيمان والجهاد والدعوة.

لا يعمل ليغفر له فقط ولكن يعمل شاكراً.

لا يحمد شاكراً لنعمة أتته، ولكن يحمد ربه لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

قف عند قوله صلى الله عليه وسلم <<اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك>>[1] ، هل ترى هذا الصعود في درجات الزهور والبركة ؟ <<أعوذ بك فيا منك>> .

فيا أيها العامل لدين الله عبادة لله : شمّر الساعد وجدّ في العمل وأخبت القلب وإياك أن تقول وصلت، واسبح ما قدرت في درجات النور والبركة، فأنت مع الله وبالله وفي الله، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

كن على يقين أنّك على الحق **ولكن** يجبٌ أن يريك إيّاه.

كن على يقين أنّك على الحق **ولكن اسأله** أن يريك ما يثبّتُ قلبك ويطمئنه.

كن على يقين أنّه لن يصيبك إلا ما كتب الله **ولكن اسأله** العفو والعافية.

كن على يقين أنّ عين الله تراك وترعاك **ولكن اسأله** أن يكشف لك حبّ المؤمنين وخبث المنافقين.

وفي كل حال إيّاك أن تنسى ذكر الله والدّار الآخرة.



(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (المنهاج ح 1090) ، وأبو داود في كتاب الصلاة باب في الدعاء في الركوع والسجود (ح 879) ، والنسائي في كتاب الطهارة باب ترك الوضوء من مس الرجل امرأته من غير شهوة (ح 169) ، وفي كتاب التطبيق باب نصب اقدمين في السجود (ح 1099)، وابن ماجة في كتاب الدعاء باب ما تعوذ منهُ رسول الله (ح 3841) ، وابن خزيمة في صحيحه باب ضم العقبين في السجود (ح 654) وفي باب باب نصب القدمين في السجود في خبر ابي هريرة عن عائشة فوقعت يدي على باطن قدميه وهما منتصبتان (ح 655) ولفظ الحديث عنده قالت عائشة زوج النبي : << فقدت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكان معي على فراشي فوجدته ساجدا راصا عقبيه مستقبلا باطراف اصابعه القبلة فسمعته يقول اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك اثني عليك لا ابلغ كل ما فيك فلما انصرف قال يا عائشة اخذك شيطانك فقالت امالك شيطان قال ما من ادمي الا له شيطان فقلت وانت يا رسول الله قال وانا ولكني دعوت الله عليه فاسلم >> . انتهى .

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ قَالَ : <<بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ قَالُوا لِعُمَرَ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا>> . فَبَكَى وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (1) .

مراعاة خواطر الأحبة خيل الوداد، ومعرفة نوازعهم حبل القياد، وبناء أمة الإسلام وجماعات الحق قائم على الاختيار ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴿٢٩﴾﴾ الكهف ، فلا سلامة لهذا البناء إلا بود عميق بين القادة والجموع، فلا ينظر القائد إلى حقه عليهم فقط بل ينظر إلى واجبهم عليه، فليحظ بدمعة العين وخفقة القلب وقشعريرة البدن منهم، فلا يزعج خواطرهم ولا يثقل عليهم بوطأة القيادة، حتى لو كان من أحب الناس إليهم، فإن النفوس تنفر من التهجم الكثيف الثقيل حتى لو كان مطراً من عسل، بل حاله معهم كنسمة الريح وعلى وجنة الطفلة البهية .

لا قيادة صائبة دون خبرة عميقة بالرجال، ومعرفة مستوياتهم وقدراتهم، ومراعاة هذه القدرات، فأبو ذر خير من أقلت الغبراء وأظلت الخضراء في صدق اللهجة منه لكنه ضعيف على الإمارة(2) في زمن الصحابة رضي

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب باب مَنَاقِبُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ رضى الله عنه (ح 3723 ـ 3724) ، وفي كتاب النكاح باب الغيرة (ح 5282)، وفي كتاب التعبير باب القصر في المنام (ح 1709 ـ 1710) .

(2) أخرج مسلم في كتاب الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (المنهاج ح 4696 ـ 4697) ، وأبو داود في كتاب الوصايا باب ما جاء في الدخول في الوصايا (ح 2868) والنسائي في كتاب الوصايا باب النهي عن الولاية على مال اليتيم (ح 3669) ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ أنهُ قَالَ :قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: << يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا >> . انتهى.

الله عنه، ويعلم منه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم قبول الحق وإن كان على خلاف ما يحب فيواجهه بذلك، ويعلم ضعف غيره عن الإمارة فيعرض عنه ويقول<<إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه>>(1) .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حبيب القلوب، يفديه صحبه بأرواحهم، وهو أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ومع ذلك يراعي خواطر أصحابه حتى ما يؤذيهم بشيء، بل يتودد لصغيرهم سائلاً إياه عن طائره اللاعب به << يا أبا عمير؛ ما فعل النغير>>(2) رقة تذوب لها الجبال، ويتودد لكبيرهم حتى يعرفوا ذلك منه أنه رقيق رفيق ليس بجبار يقول المسور بن مخرمة : قال لي أبي : يا بني إنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية فهو يقسمها ، فاذهب بنا إليه، فذهبنا ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في من زله، فقال لي : يا بني ادع لي النبي صلى الله عليه وسلم فأعظمت ذلك، فقلت : أدعو لك رسول الله؟ فقال : يا بني، إنه ليس بجبار، فدعوته فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب، فقال: (يا خرمة، هذا خبّأته لك)، فأعطاه إياه، قال المسور:

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الأحكام باب ما يكره من الحرص على الأمارة (ح 7149) ، ومسلم في كتاب الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (المنهاج ح 4695) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الأدب باب الإنبساط إلى الناس (ح 6129) مختصراً ، وفي باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل (ح 6203) ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز الجماعة في النافلة . . . (المنهاج ح 1498) ، والأدب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته (المنهاج ح 5587) وفي كتاب الفضائل باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً (المنهاج ح 5971) مختصراً ، والترمذي في كتاب الصلاة بـاب ما جاء في الصلاة على البسط (ح 333) ، وفي كتاب البر والصلة باب ما جاء في المزاح (ح 1989) مختصراً ، وابن ماجة في كتاب الأدب باب المزاح (ح 3720) . وللحديث الفاظ مختلفة ومنها ما جاء عند مسلم في كتاب الآداب عَنْ انَسِ بْنِ مَالِكٍرضي الله عنه قَالَ : << كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم احْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي اخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ احْسِبُهُ قَالَ - كَانَ فَطِيمًا - قَالَ - فَكَانَ اِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَاهُ قَالَ : << ابَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ >> . قَالَ فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ . انتهى.

فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال<<رضي مخرمة ! !>>[1] .

وكذا على المحبين أن يراعوا خواطر الكبار وحاجاتهم فلا يرهقونهم، فإن للناس حاجات مع أنفسهم وأهليهم، وقد عاتب الله أقواماً أكثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطالة الجلوس في بيته دون مراعاة حاجته لأهله وتفرغه لهم فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ ﴿٥٣﴾ ﴾الأحزاب، وهكذا تستقيم المعادلة بين القيادة والجموع، مبادلة حب بحب ووداد بوداد .

هذه الرحلة رحلة طاعة لله، رحلة تسجل فيها مقادير الذر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾الزلزل، رحلة فيها الكلمة ترفع صاحبها إلى أعلى الجنان أو تحطه إلى قرار الجحيم، رحلة فيها حركة يد على رأس يتيم بعطف تكفر السيئات، وبسمة في وجه الصديق تكتب في الميزان،

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الهبة باب كيف يقض العبد المتاع (ح 2599) وفي كتاب الشهادات باب شهادة الأعمى وأمره ونكاحهُ وإنكاحهِ ومبايعةوقبوله في التأذين . . .(ح 2657)، وفي كتاب فرض الخمس باب قسمة الإمام ما يقدم عليه ويخبأ لم ن لم يحضره أو غاب عنه (ح 3127)، وفي كتاب اللباس باب القباء وخروج حرير (ح 5800)، وفي باب المزرر بالذهب (ح 5862) تعليقاً، وفي كتاب الأدب باب المدارة مع الناس (ح 6132)، ومسلم في كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة (المنهاج ح 2429)، وأبو داود في كتاب اللباس باب ما جاء في الأقبية (ح 4028)، والترمذي في كتاب الأدب باب 53 (ح 2818)، والنسائي في كتاب الزينة باب لبس الأقبية (ح 5339)، ولفظ الحديث عند مسلم عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ : <<قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَقْبِيَةٌ فَقَالَ لِي أَبِي مَخْرَمَةُ انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ عَسَى أَنْ يُعْطِيَنَا مِنْهَا شَيْئًا . قَالَ فَقَامَ أَبِي عَلَى الْبَابِ فَتَكَلَّمَ فَعَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَوْتَهُ فَخَرَجَ وَمَعَهُ قَبَاءٌ وَهُوَ يُرِيهِ مَحَاسِنَهُ وَهُوَ يَقُولُ : << خَبَأْتُ هَذَا لَكَ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ>> . انتهى .

وجرعة ماء في فم كلب تدخل الجنة، ورفع حجر عن طريق المسلمين حسنة، وأمنية في القلب أن يصيب مسلم خيراً تحط سيئات، إنها رحلة لا تترك الشر حتى يعظم ولا تحتقر الخير مهما صغر، بل هي رحلة فيها رقة تشف حتى لا يخفى منها شيء، ولا يستبعد منها شيء.

ونفوس الخلق دقيقة الميزان تبهجها كلمة مارة، أو خفقة حانية، أو وجه بشوش يلاقيه، وتزعجها كلمة جافة أو إعراض وجه مهموم أو إلتفاتة خد بعيداً عند اللقاء، فهكذا الإنسان لا يباع قلبه ولا يتأثر بالجبال ولا بالقيود ولا بالأسوار، لكنه يأنف القياد ويوطئ النجاح للكلمة الحسنة والبسمة المشرقة والهدية مهما كان شأنها، فلا تحقرن شيئاً من هذا، ولا تكن غلظاً فَتَكْسِر وتُكْسَر بل كنسمة الهواء لا يحجبها شيء ولا يكرهها أحد إلا المريض.

وصفة نافعة:

عند السحر –فهو وقت التطبب الموصوف في الكتب– وأنت تغتسل بطهور الاستغفار، اخلط معه هذه الكلمات: "اللهم اغفر لي ولكل من أحسن إليّ من المسلمين، اللهم اغفر لي ولكل من آذيته من المسلمين وأنا ظالم له واجعل دعائي كفارة لذنبي وصلة بيني وبينه، اللهم اغفر لي ولكل من آذاني من المسلمين وهو ظالم لي".

كررها وأنت ساجداً ثلاثاً، ثم بسمة في الوجه عند لقاء الإخوان وكلمة حسنة تبيتها لهم وقد نقعتها بالفكرة، ستجد أن أموراً في حياتك قد صلحت، فإن زاد المرض فاشدد عليه بالهدية سيزول بإذن الله.

لكن إن لم ينفع كل هذا فتذكر: الأرواح جنود مجندة، وتذكر حب مغيث لبريرة وبغض بريرة لمغيث، وفي الجنة فقط تصلح القلوب من كل آفاتها.



الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : <<لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَىْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ>>(1) .

لا إثبات إلا بشرع صحيح أو قدر محسوس مضطرد، وخلاف ذلك أوهام وتخرص، وباب التديُّن البدعي فتح أبواب الأوهام على مدار التاريخ، وقضية ارتباط الغيب مع عالم الشهادة إن لم يضبط بضابط متين تحول إلى مرض يفسد العقول والحياة، والتوازن بين ما هو شرعي وما هو قدري تضبطه السنة النبوية وجريان السنن واضطرادها، فطغيان أحدهما على الآخر مزلة أوقعت الفرق العلمية والمتعبدة في ضلالات وانحرافات، فقوم أتقنوا الكونيات وراعوا سننها وضلوا في الشرعيات والإلهيات والغيبيات فحرموا التوفيق الإلهي، فساروا سعداء حيناً ثم وقع بهم المكر الإلهي، وقوم عظموا الإلهيات والشرعيات وضلوا في القدر والتكوين ولم يقيموا لسننها شأناً فحلت بهم عوامل التخلف والهزيمة والخرافة، وهذه الطائفة الثانية هي التي غلبت في تاريخنا زماناً فصرنا إلى ما صرنا إليه، ونحن نحسب أننا على شيء، إذ صار الحديث عن الطبائع الخَلقية والسنن الكونية باب مصادمة للدين وتعظيم الإله، والشيء إن فسد انقلب على نفسه بالهلكة، فبالتالي انقلب هذا التدين الجاهل حجة عند الزنادقة، إذ اعتبروا أن مصدر ما نحن فيه

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب القدر باب إلقاء العبد النذر إلى القدر (ح 6608) وفي كتاب الأيمان والنذر باب باب الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ وَقَوْلِهِ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ (ح 6775 ـ 6776 ـ 6777)، ومسلم في كتاب النذر باب النهي عن النذر وأنهُ لا يرد شيئاً (المهاج ح 4219)، وأبو داود في كتاب الأيمان والنذر باب النهي عن النذر (ح 3287)، والنسائي في كتاب الأيمان والنذر باب النهي عن النذر(ح 3810 ـ 3811)، وفي باب النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخر (ح 3812)، وابن ماجة في كتاب الكفارات باب ا لنهي عن النذر (ح 2122 ـ 2123) . انتهى.

هو الدين وقيم الحق الإلهية، وعيّروا أهل الإسلام أن غيرهم يعيشون في سعادة وبحبوحة، وذلك لجريان سنة التزيين لما أشرب القلب ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴿١٠٨﴾﴾ الأنعام، فالذين يعيشون على هامش الحياة ودائرة الهزيمة والخذلان يفتخرون أنهم يعلمون حقائق الكون وأسراره، ويسبحون في الأنوار الحقيقية لا ا لزائفة، والآخرون استغنوا عن غير هذه الدنيا، ورأوا الآخرة وهماً لا واقع له.

(المكر الإلهي) قضية يجب أن نعيها، وأن نكون على حذر منها، لأن عمادها الجهل والغفلة، ففي حديث الباب مثلاً يرى رجلاً اشترط على الله –نذر– إن فعل الله به أمراً أن يتصدق أو يقوم بعمل صالح، فوقع القدر على ما طلب، لا بسبب شرطه، ولكن لجريان القدر على أمر آخر لم ينتبه له، فذهب المسكين في وهمه أن شرطه – نذره– هو سبب الوقوع، فذهب يعمل صالحاً، فاستخرجت منه الصدقة على بخل منه.

(المكر الإلهي) في هذا الباب يقع على ثلاثة مستويات:

1. ترك العمل السنني الملائم.
2. جريان السنن على الوجه المتوقع المحبوب.
3. تحليل الحديث على وجه الهوى / الرغبة، فتحصل الفتنة.

فهذه كما نرى أساسها ترك العمل ووقوع الجهل، فهي لها تعلق بالعلم والإرادة.

ومن رحمة الله فيمن يرحمه الله أن يقع المقدور على وجه يعيد ترتيب العلم على ال وجه المطلوب، ويصلح العمل ليوافق الحق، كما وقع مع الصحابة رضي الله عنهم في أحد، إذ هزموا هزيمة جعلتهم يتساءلون : ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ فكان الجواب الإلهي: ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴿١٦٥﴾﴾ آل عمران.

حين ترى النعيم الدنيوي في يد عدو الله فلك أن تقول: " طيباتهم عجلت لهم " لكن أن تواهم هازمين لنا، مستعلين على ذلتنا فمن الإفتراء على حكمة الله أن تقول هذه الكلمة، بل الكلمة الصحيحة : ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لنحذر تديناً وخوفاً من الله تعالى أن نتكلم في حكمة الغيب على الأمور الحادثة، فالأعمال لا تثبت صحتها

بالتوافق مع اللحظة الراهنة، فحين تنفق السلعة بالحلف لا يدل هذا على جواز الحلف في البيوع أو استحبابه، بل الحلف في البيع وإن كان للسلعة إلا أنه محق للبركة.

في موقعة أحد مثال حي على ما نحن فيه من أن جرّ (التحليل والتفسير) على وجه الهوى ضلال وفساد، فقد وقع في أحد أن أشار بعض الصحابة رضي الله عنهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج من المدينة لقتال قريش، وكان هذا رأي المنافقين كذلك، وبعد أن نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأي الكثير من أصحابه وخرج إلى أحد مع رغبته عن هذا الرأي صلى الله عليه وسلم، فكان أن انتصر المنافقون لرأيهم (و هو رأي صواب ولكن اختير غيره وهو أقل صواباً منه) ورجعوا من وسط الطريق وتخلوا عن إخوانهم في المحنة، ثم وقع ما وقع من القتل في الخارجين، فكان ماذا ؟

وصف القرآن (تحليل وتفسير) المنافقين بقوله:

1. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ آل عمران.
2. ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ آل عمران.

هذا تحليل باطل وإن توافق مع الحدث، وبطلانه مبني على الهوى والشهوة والخوف من الموت، والهزيمة في أحد لم تقع لأن رأي الخروج كان باطلاً بل لأن في الخروج حدثت معصيتان:

أولاهما: مخالفة أمر القائد في ترك الرماة مواقعهم حباً للدنيا من جمع الغنائم، وهذا سجله القرآن بقوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ آل عمران.

ثانيها: ما حصل من التولي والهروب عن ميدان المعركة، وهذا سجله القرآن بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ آل عمران.

وهاتان معصيتان قد غفرهما الله كما في الآيات العظيمة السابقة .

وسجل القرآن حال قوم صار في قلوبهم بعض رذاذ شبهة (تحليل) المنافقين فقال :﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ ﴿١٥٤﴾ ﴾ آل عمران.

والمتأمل في الآيات التي نزلت بعد موقعة أحد يجد أن القرآن هوّن موضوع القتل وفسره على نحو يذهب ما في النفوس من ألم، ولكن شدّد على موضوع المعصية، وكأنه يقول: أنتم تبكون القتلى، وتصرخون من ألم الجراحات وذهاب الإخوان، ولكن هذا ليس بشيء، فكل هذا كان سيحدث سواء خرجتم إليهم أم لم تخرجوا لكن اذهبوا بعيونكم إلى هناك، إلى ما وقع من أعمال منكم ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ ﴿١٦٥﴾ ﴾ آل عمران.

إن (التحليل السياسي) قد ملأ في أيامنا هذه السهل والواد، وهو سهل على الأقلام والعقول الجاهلة، لكنه لا يحم ل أي السمات العلمية المعروفة في قواعد العلوم، فهو مضطرب، يستطيع كل صاحب فكرة أو عقيدة أن يجره إلى مصلحته، ولكن كل ذلك لا قيمة له، إنما الأهمية النظر إلى تحقق الحكم الشرعي أم لا؟ من الكبائر المعاصرة والبدع الحادثة هو

تعليق الحكم الشرعي على هذا (التحليل) المتوهم، وذهبت جهالات قوم بهم أن جعلوا هراءهم هذا (علة) للأحكام الشرعية افتراءً على الله وعلى الفقه الشرعي وأصوله، ولذلك كثر الخلاف وعم الجهل، وصار هؤلاء (المحللون) في عقول البعض هم الفقهاء الذين يحق لهم القول في مصير الأمة وقضاياهم، وهم قادة الفقه الجاهل المعاصر، وهؤلاء لو حضروا إبراهيم عليه السلام وقد كسر الأصنام لكتبوا فيه تقريعاً ولوماً، ولو حضروا أهل الأخدود لقالوا لهم من الرخص ما يحل لهم الكفر والخروج من الملة، ويضحكوا بملء أشداقهم استهزاءً بقول الرضيع لأمه: : <<يا أماه إنك على الحق>>(1) ، ولقالوا: لم يعد إلا أن تطيع الحركة أقوال الأطفال، ولو حضروا الخندق لكانوا مع القائلين: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ ۝٤٩﴾ الأنفال.

في هذا الباب نرى فقه الشرع عند الخلاف حول آراء تتضارب : أنفعل أم لا نفعل؟ فبعد أن تطمئن قلوب الإخوان لعمل ما فمن النفاق التخلي عنهم، ومن النفاق تقريعهم إن حصل خلاف ما أشاروا به، والواجب النظر: هذا

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب قصة أصحاب الأحدود والساحر والراهب والغلام (المنهاج ح 7436) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب من سورة البروج (ح 3340) ولفظ الحديث عند مسلم قال عن اَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ، اَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : << كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ اِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ لِيَ غُلاَمًا اُعَلِّمْهُ السِّحْرَ . فَبَعَثَ اِلَيْهِ غُلاَمًا يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ اِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ اِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ فَاَعْجَبَهُ فَكَانَ اِذَا اَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ اِلَيْهِ فَاِذَا اَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ اِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ اِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي اَهْلِي . وَاِذَا خَشِيتَ اَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ اِذْ اَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ اَعْلَمُ السَّاحِرُ اَفْضَلُ اَمِ الرَّاهِبُ اَفْضَلُ فَاَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اِنْ كَانَ اَمْرُ الرَّاهِبِ اَحَبَّ اِلَيْكَ مِنْ اَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ . فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَاَتَى الرَّاهِبَ فَاَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ اَىْ بُنَىَّ اَنْتَ الْيَوْمَ اَفْضَلُ مِنِّي . قَدْ بَلَغَ مِنْ اَمْرِكَ مَا اَرَى وَاِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَاِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَىَّ . وَكَانَ الْغُلاَمُ يُبْرِئُ الاَكْمَهَ وَالاَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الاَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَاَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَا هُنَا لَكَ اَجْمَعُ اِنْ اَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ اِنِّي لاَ اَشْفِي اَحَدًا اِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَاِنْ اَنْتَ اَمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ . فَاَمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَاَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ اِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ قَالَ رَبِّي . (يتبع في الحاشية التالية).

الذي اخترناه من الأقوال هل قمنا به على الوجه صحيح أم لا؟ فالبحث يكون عن اتقان العمل لا غير، وأما البكاء على المصيبة واستغلالها لتعظيم الذات وتقريع الإخوان، و (تحليلها) وتفسيرها على الوجه يبطل الحكم الشرعي من الجهاد وغيره فهو سمة المنافقين.

الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، وكذب الخراصون، وليس في الحكم الشرعي إلا الخير، لكن ما يقع عند تطبيق الحكم الشرعي من اخفاق في أحيان ما فسببه ترك الإتقان في تطبيق هذا الحكم أو التخلي عنه قبل اكتماله، وأما الخير فلا يأتي إلا بالخير.

== قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ . فَاَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ اىْ بُنَىَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ . فَقَالَ اِنِّي لَا اَشْفِي اَحَدًا اِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ . فَاَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ . فَاَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَاْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ . فَاَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَاْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ . فَاَبَى فَدَفَعَهُ اِلَى نَفَرٍ مِنْ اَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ اِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَاِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَاِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَاِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ . فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي اِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ اَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فَدَفَعَهُ اِلَى نَفَرٍ مِنْ اَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَاِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَاِلَّا فَاقْذِفُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ . فَانْكَفَاَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي اِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ اَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ اِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ . قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ . ثُمَّ ارْمِنِي فَاِنَّكَ اِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي . فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ اَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ . ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ . فَاُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ اَرَاَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ . فَاَمَرَ بِالْاُخْدُودِ فِي اَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَاَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَاَحْمُوهُ فِيهَا . اَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ . فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَاَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ اَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا اُمَّهِ اصْبِرِي فَاِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ >>. انتهى.

كذب الخراصون وإن وقع المقدور حيناً على وجه يوافق تحليلهم، فماشأنهم إلا شأن (العرافين)، فكلامهم كثير أغلبه باطل وقد يصدق في الكلمة الواحدة، فالشرع أن نجعل كلامهم باطلاً لا أن نسحب ما أصابوا به على كثير كلامهم الباطل.

تتمة :

بعد المصيبة في أحد، أمر سول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتابعوا قريشاً ففعلوا حتى <<حمراء الأسد >>[1] وقد سجل القرآن هذه المكرمة للأولياء بقوله : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ آل عمران.

---

(1) أخرجهُ ابن حجر في فتح الباري شرح االبخاري في كتاب المغازي باب الذين استجابوا لله والرسول بلفظ عن ابن اسحاق : كان احد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر شوال اذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو، وان لا يخرج معنا الا من حضر بالأمس، فاستاذنه جابر بن عبد الله في الخروج منه فاذن له، وانما خرج مرهبا للعدو وليظنوا ان الذي اصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم، فلما بلغ حمراء الأسد لقيه سعيد بن ابي معبد الخزاعي فيما حدثني عبد الله بن ابي بكر فعزاه بمصاب اصحابه، فاعلمه انه لقي ابا سفيان ومن معه وهم بالروحاء وقد تلوموا في انفسهما وقالوا : اصبنا جل اصحاب محمد واشرافهم وانصرفنا قبل ان نستاصلهم، وهموا بالعود الى المدينة، فاخبرهم معبد ان محمدا قد خرج في طلبكم في جمع لم ار مثله ممن تخلف عنه بالمدينة، قال: فثناهم ذلك عن رايهم فرجعوا الى مكة . انتهى.

الصورة كالتالي: خروج حدثت به مصيبة ومقتلة في الخارجين، وعلق (محللون) المصيبة بسبب الخروج، وقد كان رأيهم أن لا يخرجوا، فماذا سيقولون الآن وهم يرون القيادة ومن والاها وهي جريحة مصابة تتابع اللحاق بالأعداء فيا للعجب: خروج للقاء جرّ هزيمة، فماذا سيكون حال من لحق المنتصر المزهو وهو جريح ضعيف؟!

أنا أعرف أن (المحللين) لن يقولوا شيئاً من السوء عن أحداث السيرة النبوية، وذلك هيبة لصاحبها، لكن ليتهم يفقهون!!



الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا ، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الأَمْرِ أَكْرَهُهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ ، وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ>>[1] .

لا دين نافع إلا بعقل راشد حكيم، ولا عقل صحيح إلا بفقه مكين، والخيرية لا تكون بنص معلق في أعناق أغبياء مغفلين، كما لا تكون من غير معرفة الحلال والحرام، وفي الجاهلية عقول سليمة في معدنها، صقلتها حكمة الحياة وتجارب السنين وعظة الأيام، هم خير هذه الأمة إن أسلموا وفقهوا أحكامه، فالدين الحق لا ينفع إلا إذا وضع في وعاء حكيم رشيد سوي، وهو العقل، وأما وعاء الغباء والسفاهة فالدين ينجيه لنفسه لكن لن ينفع غيره ولا يجوز أن يكون له الخيرية في أمة الإسلام ولا جماعات الحق، فكيف إذا اجتمع في المرء خصلتا الباطل، فلا فقه عميق بل هي الألفاظ وحفظ النصوص بلا علم بها، ولا حكمة أهل الجاهلية؟! حينها ولا شك الخراب والفساد .

ثم إن هذا الدين لا يقوم به إلا الذين يأخذون الأمور – كل أمور الحياة– بجدية وتفاعل حقيقي، أما الذين يريدون إرضاء كل الأطراف، ويداهنون كل المختلفين، فالقيم عندهم نسبية، والقرارت متلونة، فهؤلاء لا نفع فيهم لهذا الدين.

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب المناقب باب قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴾الحجرات (ح 3493) ، ومسلم في كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (المنهاج ح 4678) ، وفي كتاب فضائل الصحابة باب خيار الناس (المنهاج ح 6401 ـ 5402) ، وفي كتاب الآداب باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله (المنهاج ح 6575) واللفظ له .

الدين هداية، لكن لا ينفع مع آلة هي فاسدة في تركيبها، كما أننا نعلم أن هذا الدين نور كنور الشمس لكن لا ينفع هذا النور مع الأعمى، فلابد من نور العين ونور الشمس ليقع الإبصار، وكذلك هداية الشرع لا تنفع بلا رشد العقل وحكمته، والعقل الرشيد الحكيم لا يضطرب في أي موضع كان فهو معدن نفيس إن كان قدره مع أهل الجاهلية كان خيرهم وأنفسهم، وإن كان مع أهل الإسلام كان خيرهم وأنفسهم، فهو عقل أصيل في معدنه لا يتلون بالزور ولا بالمخادعة، بل هو ثبت لثبات قيم الحكمة والرشد فيه.

هل هناك فقيه غبي؟ الجواب نعم، كما هناك حكيم كافر، فحصول الكمال ممنوع بموانع خاصة لكل حالة، فلا ينبغي أن تثبت الحكمة لكل فقيه، كما لا تثبت الحق مع كل حكيم، وخير الخيرين هو الفقيه الحكيم العاقل الرشيد، كما أن شر الشرين بعد الفقيه الغبي والحكيم الكافر هو ذو الوجهين، أي استخدام العقل في تبرير كل فعل وقول وحمله على وجه القبول والرضى، ويسمون هذه حكمة كذباً وزوراً عليها، إنما هي النفاق والثعلبة، فالحق واحد لا يتعدد، وقد قامت حكمة السماوات والأرض مع التفريق بين الخير والشر وبين العدل والظلم وبين الإسلام والكفر.

<<خير الناس في هذا الشأن أشد هم له كراهية >>(1) هؤلاء قوم لا يحبون المخاتلة، فهم يعطون ما يؤمنون به كل شيء، ويبغضون ما يكفرون به إلى النهاية، إرادتهم لا تقبل المناصفة بل يذهبون مع إيمانهم إلى النهاية،

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب المناقب باب (1) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ . وَقَوْلُهُ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ . وَمَا يُنْهَى عَنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ. الشُّعُوبُ النَّسَبُ الْبَعِيدُ، وَالْقَبَائِلُ دُونَ ذَلِكَ .(ح 3533) مختصراً، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب (48) خِيَارِ النَّاسِ (المنهاج ح 6401) . ولفظهُ كاملاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :<<تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الأَمْرِ أَكْرَهُهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ>>، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ أَبِي زُرْعَةَ وَالأَعْرَجِ <<تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً حَتَّى يَقَعَ فِيهِ>>. انتهى.

كما لهم أن يكونوا مع دين الله ومع جماعة الحق، فحينها يحملون هذا حق الحمل، ويعطونه كل أنفسهم ويحاربون أعداءه إلى آخر رمق ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ١٦﴾الفتح، فهم يبغضون اعداءه كل البغض كما يحبون أصحابه كل الحب، فهذه منطقة لا تقبل القسمة، فبئس أصحاب نسبية الحق في هذا الباب كم افسدوا دين الله وحياة الناس.

لو راجع الناس تاريخ هذه الأمة فلن يجدوا أي مكرمة قدمها (المداهنون) ولا دعاة أنصاف الحلول، بل كل المكرمات سجلها أصحاب المواقف الواضحة الجلية، والآخذون بـ(الرخص) لهم سعة لأنفسهم لكن ل ن يقدموا للأمة شيئاً، ولا تنتفع الأمة بهم، ففي محنة خلق القرآن إتقى من إتقى خشية السيف أو السجن أو الضرب ووسعه الأمر، لكن حسم المعارك والقضايا كان بيد من أظهر وواجه وتحدى، نعم أصابه ما أصابه لكن هذا هو الطريق، إيذاء وإبتلاء ثم نصر وتمكين، فإذا كانت (الرخص) لا تنتفع الأمة من أصحابها فإذاً سيكون شأن (المداهنين) ممن يريدون إرضاء كل الأطراف على حساب الحق وقيمه، وعلى حساب الدين والإسلام؟ إنها بلا شك جريمة تعود على دين الله وأمة الإسلام.

<u>**فهذه خصال الخيرية، فمن أراد الفضل فليسعى إليها:**</u>

1. عقل رشيد حكيم.
2. فقه مكين عميق.
3. صلابة في الحق ومواقف ثابتة.

وشر الناس المتلون، فإن اجتمع معه قوة البيان فهي الطامّة الكبرى، والفاقرة التي اجتمع فيها كل مقومات الفتنة للأمة.

وفي الحديث فقه رائع وهو قضية استخدام (الأرشيف)، فالتاريخ سلاح عظيم لكن وضعه في غير موضعه مفسدة وقلة دين، فهذا رجل كان شديد الكراهية للحق ثم لحق به فلا يجوز أن يُحَمّل وزر أيام خلت، يُقرع بها كلما سنحت لخصومه بادرة خلاف، فقد عاب القرآن على مثل هؤلاء بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ

فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴿٩٤﴾ ﴾النساء ، وقد عُلم من ديننا <<إن الحسنات يذهبن السيئات>>(1) ذلك ذكرى للذاكرين .

إضاءة:

تأمل يا عبد الله روعة الحديث في تسمية الناس <<معادن>> ، وتسمية ما يعتري هذه المعادن من تزوير بقوله <<الوجهين>> ترى نور النبوة بادياً على مثل هذه الحكم العجيبة .



---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة (ح 526)، ومسلم في كتاب التوبة باب قوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿114﴾ ﴾ هود (المنهاج ح 6932 ـ 6933 ـ 6934 ـ 6035 ـ 6936) ، وأبو داود في كتاب الحدود باب في الرجل يصيب من المرأة دون الجماع (ح 4468) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة هود (ح 3112 ـ 3113) ، وابن ماجة في كتاب الصلاة باب ما جاء في أن الصلاة كفارة (ح 1398) وفي متاب الزهد باب ذكر التوبة (ح 4254) ، ولفظ الحديث عند مسلم قال عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ : << جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا فَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ – قَالَ – فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً دَعَاهُ وَتَلاَ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿114﴾ ﴾ هود فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً قَالَ : <<بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً>> . انتهى .

الحديث الخامس والثلاثون

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : <<بَيْنَمَا امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ (ذو شارة) وَهْىَ تُرْضِعُهُ ، فَقَالَتِ : اللَّهُمَّ لاَ تُمِتِ ابْنِي حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا . فَقَالَ : اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ . ثُمَّ رَجَعَ فِي الثَّدْىِ ، وَمُرَّ بِامْرَأَةٍ تُجَرَّرُ وَيُلْعَبُ بِهَا فَقَالَتِ : اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا . فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا . فَقَالَ : أَمَّا الرَّاكِبُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ (جبارٌ من الجبابرة) ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا تَزْنِي . وَتَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ . وَيَقُولُونَ تَسْرِقُ . وَتَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ >>[1] .

يقولون: لا دخان بلا نار، لأن صناعة الدخان بلا وجود أصلِه ليس من سنن الخلق، لكن صناعة الأكاذيب هيّن على الألسنة، فتشبيه الإشاعات بالدخان من كل وجه باطل، هي كالدخان تشيع وتزكم الأنوف، وهي كالدخان كذلك حين تطمس الحقائق وتخفيها لكنها تصنع من معدن الكذب والزور والأوهام، لكن الدخان لا يكون بلا نار، والعقلاء ليسوا قطيع بقر تجري عليهم نزعة القطيع، فما أسهل أن تشيع الكلمات على الألسن، وكثرة المرددين من الغوغاء لا يزيد الكذب إلا بطلا نا ، والكثرة التي عمادها – زعموا– أو دليلها : <<سمعت الناس يقولون فقلت>>[2] هم حطب الفتن وأثافي النيران التي تقوم عليها قدور الخبثاء، و"المغفلون النافعون" هم مطايا الشر في

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب . . . (ح 3504) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الوضوء باب من لم يتوضأ إلا من الغشي المثقل (ح 184) ولفظ الحديث عن اَسْمَاءَ بِنْتِ اَبِي بَكْرٍ اَنَّهَا قَالَتْ : <<اَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ ، فَاِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ ، وَاِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي فَقُلْتُ مَا لِلنَّاسِ فَاَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ . فَقُلْتُ اٰيَةٌ فَاَشَارَتْ اَىْ نَعَمْ . فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلاَّنِي الْغَشْىُ ، وَجَعَلْتُ اَصُبُّ فَوْقَ رَاْسِي مَاءً(يتبع في الحاشية التالية) .

أمة الإسلام، يتخذهم الشيطان عوناً وهم يحسبون أنهم على خير تحت دعوى الطهر والتنقية وكشف الحقائق.

هذه الملايين من البشر يعتقدون أن عيسى هو ابن الله تعالى فهل لكل اعتقاداتهم وكتبهم وصلواتهم تأثير في تغيير الحقيقة وهو أن عيسى عليه السلام بشر يأكل ويشرب ويموت ويمرض؟ ثم هذه الملايين على مدار التاريخ، جموع وراء جميع يعتقدون أن البقرة روح مقدسة فهل زادت هذه الجموع شيئاً سوى أن البقرة حيوان لا غير؟ ولو سألت هؤلاء جميعاً ما دليلكم لكان جوابهم: الجموع، القطيع، لقد وجدنا الجموع تقول فقلنا، وه كذا يحيون ويموتون ويقاتلون على هذه الأكاذيب والإشاعات.

أمة الإسلام وجماعات الحق مستهدفة، يُكاد لها بالليل والنهار، ولأعدائها خبرة عميقة في الكيد وصناعة الفتن والأكاذيب والإشاعات، ولا يبطل كل هذا الكيد إلا بالأدلة التي أقامها الله نوراً كاشفاً للحقائق، فهذه فتنة (الإفك) الكبرى، فتنة ضربت بيت الطهر والعفاف، وتولى كبرها النفاق ورجاله، وسارت على ألسن البعض ممن استزلهم الشيطان، وأهل الدين والورع انقسموا إلى قسمين كما ورد على لسان أسامة بن زيد بن حارثة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: فعلي قال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وأما أسامة فقال بما يعلم من براءة عائشة وبما يعلم من حب رسول الله لها(1)، فهذه الفتنة لو نزلت بالناس بعد الوحي فما هو أقل ما يفعل

== ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ " مَا مِنْ شَىْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ . لاَ أَدْرِي أَىَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ . يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ . أَوِ الْمُوقِنُ لاَ أَدْرِي أَىَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ . فَيَقُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا ، فَيُقَالُ نَمْ صَالِحًا ، فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ . أَوِ الْمُرْتَابُ لاَ أَدْرِي أَىَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ . فَيَقُولُ لاَ أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ >> . انتهى. (1) أخرجهُ البخاري في كتاب الشهادات باب إذا عدل رجل فقال: لا نعلم إلا خيراً، أو ما علمت إلا خيراً (ح 2637)، وفي كتاب المغازي باب 12 (ح 4025)، وفي كتاب التفسير باب ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿83﴾﴾ يوسف (ح 4690)، وفي كتاب الأيمان والنذر باب قول الرجل لعمر الله (ح 6662)، وفي باب اليمن فيما لا يملك ، وفي المعصية، وفي الغضب (ح 6679)، ومسلم في كتاب التوبة باب في حديث

الأفك، وقبول توبة القاذف (المنهاج ح 6951)، ولفظ الحديث عند مسلم مطولاً قال: عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :

<< حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصًا وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا ذَكَرُوا أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَهُ - قَالَتْ عَائِشَةُ - فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ - قَالَتْ - وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَىَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَىَّ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ابْنُ سَلُولَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ وَلاَ أَشْعُرُ بِشَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ "كَيْفَ تِيكُمْ" . فَذَاكَ يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقِهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا وَلاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ . فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتِ

أَتُسَبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْرًا . قَالَتْ أَيْ هَنْتَاهُ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ قَالَتْ وَمَاذَا قَالَ قَالَتْ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ "كَيْفَ تِيكُمْ" . قُلْتُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا . فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لأُمِّي يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا - قَالَتْ - قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْىُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ - قَالَتْ - فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ - قَالَتْ - فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَرِيرَةَ فَقَالَ " أَىْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَىْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ " . قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ - قَالَتْ - فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَىٍّ ابْنِ سَلُولَ -قَالَتْ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ " يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي " . فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ - قَالَتْ - فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ . فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ - قَالَتْ - وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَاىَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَىَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي - قَالَتْ - فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ - قَالَتْ - وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَىْءٍ -قَالَتْ - فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ " أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي

اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ " . قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيمَا قَالَ . فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ لأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ . قَالَتْ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي - قَالَتْ - وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْىِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ - قَالَتْ - فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ " أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ " . فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي - قَالَتْ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ بَرَاءَتِي - قَالَتْ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي . فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا . قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَمْرِي " مَا عَلِمْتِ أَوْ مَا رَأَيْتِ " . فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ خَيْرًا . قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ . قَالَ الزُّهْرِيُّ فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلاَءِ الرَّهْطِ . وَقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ >> . انتهى.

الرجل بأهله، سيقال له أدنى الأمر أن تطلقها اتقاء الفتنة ومقالة السوء، وبعد ذلك ماذا سير   د كلام الناس وإشاعاتهم وأقوالهم، فحسبنا الله كم تفعل الأكاذيب، وكم تظلم الحق وأهله.

الإشاعة في ذلك الزمان ساذجة بسيطة، لكن ما نصنع اليوم وقد صارت علماً يدرس في أقبية الخبث، وصارت فناً متراكباً يقدم لها ما عهد لها، ولها وسائل دخلت كل البيوت من مذياع وتلفاز   و"كمبيوتر" وصحف سيارة، وتكرر كل يوم على الأسماع والعقول والقلوب حتى إن المرء ليسمعها أكثر مما يسمع اسمه أو اسم أبيه؟!

ماذا يقال اليوم عن الجهاد وأهله؟ وماذا يقال عن دعاة الحق والدين؟ وماذا سيقال عن المتمسكين بالسنة والشريعة؟ وكيف تصور المرأة المسلمة الحص   ان الرزان؟ أفلام تنتج، واستهزاء قبيح مؤلم، وصحف يقوم عليها مأجورون مأبونون، والغوغاء قطيع يسير وراء الناعقين إلى جهنم وتدمير الذات.

إني أتكلم في هذا الموطن وفي القلب ألم –   شهد الله– لعلمي أن كل ما سأقوله من موجبات شرعية لرد الإشاعة ضعيف أمام كيد الذين قال الله عنهم: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦﴾ إبراهيم، فوالله إن حادثة الإفك التي جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على حبيبته التي يعلم براءتها كعلمه بنفسه ويقول لها: <<أمّا بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمم ت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله، تاب الله عليه>> لأمر يجعل الإشاعة شديد الوطأة عظيم.

فمن منا يستطيع أن يقول اليوم لمتهم متألم : <<إن كنت بريئًا فسيبرئك الله >> وقد انقطع الوحي من السماء، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

م اذا يملك اليوم أهل التوحيد ودعاته والمجاهدون في سبيله من الوسائل للوقوف أمام طغيان آلة الكذب والإشاعة الفاجرة؟ علماؤهم في السجون أو مقهورون معزولون ممنوعون من الظهور، المجاهدون مطاردون في كل فج، المحبون لهم متخفون على خوف وترقب، فأي معادلة هذه والأعداء يملكون كل السبل ويقفون على كل الصعد؟

اللهم رحمتك وفقط، فإن هذه معركة أقولها بكل ألم معركة مؤلمة وعوامل الخسارة فيها جلية، لكن يرطب القلوب أن العاقبة للمتقين.

اثبت هنا حديث الإفك، فوالله ما قرأته إلا وبكيت، والعظات فيه كبيرة لمن تفكر واعتبر إذ أن هذا الباب لا يسع المرء فيه إلا أن يضع القلم فيه ويستغفر ويلتجئ إلى الله طالباً العون والمدد. (حديث: 4750 / البخاري)



الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رس ول الله صلى الله عليه وسلم : <<شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الأغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ>>(1) .

شتان من يأتيك جائعاً متلهفاً، وبين من يأتيك مستملحاً بطراً، وشتان من يأتيك ليضع الطعام على الطعام ومن يأتيك مع فراغ الإناء، فشرط الإنتفاع كما قالوا فراغ المحل، وقد كثر في زماننا البطرون، لهم أرجل كلت من المشي للتذوق فقط، كلما سمعوا دعوة لوليمة قالوا هيا لنذوق ولنشم، ثم نضحك ونستهزئ، ونمد أرجلنا لا أيدينا في الصُّحف، فطالت ألسنتهم من كثرة التذوق مرضاً، وماتت حواسهم من كثرة الإستهزاء، و لم يبق من "رمتهم" سوى عفن الكلمات وأحكام السوء وإتقان البصق في كل الصحون، لا يقوم لأهل الحق روق إلا وطافوا يبحثون عن "الكنف" فيه، تغشى أعينهم عن كل الجواهر، وتمرض أنوفهم من الطيب، فيفرون إلى تحت الآباط وجيوب الثنايا ليعيشوا هناك ثم لا يرون إلا "الرزايا".

في كل وليمة للدين يأتون إلى أطرافها مستملحين وهم يقولون: هذه كتلك، وسترون النتيجة، اجلسوا قليلاً فلن ترون بعد كل هذا إلا الخراب ونسي هؤلاء المتخمون بالقذرة أن تلك سنة لله في كل وليمة، إذ تقوم وتمتد كالسوق فيجني منها الخباة مطالبهم، فهذا شهيد، وهذا متصدق، وه ذا بائع لنفسه ينتظر، ثم ينفض السامر فيرجع الناس إلى منازلهم كل يحمل ما التقط ولا يبقى وراءها إلا المخلفات والفتن واللواقط الرخيصة، فهذه "سوق المدينة" في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على شرفتها وهو يقول: <<هل ترون ما

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب النكاح باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله (ح 5177) ، ومسلم في كتاب النكاح باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (المنهاج 3507 ـ 3508 ـ 3509 ـ 3510 ـ 3511) ، وابو داود في كتاب الأطعمة باب ما جاء في إجابة الدعوة (ح 3742) ، وابن ماجة في كتاب النكاح باب إجابة الداعي (ح 1913) .

أرى؟قالوا: لا، قال: فإنّي لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر <<(1)، وهل في تاريخ العالم قط بناء لم يصر إلى زوال؟، وهل في تاريخ الحق قط أن لم يخلف بعده شر وفتن؟، لكن هؤلاء القوم لا يفقهون.

لقد طاف سلمان الفارسي رضي الله عنه ظامئاً جائعاً باحثاً عن الحق، وتقلب على موائد كثيرة حتى هداه الله تعالى إلى مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفعت به همته حتى صار <<سلمان منّا آل البيت>>(2)، وناس كانت المائدة تنصب أمام أعينهم بل تطرق عليهم بيوتهم فيصدونها ويركلونها بأرجلهم، فذاك الفقير المحتاج وهذا المستغني المملتئ بالهواء كذباً، وستبقى هذه السنة جارية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإن كانت في أيامنا هذه أجلى وأوضح، إذ ظن البعض أن كثرة التجارب التي يسمونها جهلاً "إخفاقات" وهي في الحقيقة أسواق ربانية عظيمة، كانت فيها الأجور والحسنات، وكان فيها العلم والتجربة والحكمة والموعظة، مات من مات فيها شهيداً محتسباً، وصبر فيها من صبر مبتلى ثابتاً، وقطف من أفنان حكمتها من تقلب في دروبها وشعبها، ظن هؤلاء أن هذه التجارب إنما هي دليل على أن العقود أولى، وأن "السب" منذ البداية هي النجاة، فالقضية محسومة لما يقولون، وبعض هؤلاء ربما مر يوماً على سوق من جنباته أو حوافه فجلس بعد ذلك مجلس "الحكيم" يعظ على كل

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " ويل للعرب من شر قد اقترب " (ح 7147) . (2) ضعف هذه الرواية الإمام اللباني رحمه الله وذكرها في الضعيفة، ولكن تعقب الشيخ عبد الله زقيل سند الرواية وأثبت صحتَهُ عن علي رضي الله عنه، وقال في تخريجه لهذا الأثر : ((بعد خروج كتاب السلسلة الضعيفة – المجلد الثامن – قرأت تخريج الحديث ، والذي كان يهمني تخريج الحديث موقوفا على علي بن أبي طالب كما أشار إلى ذلك الشيخ الألباني – رحمه الله – في حاشية ضعيف الجامع . وقد خرجه الشيخ الألباني – رحمه الله – في الموضع المشار من الضعيفة ، وسأنقل تخريج العلامة الألباني – رحمه الله – بنصه : . . . نعم ؛ قد صح الحديث موقوفا على علي رضي الله عنه فها أنا أذكرها إن شاء الله تعالى . الطريقُ الأولى : عن أبي البختري قال : قالوا لِعَلِيٍّ : أخبرنا عن سلمان ، قال : أدرك العلم الأول ، والعلم الآخر ، بحر لا ينزح قَعْرُه ، هو منا أهل البيت . أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف " ، وابن سعد ، وأبو نعيم في " الحلية " ، وابن عساكر . وإسناده (يتبع في الحاشية التالية) .

صعيد وكل وليمة ربانية: أقول لكم. . . قلت لكم. . . سترون قريباً . . . لقد جربنا قبلكم . . . حشاء ممقوت من بطن متخم بالجهل. ثم. . . يدعون إلى ولائم "النقد " ليتحدثوا حديث "الحكماء" و"الحنكة" ويدعى لتلك "الولائم" الهالكون في جب الكلمات ليتذوقوا ويتحدثوا ويسمروا على موائد الغيبة والنميمة، والولائم الربانية تشتعل بوقود الفقراء، وتوقد بحبات قلوب أحبت الجنة والحور العين، ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ آل عمران. فسبحان ربي كيف قسم بين العباد؟ .

القيادة لا تعجبهم فقالوا : لولا ﴿نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ الزخرف، فهذا رجل ﴿مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ الزخرف ، و ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ ﴿٢٤٧﴾﴾ البقرة، والفقراء يقولون: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ ﴿٤﴾﴾ الجمعة.

قالوا: من هؤلاء؟ "فقراء" فلو كان خيراً ما سبقونا إليه، يُضحك عليهم بذكر الجنة والنار، والرغبة بالحور العين، ولكن أهل النظر والفكر والتجارب المحبطة والفقراء يقولون : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الأنعام.

== صحيح على شرط الشيخين، واسم أبي البختري سعيد بن فيروز. الثانية: عن زاذان قال: سئل عليٌّ عن سلمان الفارسي ؟ فقال: ذاك أميرٌ منا أهل البيت، مَنْ لكم بمثل لقمان الحكيم، عَلِمَ العلم الأول، وأدرك العلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر، وكان بحرا لا ينزف. أخرجه ابن سعد، والبغوي في " مختصر المعجم "، ومن طريقه وطريق غيره: ابن عساكر. ورجاله ثقات. الثالثة: عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبي الأسود عنه . أخرجه البغوي وابن عساكر ، وكذا أبو نعيم مقرونا بالطريق الثانية . وله عن علي طريق آخر موقوفا عليه مختصرا في أثناء حديث لعبد الله بن سلام بلفظ : دعوه فإنه رجل منا أهل البيت . وسنده حسن .ا.هـ. فالحديث لا يصح مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويصح موقوفا عن علي رضي الله عنه)) انتهى .

قالوا: أتريدون منا أن نؤمن كما آمن هؤلاء، بمجرد أن يقال لنا آية أو حديث، أو يخطب فينا خطبة حماسية من تاريخ ذاهب أو ذكر لحورية حتى نهب وقوفاً، لا، والفقراء يرددون قوله تعالى عن هؤلاء : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ البقرة.

قالوا: مجالسنا خاصة تتداول فيها ألفاظ العباقرة، ونلوك فيها جمل الحكماء، فهي مجالس الخاصة، حيث يدار فيها "شمول" النقاء الفكري، فننشق مقولة مسيو ومستر، فمالنا مجالس ليس فيها إلا "السنة كذا " و"دين الله كذا " و"حكم الله كذا " فهذه مجالس العامة والرحماء، والفقراء يرددون قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأنعام.

إي والله: شتان من يأتي للتذوق والسمر ومن يأتي بغير زاد وهو ظامئ إلى جنة الله تعالى، لكن أهل التوحيد والجهاد يقولون لهؤلاء المتخمين: سنبقى فقراء وبطون خمصة نطير إلى كل هيعة ينادى فيها إلى الجنان، ننغمس فيها إلى آذاننا لعلنا نبلغ الجنان والحور العين، ولا عليكم فابقوا أنتم لتجمعوا وراء كل هيعة الفتات والبقايا لتشيدوا منها دليلاً جديداً على أن قعودكم أنجاكم من الموت بلا ثمن كما تزعمون ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ آل عمران.



الحديث السابع والثلاثون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْب، عَنْ ابِيهِ ، عَنِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً ، وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالأرْزَةِ لا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً>>[1] .

رياح عاتية ووحوش ضارية وجيوش كمد القاموس قد أتت وذهبت وبادت و "خامة الزرع " الصغيرة باقية، فما أعجب روح الإيمان وعصارة الحق، وما أضعف رياح الباطل والغرور.

"خامة صغير عطرة " لينة بخضرتها، قوية بثباتها، تدخلها العين وتطمع بها النفوس الشبعة وتستصغرها الأنظار البهيمية، فتأتيها "الرياح" "لكنها هواء" لتحطيمها وغيظها وتدميرها، فتميل هذه "الخامة اللينة"، تميل كما قال تعالى : ﴿ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣ ﴾ آل عمران.

تميل هذه الخامة "الخضرة القطرة اللينة " ليقول الله لها : ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ ﴾ آل عمران.

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب المرضى باب مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ الْمَرَضِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ﴿123﴾ النساء (ح 5702 ـ 5703) .

تميل هذه "الخامة الصغيرة اللينة":

1. لأنها سنة الله في تداول الخلق، فالسنة فيها أن تميل هي، والسنة في غيرها أن تتجعف مرة واحدة.

2. لابدّ من اختبار عصارة الفروع وروحها وجوفها، فالغصن ليس بطوله ولا بغلظه لكن بروح الخضرة فيه التي تعطيه القوة والليونة، فتسقط الفروع النخرة في فتنة الإبتلاء وتبقى الفروع الأصلية.

3. ثم إن بعض الثمر قد طاب للأكل ونضج، فلابد من أن يأوي إلى الجرين ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ ﴿١٤٠﴾﴾ آل عمران.

وتمضي السنة مرة بعد مرة، قرون تأتي فتخرق في الجوانب وتفجر الدم والألم، ويبدأ التطبب والإحياء وإعادة الروح والبناء، سنة لا تأبه لجاهل يصرخ إذ يرى هذا الأمل عذاباً بسبب استعداء هذه الخامة التي ذنبها أن ريحها طيب في أرض ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ آل عمران، فيصرخ الجاهل: هلا كنا كغيرنا ؟! وهلا غيرت هذه " الخامة " من منهجها لعلنا نرتاح كما ارتاحت بقية الأمم؟!

مالنا نحن فقط نعيش محنة وراء محنة، وابتلاءً وراء ابتلاء ؟ أين علة هذه القضية؟

قالوا: العلة في روح استعلاء هذه "الخامة الصغيرة"، فهي تتيه أن جذورها تمتد إلى كل الأنبياء وروحها من روح الله، وعصارتها من "صنع الله"، فهلا توقفت هذه "الخامة" عن هذا "الاستعداء" وصارت أرضية ككل شجر الأرض؟!

ثم ألا تخجل هذه "النبتة" من كل هذا "الادّعاء" وهي صغيرة مهينة داستها كل الأرجل، والنبتة تردد بحياء عميق ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ آل عمران.

قالوا : أنظروا إلى شجر الأرض، عالياً، مرتفعاً، صلباً، آمناً، سعيداً، يعيش النعيم من كل الجوانب، وكل قبحة الظاهرين قد ستر بأجمل الألبسة وبأروع الأصباغ، و " خامة الطيب الصغيرة " تمضي على وسعها وقدرتها، وعيونها إلى جنة الرضوان.

قدر هذه النبتة أن تكون "فلسطين" مأوى أفئدة كل ما بقي من حق في أديان السماء السابقة، والأرض المباركة في القرآن، وقدرها أن تكون على مرمى القلب من كل الفرق، تهب عليها الرياح مرة بعد مرة وفتنة ترمق سابقتها حتى ينزل عيسى عليه السلام، والمنافقون يقولون: بركة موهومة، وشرف مدّعى، ولقمة سائغة مع كأس مهانة خير من كل هذه الأرض.

قدر هذه النبتة أن تستر عرضها وشرفها وقيمها بعصارة أبنائها وروح مهجتها، والمنافقون يقولون : لا شرف إلا نوم هانئ وجيب مليء وروح صاحب ينسى المرء فيه نفسه.

قدر هذه النبتة أن يبارك الله في أرضها، لبناً لكل جوف، وعسلاً لكل مشته، وراحة لكل راغب، فينقمون على أهلها أنهم رعاة إبل، والنساء جوهر مستور، والعيون دوماً تراقب الشرمس، والمنافقون يقولون : سينبع كل شيء في سوق النجاسة رجاء إرضاء الرياح والوحوش.

ستذهب كل هذه الأوساخ، وستأوي إلى مستقرها من الخزي والعار والعاقبة لهذه " الخامة العطرة اللينة الطيبة " وأما رياح الكفر فليست أمريكا في زماننا بأشد من التتار في زمانهم، وليس "صليب اليوم" بأصلب من "صليبهم" في الأمس، وكل ذلك قد ذهب، والعاقبة للتقوى.

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ القمر.

ستبقى هذه "الخامة" كما هي تغري أعداءها لسحقها ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنفال، فتأتيها أمم الأرض، أرتالاً وراء أرتال، قدر لا نستطيع أن ننفك عنه إلا أن نغير ديننا، قدر هذه "الأمة" هو قدر التاريخ، محنة وراء محنة، وابتلاء وراء ابتلاء، يسميها الجهلة "أخطاء"، ويظنون أن بإمكان هذه الأمة أن تترك "الاستعداء" لتعيش

آمنة هانئة، تفرح فرح البهائم كغيرها من الأمم، والأمر ليس سوى "إغراء" إلهي ليقع "القدر" وتقوم "الأسواق" فيربح الرابحون من "التجار" الذين استجابوا لنداء الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ الصف ، ويسقط الذين استجابوا لمكر الأعداء ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ البقرة.

هذه "الخامة" ستميل دوماً لكنها لن تموت، وستعود دوماً بعد كل ميلٍ قوة وارتفاعاً، فالفوز والعاقبة لأهل هذه "الخامة" مهما تألموا خلال إنحنائهم.

فيا أهل التوحيد من مجاهدين وعلماء ودعاة وعبّاد أنتم ثمار هذه الخامة اللينة القوية العطرة، عصارتها فيكم، وروحها تمتد إلى قلوبكم، تمدكم حين تحمونها، وتعطيكم حين تسقونها بدمائكم، وكونوا على يقين أن أعداء الله سيسخرون، وأن الساقطين من فروع هذه الخامة ما سقطوا زهداً بها وترفعاً عنها لكنهم سقطوا لأن أرواحهم ماتت وانقطع الدم الواصل بينهم وبين نبتة الحق، أما إن سألتهم عن روح هذه النبتة فإليكم الجواب:



الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :

<<مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ>>[1] .

لأنها رحلة الأرواح، فهي رحلة الأحاسيس والمشاعر، رحلة الدمعة الخائفة تتبعها الدمعة الراجية، فيها تبصر النفس تاريخها السائر من عالم الذر حين خاطبها الملك العظيم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۝١٧٢﴾ الأعراف، فقالت: بلى، فحملت الأمانة ثقيلة عظيمة، وتدفقت مواكب النور يقودها الأنبياء ويحطوها الحواريون، وللركب هزيج هو غناء الوجود الواكب للقافلة، سموات وأرضين وجبال وشجر ودواب ونجوم وأفلاك وبحار كلها تردد تسبيح الملك العظيم فوق العرش وتحمده:

اللهم لك الحمد أنت قيّام السّموات والأرض ومن فيهنّ .

ولك الحمد أنت نور السّموات والأرض ومن فيهنّ .

ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهنّ .

ولك الحمد أنت ربّ السّموات والأرض ومن فيهنّ .

هذه رحلة القوافل الهزجة التي يباهي بها الملك ملائكته، هؤلاء أوليائي وأحبابي وعبيدي، إنها قوافل الأرواح الطاهرة الطيبة، تستعين على ثقل الأمانة بالكنوز الآتية من تحت العرش <<لا حول ولا قوة إلا بالله>>[2] وتقوى أرواحهم بالباقيات الصالحات قوتاً وغذاءً: <<سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر>>، فتنشأ

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل (ح 6482) . ومسلم أخرج بنحوه ولكن بلفظ : << مثل البيت الذي يذكر فيه ، والبيت الذي لا يذكر الله فيه ، مثل الحي والميت >> أخرجهُ في كتاب صلاة المسافر باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (المنهاج ح 1820) . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب المغازي باب غزوة (يتبع في الحاشية التالية) .

علاقة الحب حيث يلهج الحبيب بذكر حبيبه << كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان للرحمن ؛ سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم>>(1) فتنشط الأرواح المتعبة وتقتحم العقبة وراء العقبة لتبلغ المراد .

في الأرض جيف، خشب مسندة، فيها جمال الصور، ولها صراخ وهملجة، تملأ جنبات محيطهم الحقير، لهم نتن الرحم العفنة، مقيمون على أدنى من جناح بعوضة، من أجلها يموتون، ويتنافسون على غبارها، ويتباهون كالكلاب على العظام ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ٤٢ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ٤٣﴾ يونس .

وتتكرر العبرة إذ يخرج ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ ٧٩﴾ ، فيفعل سحر البريق الكاذب أثره على الجهلة

خيبر (ح 4205) ، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبة (ح 6384) ، وفي باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله (ح 6409) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر (المنهاج ح 6802 ـ 6803 ـ 6804 ـ 6805) ، وأبو داود في كتاب الصلاة باب في الإستغفار (ح 1526 ـ 1527 ـ 1528) ، والترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (ح 3461) ، وابن ماجة في كتاب الأدب باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله (ح 3824) ، ولفظ الحديث عند مسلم قال عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ فَجعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: <<أيها النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ اصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ>> . قَالَ وَانَا خَلْفَهُ وَانَا اقُولُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ الَّا بِاللَّهِ فَقَالَ: <<يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ الَا ادُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ>> . فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ: <<قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ الَّا بِاللَّهِ>> . انتهى.

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (المنهاج ح 6787) ، والترمذي في كتاب الدعوات باب في العفوا والعافية (ح 3597) ، ولفظ الحديث عند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ>> .انتهى.

فيصرخون: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ فيعظ العالمون بالحقائق : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ القصص.

تلك محنة البصيرة الحية بذكر الله أمام الجموع التائهة ببهرج العاجلة.

ويمضي ركب الحياة والأرواح مبكرة على كل صعد، مسبحاً في كل واد، تشهد له ذرات الأرض والهواء والشجر والدواب، وتصلي عليه وتستغفر له ملائكة الأرض والسماء.

هذه هي الحياة، حياة في الأنفاس والأرواح، والباقي " ملعون مطرود " <<فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما>>(1) .

- <<الباقيات الصّالحات خير من الدّنيا وما فيها>>(2).
- <<ركعتا الفجر خير من الدّنيا وما فيها>>(3).
- <<كل سجدة لعابد ترفعه درجة>>(4).

---

(1) أخرجهُ الترمذي في كتاب الزهد باب منه (ح 2322)، وابن ماجة في كتاب الزهد باب مثل الدنيا (ح 4112) ولفظهُ عنده عن أبو هُرَيْرَةَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ يَقُولُ : <<الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالاَهُ أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا >> . (2) أخرجهُ البخاري في كتاب الدعوات باب فضل التسبيح (ح 6406)، وفي كتاب التوحيد باب إذا قال : والله لا اتكلم اليوم، فصلى. . (ح 6682)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (المنهاج ح 6786)، والترمذي في كتاب الدعوات باب (60) (ح 3463)، وابن ماجة في كتاب الأدب باب فضل التسبيح (ح 3806) .أخرجهُ الإمام أحمد في مسنده بهذا للفظ، عَنْ أبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: <<اسْتَكْثِرُوا مِنْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قِيلَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْمِلَّةُ قِيلَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْمِلَّةُ قِيلَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْمِلَّةُ قِيلَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ>>. (3) أخرجهُ (يتبع في الحاشية التالية) .

هذه هي الحقائق والكنوز، يطويها العاقلون في سر، فتحيي أرواحهم، لأن الأشياء ليس بوجودها فقط لكن بقيامها على مقصد وجودها، وأعظم المقاصد هو عبادة هو عبادة الله الجليل، حينها تكون فيها الأرواح، فذكر الله تعالى هو روح هذا الوجود، وحين تنتهي من ألسنة الخلق كلمة التوحيد تقوم الساعة وينتهي الوجود، <<إذ تقوم الساعة وليس على الأرض رجل يقول: الله>>(1). حينها لا تبقى إلا الجيف النتنة، وقود جهنم.

في ركب الدعاة والمجاهدين والعلماء والعبّاد وتركوا الحياة فإن ﴿مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ الأعراف.

معهم تطمئن القلوب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ الرعد.

معهم كل الصفقات رابحة، إن مسهم خير شكروا وإن مسهم ضر صبروا، فكل أمرهم لهم خير معهم إن قتلت فرحمة وإن مت فرحة: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

== مسلم في كتاب صلاة المسافر باب استحباب ركعتي سنة الفجر ... (المنهاج ح 1685)، والترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في ركعتي الفجر من الفضل (ح 416)، والنسائي في كتاب قيام الليل باب المحافظة على الركعتين قبل الفجر (ح 1758).

(4) لم أجده بهذا اللفظ ولكن عند مسلم في كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه (المنهاج ح 1093)، والترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في كثرة الركوع والسجود وفضله (ح 388)، والنسائي في كتاب التطبيق باب ثواب من سجد لله عز وجل سجدة (ح 1138)، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في طول القيام في الصلوات (ح 1423)، ولفظهُ عند مسلم عن مَعْدَانُ بْنُ أبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قَالَ: <<لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ أخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ. أوْ قَالَ قُلْتُ بِأحَبِّ الأعْمَالِ إلَى اللَّهِ. فَسَكَتَ ثُمَّ سَألْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَألْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ سَألْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: << عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً >>. قَالَ مَعْدَانُ ثُمَّ لَقِيتُ أبَا الدَّرْدَاءِ فَسَألْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ >>. انتهى. (1) أخرجهُ مسلم في كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان (المنهاج ح 373 ـ 374) ولفظهُ عَنْ أنَسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: << لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أحَدٍ يَقُولُ اللَّهُ اللَّهُ >> وهناك اللفظ أخرى للحديث. انتهى.

﴿١٥٧﴾ آل عمران.

معهم صحبة الملائكة، <<فما من قوم جلسوا يذكرون الله إلا حفّتهم الملائكة>>(1).

هذا هو ركب الأحياء فلا تعد عيناك عنهم، فبعد أن قصّ الله على حبيبه ذكر الفتية الغرباء الذين هاجروا فراراً بدينهم، والعالم بأمواجه مشغول عنهم، مشغول بصفقاته وهرج أهله وتقلب الأموال والقوافل فيه، كل هذا التاريخ العريض مضى، مضى ولم يذكر بشيء، لكنه وقف متأملاً عند هؤلاء " الفتية "، خلّد الله ذكرهم في كتابه العظيم، وقص الحكاية على العالم لأن هؤلاء هم علامات التاريخ فقط، ليس الملوك ولا الأثرياء ولا القواد، بل هؤلاء "الفتية" الضعفاء، يأوون إلى غار ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴿٢٢﴾﴾ الكهف، بلا طبل ولا مزمار، ولا مواكب، وسدل الزمن عليهم رداءه بلا ذكر كاذب مبهرج، بعد ذكر هؤلاء "الأعيان" يقول الله لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ الكهف ، فمع مثل هؤلاء كن.

هذا هو تاريخ "الفتيان"، تاريخ خاص لا تسجل فيه أعداد القصور، ولا أطنان الأموال، ولا عدد الجنود، لا تسجل فيه زينة الدنيا، فإن أردت هذه فاصرف وجهك عن هؤلاء، وكن هناك حيث الغافلين عن ذكر الله ، هناك ستجد كل ما تريد من زينة الحياة الدنيا، ستجد وزارة عند فرعون، وستجد مالاً عند قارون، وستجد كل ما

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (المنهاج ح 6795 ـ 6796) ، والترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله عز وجل مالهم من الفضل (ح 3378) ، وابن ماجة في كتاب الأدب باب فضل الذكر (ح 3791) ، ولفظ الحديث كما جاء عند مسلم عَنِ الاَغَرِّ اَبِي مُسْلِمٍ انَّهُ قَالَ : << اَشْهَدُ عَلَى اَبِي هُرَيْرَةَ وَاَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ اَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم انَّهُ قَالَ : <<لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ >> . انتهى .

تشتهي نفسك، وستلغ في ذلك كالكلب، لكن مالك إلى لا شيء في الدنيا والعذاب في الآخرة.

مع "الفتيان"، مع الذاكرين لله تعالى يكتب تاريخ آخر، تاريخ بدري وأحدي وخندقي، تاريخ يؤقت على إيقاع الدماء والشهداء، وتصبغ أيامه بفتية يهاجرون، وفتية يُأسرون، وفتية يَقتلون ويُقتلون، ويوم نُسَرّ ويوم نُساء، وحبيب يخطف على بئر معونة، ويوماً نجوع فنسأل الله ويوم نشبع فنحمد الله.

هذا هو تاريخ الأحياء، وهكذا تدخل مع "الصالحين"، وأما هناك فهو تاريخ "الأموات" إن كان للأموات والجيف تاريخ.



الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ : <<بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَقُلْتُ لأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَطُرِحَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وِسَادَةٌ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي طُولِهَا ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ الآيَاتِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ حَتَّى خَتَمَ ، ثُمَّ أَتَى شَنًّا مُعَلَّقًا ، فَأَخَذَهُ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي>>[1] .

هكذا الكمال : ذكر وفكر، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾آل عمران ، ذكر لله ربّ الوجود، وذكر ل لغيب ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ص، وذكر لكتاب ربنا،

---

(1) أخرجهُ بهذا اللفظ البخاري في كتاب التفسير باب في قوله ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (ح 4569)، وفي كتاب الأدب باب باب رفع البصر إلى السماء (ح 6215) بنحزه ، وفي كتاب التوحيد باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما . . . (ح 7452) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافر باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (المنهاج ح 1795) ، ولفظ الحديث كاملاً كما جاء عند البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ : <<بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَقُلْتُ لأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَطُرِحَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وِسَادَةٌ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي طُولِهَا ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ الآيَاتِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ حَتَّى خَتَمَ ، ثُمَّ أَتَى شَنًّا مُعَلَّقًا، فَأَخَذَهُ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِي ، فَجَعَلَ يَفْتِلُهَا ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَوْتَرَ>> . انتهى.

وهكذا تحصل الروح، ولابد من فكر، وهو جهد العقل في التأمل والنظر، من أجل إدراك السنن للسير فيها وتسخير الخلق الذي خلق لنا ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴿١٣﴾﴾ الجاثية، فامتطاء الشيء لا يكون إلا بإتقان وذلك من خلال معرفة سنة الله فيه، وكلما ازدادت معرفة الإنسان بالسنة كلما أفاد منها وسخرها فكانت له، والذين يعرضون عن السنن هم في وديان الباطل، وهم بحق يقولون بفعالهم : "هذا باطل"، والباطل ما لا نفع فيه، وهو اتهام الجهلة لحكمة الرب وقدوسيته، فإن الله لم يخلق شيئاً في السموات والأرض إلا من أجل أن ينتفع به الإنسان، ودخول أي شيء لابد له من مفتاح، والمفتاح هو العلم بقدر هذا الشيء حتى يتم القياد، والآيات الكونية هي علامات، فالآية معناها العلاقة، أي فيها معنى، وأول هذه المعاني هي الدلالة على خالقها وعظمته وحكمته، وهذا لا يقع على حقيقته إلا بإدراك صحيح لهذه الآيات، وأجهل الناس بربهم هم الذين يفهمون الكون على غير حقيقته، فهم أهل البدع حقاً، وما لهم حال من فهم الشرع على غير لأنهم عطلوا حكمة الرب في الوجود فلن يستفيدوا منه بشيء وهو الذي خلقه الله وسخره من أجلهم.

ماذا ينتفع المرء من "النفط" مثلاً وهو يظنه مارداً من الجن إن رآه استعاذ بالله من الشيطان وهرب منه؟ !، وهل استعاذته بالله هي ذكر حقاً؟ !

ماذا ينتفع المرء من "غزو الأعداء" وهو يظن أن علاجهم يكون بقيام الليل دون مواجهتهم ومقاتلتهم؟ !

إن الذكر لا يؤتي ثماره من اطمئنان النفس وتحقيق الوعد إلا إن وضع مع الفكر السليم الذي ينتج الفهم السنني الحق، فكم من ذاكرين لله بأفكار الخرافة والإعراض عن السنن فلم يتحصلوا الوعود الإلهية من النصر والتمكين والعزة. ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ ...وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ والنتيجة: ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴿١٩١﴾﴾ آل عمران، فكما أن الذكر الذي يحقق الخوف والرجاء دين فكذلك الفكر الذي يحقق عظمة الله في القلوب وذلك بإدراك إتقان الخلق وإبداع الوجود وحكمة التكوين، فولاية الله قيام بالشرع ودوام ذكر على كل حال، وتفكر في الخلق، وهذا هو الفقه، بصيرة حاضرة في عالم الشهادة وعالم الغيب، تراقب حركة الغيب وترعى حركة الشهادة، فالغافلون عن ذكر الله ليسوا

بأولياء، والغافلون عن حركة الشهادة ليسوا بأولياء، وما أعظم هذه الآيات حين سمّت اجتماع هذين الأمرين في الرجل أنهم: ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ آل عمران، فإغلاق العين عن النظر وإغلاق العقل عن الفكر وإغلاق الفم عن الذكر فساد للخلق وذهاب لعقولهم، وهذا دين لا خيرية فيه لغافل ولا لجاهل ولا لغبي ولا لهارب عن المواجهة ولا يحمي عن حركة الوجود، ومن عجائب المنتسبين له أنهم جاؤوا إلى كل هذه القوى العظيمة وهذه الإرشادات الهادية فقلبوها إلى ضدها إذ صار الولي هو المعتزل عن حركة الوجود، وصار المتدين هو الذي ينتكس إلى داخله، ومع فكرة يسيرة في صورة النبوة في القرآن نراها صورة الحضور والصراع والمواجهة، لا يوجد فيها هروب وانتكاسة إلى الداخل بل حضور يحقق الصدمات مع الخصومة حتى تجري السنن إلى آخرها.

إن عظمة الله في القلوب إنما تتحقق بمعرفة قدرته ولا تعرف القدرة إلا بمعرفة الخلق، وهذا لا يعرف إلا بالفكر والنظر والبحث والسير والتتبع والدراسة، وهذا باب يجب أن تتعلم هذه الأمة أنه شق لا تكتمل الولاية إلا به، ولا يصح أن ينسب أحد إلى (أولي الألباب) الذين مُدحوا في القرآن إلا بتحققه فيهم.

إن أكثر الناس حاجة لمعرفة سنن الخلق وإعمال الفكر وإدامة الذكر إنما هم الذين يصارعون الشيطان وجنده، فهؤلاء الكفرة عندهم بعض عوامل الغلبة كالكثرة في كل معركة وعندهم المال والسلطان، وبالتالي لا يمكن تحقق النصر عليهم إلا بأخذ أهل الحق العوامل التي أضلهم عنها، وهذا لا يكون إلا بتعامل المجاهدين مع السنن ورعايتهم لها، وقد جعل الله سبب هزيمة الكفار مع كثرتهم أنهم لا يفقهون، فقال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ الأنفال، فالصراع إذاً بين من يفقه الحق من الشرع والسنن وبين الضال عن الشرع والسنن، بين أولي الألباب وبين الضالين، والضالون عن إعمال العقل والتفكر مآلهم الخسارة أينما كانوا وتحت أي شعار تجمعوا، إن قواعد الصراع هي سنن الحق في الخلق، وإن عوامل البقاء إن أخطأها أهل الشرع لم ينفعهم أيّ ادعاء وسيقع عليهم البلاء بلا محاباة.

إن أردتم النجاح فأديموا النظر والتفكر، واجعلوا نظ ركم وفكركم في السموات والأرض وفي الخلق المادي وفي الليل والنهار في الخلق المعنوي إذ الليل والنهار أواني الحوادث والوقائع –، ففكرة للتسخير وفكرة للاعتبار، وذكر تكونوا أولياء لله حقاً.

درتان:

- ☒ زار مسافر محدّثٌ الإمام أحمد وبات عنده، فأعد له الإمام أحمد وضوءه فلما جاءه صباحاً وجد وضوءه لم يمس، واستيقظ الرجل صباحاً، فعجب منه الإمام وقال له: محدّث لا يقوم الليل!! فجعل الرجل يعتذر أنه مسافر، والإمام يكرر: محدّث لا يقوم الليل!! محدّث لا يقوم الليل!!
- ☒ كان مما قاله الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله: أن السمة التي لا تخطئ المجدّدين في تاريخنا هي قيام الليل، إذ لم يوجد مصلح في هذه الأمة لا يعرف عنه هذه السمة: قيام الليل.



الحديث الأربعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا>> . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ. قَالَ : <<إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ>> . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ: <<وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ>>[1] .

هذه ركائب الرجاء، وكذلك نجائب السبق، ميدان يسع كل الهمم والإرادات، فهذا دين رب العالمين جميعاً، يسع العالمين جميعاً بيسر الحمائل، فإن أثقلتك الذنوب فلا قنوط إذ قوارب النجاة مادة لك أذرعها تناديك ليل نهار، فالرحمن

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب الجهاد والسير باب دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُقَالُ هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي (ح 2828) ، وفي كتاب التوحيد باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ(7) ﴾ هود (ح 7512) ، ومسلم خرج بنحوه في كتاب الجهاد باب بيان ما أعده الله تعالى للمجا هدين في الجنة من الدرجات (المنهاج ح 4856) ، والنسائي في كتاب الجهاد باب درجة المجاهدين فيي سبيل الله عز وجل (ح 3131) ولفظهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : << يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ >> . قَالَ فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ قَالَ أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَفَعَلَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : << وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ >> . قَالَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : << الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ >> . انتهى.

يمد يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويمد يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ولو أذنبت في اليوم مائة مرة أو أكثر، ولو أتيت ربك بملء الأرض خطايا ثم استغفرت وجدت الله غفوراً رحيماً، ولو قتلت مائة نفس معصومة ثم رحلت إلى الله سيفرح لك ويأتي إليك أشد مما تأتي إليه، وقد سبقك أن بغياً من بني إسرائيل سقت كلباً عطشاً فشكر الله لها فغفر لها، وإن من الكفر اليأس من رحمة الله، ومما يحبط الذنوب أن تسبّ الله تعالى فتقطع طريق التائبين عنه، فإن رجلاً قال: <<والله لا يغفر لفلان>>(1)، فأغضبت مقالته رب العباد وقال: من المتألّه علي، اشهدوا أني غفرت لصاحبك وأحبطت عملك.

افتحوا الأبواب ولا تضيقوا واسعاً فربكم واسع عليم، وانشروا للخلق عناوين الرحمة فكتاب ربكم عنوانه: ﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم﴾، وإياكم والإلحاد في أسمائه، فإن رحمته سبقت غضبه.

إن جاءكم مثل "ضمام بي ثعلبة" فقال: والله لا أزيد ولا أنقص عن الصلاة المفروضة والزكاة المقدرة وصوم رمضان وحج البيت فقولوا: <<أفلح ودخل الجنّة إن صدق>>(2).

إن جاءكم مثل صفوان بن المعطل، وقد شكت زوجته حاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن صلاة

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب البر والصلة باب النهي عن تقنيط الناس (المنهاج ح 6624) ، ولفظ الحديث كما هو عنده عَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنهُ قال : اَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَ : << اَنَّ رَجُلاً قال وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلاَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : << مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ اَنْ لا اَغْفِرَ لِفُلاَنٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَاَحْبَطْتُ عَمَلَكَ >> . اَوْ كَمَا قَالَ .(2) أخرجهُ البخاري في كتاب الصوم باب وجوب الصوم (ح 1925) ولفظ الحديث عنده عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ : اَنَّ اَعْرَابِيًّا ، جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَائِرَ الرَّاْسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فَقَالَ : <<الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، إِلاَّ اَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا>> . فَقَالَ اَخْبِرْنِي مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ فَقَالَ: <<شَهْرَ رَمَضَانَ ، إِلاَّ اَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا >> . فَقَالَ اَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الزَّكَاةِ فقال فَاَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ . قَا ل وَالَّذِي اَكْرَمَكَ لاَ اَتَطَوَّعُ شَيْئًا، وَلاَ اَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شَيْئًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<اَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ، اَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ >> . انتهى .

الفجر تفوته بسبب النوم من غير تقصير فقولوا: <<ليس في النّوم تفريط>>(1).

أكثروا من قول: <<لا حرج، فالرّاحمون يرحمهم الرّحمن>>(2).

لا تشددوا فيشدد الله عليكم، ولا تكثروا على الناس فتفتنوا الناس، إذ يسعكم معهم صغار المفصّل.

ثم من جاءكم وقد علت همته لحظة فاهدوه إلى رشده، ومن جاءكم يطلب منح ة فارفعوا له الأجر، ولأهل العوالي درجات السبق وقصب السبُق عرش الرحمن.

هذا دين الله يقبل القليل ويدفع للزيادة ويرفع الواقع لأن الصراع بين منهج الله ومنهج الشيطان وجنده.

تأملوا قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾النساء.

هذه هي المعادلة، فالله يهدي ويتوب ويخفف لأن الإنسان ضعيف، ومنهج غيره شهوة عاصية وميل عن

---

(1) أخرجهُ مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة واستحبا ب تعجيل قضائها (المنهاج ح 1560) مطولاً، وأبو داود في كتاب الصلاة باب فيمن نام عن الصلاة أو نسيها (ح 437 ـ 441)، والترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في النوم عن الصلاة (ح 177) والنسائي في كتاب المواقيت باب فيمن نام عن صلاته (ح 611 ـ 612)، وابن ماجة في كتاب الصلاة باب من نام عن الصلاة أو نسيها (ح 698)، ولفظ الحديث عند ابن ماجة قال عَنْ اَبِي قَتَادَةَ قَالَ: ذَكَرُوا تَفْرِيطَهُمْ فِي النَّوْمِ فَقَالَ نَامُوا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: <<لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ اِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ فَاِذَا نَسِيَ اَحَدُكُمْ صَلاَةً اَوْ نَامَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا اِذَا ذَكَرَهَا وَلِوَقْتِهَا مِنَ الْغَدِ>> وللحديث اللفاظ آخرى . (2) أخرجهُ أبو داود في كتاب الأدب باب في الرحمة (ح 4943)، والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين (ح 2049) ولفظهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ>> . انتهى.

الحق، فمع من أنت يا عبد الله؟

علّموا الناس الواجب، ثم أعلموهم بالدرجات، فأبقوا في النفوس الرجاء وادفعوهم للعوالي، وأعلموهم أن الجهاد هو باب الولوج إلى الفردوس الذي سقفه عرش الرحمن وهو أفضل الجنة وأعلاها ومنه تتفجر أنهار الجنة، فكما أن المجاهدين بأيديهم تتفجر الخيرات في هذه الدنيا، وبفعالهم تسعى القلوب هداية، ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ البقرة ، وبالجهاد حياة البشرية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ٢٤﴾ الأنفال ، أي الجهاد، فحق للمجاهدين أن يكونوا عند

نبع النعيم في جنة الرحمن، في الفردوس الأعلى، فاللهم اجعلنا من أهله .



الحديث الحادي والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنهُ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : <<قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ>> . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿17﴾﴾ السجدة (1) .

على موائد الكريم ترتاح الركائب وتلقي غبار السفر وشعثاءه، فقد لاقت هذه القوافل الكثير من المكاره، وكثرت فيها جراح الكتائب، وحطمها الناس من كل جانب، فآن لها أن تقطف الأجور وتذوق النعيم، مرت هذه الركائب جوعى وهي الأسد الضواري والكلاب حولها تلغ في الدنيا، مرت وهي صابرة لاهثة، صابرة عما ترى ولاهثة للنصب التي علقت في قلبها: أن الراحة فقط بلقاء الرحمن.

إي والله لقد جهدت هذه الركائب بأحم ال كالجبال، فاشتاقت أرواحها إلى الجوار وصحبة السيد العظيم الجليل عند عرشه ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴿١١﴾﴾ التحريم.

هل هناك كتاب يطبب دون ذكر الجنة؟!، وهل هناك مجلس يتزكى بغير عرف طيبها ونسيمها ؟! أليست هي من شغلت هذه القلوب المسافرة عن نعيم يعرض ه نا وهناك ألهى الكثيرين عن ترحالهم؟ ! أليست هي من

---

(1) أخرجهُ البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (ح 4826)، وفي كتاب التوحيد باب باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿13﴾﴾ حَقٌّ ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿14﴾﴾ الطارق، بِاللَّعِبِ (ح 7590) ، والترمذي في كتاب تفسير الق رآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ومن سورة السجدة (ح 3501) . انتهى.

أنست المتألمين آلامهم تحت سياط الجلاد وقيد السجان وغبار العساكر؟ ! أليست هي من أقلقت الجنوب عن مضاجعها فانتصبت الأقدام لتناجي الأرواح حبيبها ومولاها ؟ ! أليست هي من هوّنت خوض الصفوف وا قتحام الأهوال؟ ! أليست هي من خففت آلام هجرة الأرواح والأولاد والأوطان؟ ! أليست هي من أبكى العيون ذكرها والشوق إليها ؟ ! أليست هي من أضحكت الغافلين على هؤلاء الفقراء وهم يصرخون فيهم: ما وعدتم إلا غروراً؟ ! أليست هي الجميلة الرائعة التي ألهت القلوب عن طعامها وشرا بها فصامت محتسبة صابرة؟ ! إذاً أبشروا فهناك ستحطون أثقالكم وأحمالكم وآلامكم وسترون ما لا تعلمون.

هناك مائدة الكريم، ومائدة القيوم، ومائدة القدير، ومائدة الغني، وإذا كانت الموائد على قدر الكرم والغنى فكيف هي مائدة الكريم الذي له يدان هما يمين كل منهما سخاء لا يغيض عطاء واحدة منهما ؟ ! وكيف هي مائدة الغني الذي أمره كن فيكون؟ ! فهل لهذا العقل المحدود القاصر أن يتصور حدود عطاء هذا الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء ؟ !

هناك حيث يجتمع الحبيب مع حبيبه بعد طول مسير: فكم ناجاه غيباً !، وكم بكى له ورجاه وراقبه غيباً ! وكم ذكره في سره وعلى لسانه وأفاض في حمده وتسبيحه وتكبيره وتوحيده وهو يرى فقط آثاره؟ ! فالآن جاء دور كشف العذار ورفع الحجب لينعم هذا المشتاق برؤية الحبيب، فتزهر الوجوه نضرة وبهجة وسروراً، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة.

هذه الجزئية المخفية الغائبة هي التي أجازت في هذه الدنيا بين عقل بهيمي وعقل رشيد، إذ البهيمة هي التي لا تفهم إلا أن يلوح لها بالشيء أمام عينها لتركض إليه، وأما العقل الرشيد فهو الذي يؤمن بالغيب ويدرك حقيقته حتى وإن غاب عن عينيه.

هذه الجنة هي التي فرقت بين أرواح خبيثة وأرواح علوية، خبيثة لأنها رضيت بالأدنى وقبلت بالعاجلة السريعة وفرطت بالوعد الآتي مع خلوده وروعته وجماله، أرواح خبيثة استمرأت لقيمات قليلة مغموسة بالكفر حيث رفضت أن تؤدي لله حقه، وأن تعرض عن الشهوات النجسة، لكن الأرواح العلوية هي التي صبرت على الهواجر والمكاره وهي على يقين أن الواحة تنتظر وتتزين للراغبين، فهم يشمون أرواحها تهب على أرواحهم فتحيل آلامهم وتعبهم ونصبهم عزيمة وصبراً فوق صبر، أرواحها تداعب أرواحهم فتبسط عليها ندى اليقين الذي يرطب قسوة الحياة وشقاءها .

لقد آمنتم بها غيباً والآن تعيشونها عيناً، ولقد سألتموها رجاءً والآن تحلون بها ملوكاً، ولقد بعتم أنفسكم وأموالكم من أجلها والآن تقبضون المزيد، ثم يحل عليكم الرضوان فلا يسخط عليكم السيد العظيم الجليل.

لقد أدركتم أن سكين النهايات يُنغّص كل نعيم في العاجلة، فكان الموت يسرق الملوك عن عروشهم، ويرحل بالأثرياء عن أموالهم، فطابت نفوسكم إلى أرض الخلود الذي لا ينقطع والنعيم الذي لا يتحول، والسعادة التي لا تنقضي فها هي الآن بين أيديكم ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ الرعد .

لقد تواضعتم معرضين عن العلو والاستكبار وعلمتم أنكم مهما كنتم فكل شيء إلى رماد وعذرة، وكل حي إلى ميت فشاقت نفوسكم إلى مُلْك لا يبلى وسلطان لا يريم، فالآن كل ما رغبتم هو بين أيديكم، صنعه الله بيده، إذ هو الذي "أعده" وحسّنه وطيبه حينها ستعرفون كيف عطاء هذا الملك العظيم.

هناك حيث يلتقي الإخوان ويجتمعون في مجالس الحديث الطيب والأنفاس والغناء الطاهر والموائد المبسوط ة، فيجتمع "التاريخ الحقيقي"، أنبياء وأتباع وحكايات تروي عما مضى وكان.

هناك حيث يطلع "الصالحون" على التاريخ الذاهب حسرة وتبكيتاً وعذاباً وهو منكوس في جهنم، حيث الفراعنة وطواغيت الأرض، وحيث قارون وأمثاله، وحيث الجنود الحمير المغفلين.

هناك حيث الرضوان والخلود وكل ما تشتهيه النفوس، وكل ما يخطر بالبال وفوق ذلك، وهناك حيث النهار فلا ليل، واليقظة فلا سِنَة ولا نوم، والفرح فلا حزن ولا ألم.

كونوا على يقين أن كل ذلك ينتظر ويترقب ويتزين، وما عليكم سوى شد المآزر وجد المسير، ولن يخلف الله وعده.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ البقرة.

الأحد: 25 / محرم / 1426

6 / آذار / 2005



الصفحة **الموضوع**

الحديث الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : << أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولوا لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ ، فَقَدْ عَصَمَ مِنّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ ، إلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ >> .

الحديث الثاني

عن معاذ بن جبل رضي الله عنهُ قَالَ : كُنتُ رِدْفَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ ، فَقَالَ : <<يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ >> . قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اَعْلَمُ . قَالَ : <<فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ اَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ اَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا >> . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اَفَلاَ اُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ : <<لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا>> .

الحديث الثالث

عَنْ اَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ اَيُّ النَّاسِ اَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: <<مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ>> . قَالَ ثُمَّ مَنْ ؛ قَالَ : <<ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ >> .

الحديث الرابع

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : <<تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ

الدِّرْهَمِ وعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ اخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، اَشْعَثَ رَاْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِن اسْتَاْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ>> .

الحديث الخامس

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : <<اَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى اَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْاَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ اَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ>> .

الحديث السادس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : <<مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ ـ أَوْ آمَنَ ـ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ>> .

الحديث السابع

عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

<< سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ >> .

الحديث الثامن

عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ وَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَهُ مُتَعَطِّفًا مِلْحَفَةً عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ دَسِمَةٍ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : << أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ >> . فَثَابُوا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : << أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ يَقِلُّونَ ، وَيَكْثُرُ النَّاسُ ، فَمَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضُرَّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعَ فِيهِ أَحَدًا ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيِّهِمْ >> .

الحديث التاسع

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهُ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

<< هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ >> .

الحديث العاشر

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم خَارِجَانِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَنَا رَجُلٌ عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : <<مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟>> فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ : <<أَنْتَ مَعَ مَنْ

اَحْبَبْتَ<< فأنا أحبُّ النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكرٍ وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحُبي لهم وإن لم أعمل بمثل عملهم.

الحديث الحادي عشر

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهُ قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذاً إلى اليمن وقال: << يَسّرَا ولاَ تُعَسّرَا، وبَشّرَا وَلاَ تُنَفّرَا، وتَطَاوعَا ولا تختلفا <<.

الحديث الثاني عشر

عَنْ اَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ اَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم : <<مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَاْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلاً يَوْمًا اِلَى اللَّيْلِ عَلَى اَجْرٍ مَعْلُومٍ ، فَعَمِلُوا لَهُ اِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لاَ حَاجَةَ لَنَا اِلَى اَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا ، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُمْ لاَ تَفْعَلُوا اَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ ، وَخُذُوا اَجْرَكُمْ كَامِلاً ، فَاَبَوْا وَتَرَكُوا ، وَاسْتَاْجَرَ اَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمَا اَكْمِلاَ بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا ، وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الاَجْرِ . فَعَمِلُوا حَتَّى اِذَا كَانَ حِينُ صَلاَةِ الْعَصْرِ قَالاَ لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ ، وَلَكَ الاَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ . فَقَالَ لَهُمَا اَكْمِلاَ بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا ، فَاِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَىْءٌ يَسِيرٌ . فَاَبَيَا ، وَاسْتَاْجَرَ قَوْمًا اَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ ، وَاسْتَكْمَلُوا اَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ>> .

الحديث الثالث عشر

عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه اَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : << يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأسِ اَحَدِكُمْ إِذا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِن اسْتَيْقَظ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّا انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ كلها فَاَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا اَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفسِ كَسْلاَنَ>>.

الحديث الرابع عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: << يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي>> .

الحديث الخامس عشر

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ اَوَّلِ صَدْمَةٍ>> .

الحديث السادس عشر

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ اَنْ لاَ يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ>> .

الحديث السابع عشر

عن عُرْوَةُ الْبَارِقِيُّ رضي الله عنه قال : انَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَاَلَ :
<<الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخيْرُ اِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الاَجْرُ وَالْمَغْنَمُ>> .

الحديث الثامن عشر

عَنْ اَسْمَاءَ رضي الله عنها ، انَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاَلَ: <<اَنْفِقِي وَلاَ تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ ، وَلاَ تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ>> .

الحديث التاسع عشر

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قَاَلَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : <<اِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ الْمِائَةِ لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً>> .

الحديث العشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<ذَا اُسْنِدَ الاَمْرُ اِلَى غَيْرِ اَهْلِهِ ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ>> .

الحديث الحادي والعشرون

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : <<اَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم اَنْ يَاْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ اَخْلاَقِ النَّاسِ>> .

الحديث الثاني والعشرون

عن أسماء رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <<الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ>> .

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

<<سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ . وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا>> .

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما قَالَ : اخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ : << كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، اَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ>> .

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :

<<الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ>> .

الحديث السادس والعشرين

عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم انَّهُ قَالَ : <<لاَ يُلْدَغُ

الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ>> .

الحديث السابع والعشرون

عن زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ - رضى الله عنه - اَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا>> .

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - اَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، اِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ>> .

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَذْفِ. وقَالَ: <<اِنَّهُ لاَ يَنْكَا الْعَدُوَّ وَلاَ يَقْتُلُ الصَّيْدَ وَلَكِنَّهُ يَكْسِرُ السِّنَّ وَيَفْقَأُ الْعَيْنَ>> .

الحديث الثلاثون

عَنْ اَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ : <<نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ>> .

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<يَرْحَمُ

اللَّهُ لوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَهُ ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾ (260) البقرة. >> .

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي هُرَيْرَةَ . رضى الله عنه . قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ قَالَ : <<بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ قَالُوا لِعُمَرَ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا>> . فَبَكَى وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : <<لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ>> .

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا ، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الأَمْرِ أَكْرَهُهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ ، وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ ، الَّذِي

يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ>> .

الحديث الخامس والثلاثون

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :
<<بَيْنَمَا امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ (ذو شارة) وَهْىَ تُرْضِعُهُ ، فَقَالَتِ : اللَّهُمَّ لاَ تُمِتِ ابْنِي حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا . فَقَالَ : اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ . ثُمَّ رَجَعَ فِي الثَّدْيِ ، وَمُرَّ بِامْرَأَةٍ تُجَرَّرُ وَيُلْعَبُ بِهَا فَقَالَتِ : اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا . فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا . فَقَالَ : أَمَّا الرَّاكِبُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ (جبارٌ من الجبابرة) ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا تَزْنِي . وَتَقُولُ حَسْبِي اللَّهُ . وَيَقُولُونَ تَسْرِقُ . وَتَقُولُ حَسْبِي اللَّهُ >> .

الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رس ول الله صلى الله عليه وسلم : <<شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ>> .

الحديث السابع والثلاثون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : <<مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً ، وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ لاَ تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً>> .

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى ـ رضى الله عنه ـ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : <<مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ>> .

الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ : <<بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَقُلْتُ لأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَطُرِحَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وِسَادَةٌ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي طُولِهَا ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَرَأَ الآيَاتِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ حَتَّى خَتَمَ ، ثُمَّ أَتَى شَنًّا مُعَلَّقًا ، فَأَخَذَهُ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي>> .

الحديث الأربعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : <<مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا>> . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ . قَالَ : <<إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ>> . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ

عَنْ اَبِيهِ: <<وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ>> .

الحديث الحادي والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنهُ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : <<قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَاَتْ، وَلاَ اُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ>> . قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا اِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)﴾ السجدة .